سيِّد قطب

1906 - 1966

الأعمال الكاملة الشعرية

إنّ نفسي ليس ترضى أيُّ نفسٍ تقبل العيش كسكان القبور؟

سيد قطب
1906 - 1966
الأعمال الشعرية الكاملة
تقديم د. حسن حنفي

سيد قطب

الأعمال الشعرية الكاملة

دراسة في أشعار سيد قطب
تقديم الدكتور حسن حنفي

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾

مركز الناقد الثقافي

مؤسسة ثقافية فنية مستقلة

دمشق – ساحة عرنوس – بناء واحة عرنوس –بجانب السفارة البلغارية الدور الرابع –

مكتب رقم ١ – ص ب : ٣١٤٩٠

أسس عام ٢٠٠٧ بمدينة دمشق .

- رسالة المركز :

- أن يكون عربياً، مسلماً، إنسانياً، عالمياً، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة ..
- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .
- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

تتم التحويلات المالية باسم مركز الناقد على الحساب التالي :

IN USD ($)
Correspondent bank : **COMMERZBANK / FRANKFUR**
SWIFT:COBADEFF
Beneficiary bank : BANQUE BEMP SAUDI FRANSI
SWIFT : BBSFSYDA (MARKAZ AL NAKED/BBSF)
Name of the final beneficiary : **(0125719/BBSF)**
Account number of the final beneficiary :

IN SAUDI ARAB RIYAL (SAR)
Correspondent bank : **BANQUE SAUDI FRANSI**
SWIFT : BSFRSARI
Beneficiary bank : BANQUE BEMP SAUDI FRANSI BBSF
SWIFT;BBSFSYDA (MARKAZ AL NAKED/BSF):
Name of the final beneficiary **(0125719/BSF)**

جميع الحقوق محفوظة
لمركز الناقد

تحذير وإنذار

- من يقوم بتزوير هذا الكتاب ويشترك بطبعه أو تغليفه أو بيع النسخ المزورة يلاحق بأقصى العقوبة المنصوص عليها في القوانين ويتحمل كل ضرر ناجم عن ذلك .
- قرار مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي رقم (5)د 1988/9/8 م بشأن الحقوق المعنوية أسقط الفتاوى التي يتذرع بها لصوص الكتاب لتغطية كسبهم الحرام فقد جاء في مادته الثالثة :

((حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف فيها ، ولا يجوز الاعتداء عليها))

- صدر في سوريا قانون حماية حقوق المؤلف رقم ١٢ بتاريخ ٢٠٠١/٢/٢٧ ويقضي القانون بحماية حقوق المبدعين والمفكرين في شتى ميادين الأدب والعلم والفنون منمختلف أشكال العبث سواء بالانتحال أو التشويه أو الطمس أو بأي مسٍّ من شأنه أن يسيء إلى المؤلف .

الناقد الثقافي
الدراية لا الرواية
2008

الطبعة الأولى 2008م
ديوان الأعمال الشعرية الكاملة
مع دراسة في أشعار سيد قطب.
المؤلف سيد قطب.
تقديم د. حسن حنفي.
فُسح في الجمهورية العربية السورية
من قبل وزارة الإعلام برقم 96927
بتاريخ 2008/3/4م

الشاعر الرومانسي سيد قطب

بقلم . المفكر الفيلسوف

الدكتور حسن حنفي

سيد قطب هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين . وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبوللو).

والحقيقة أن سيد قطب له جوانب متعددة طبقاً لمراحل حياته. فهو الشاعر الرومانسي فى العشرينيات (١٩٢٥–١٩٤٥)، وكاتب قصص الأطفال.

وهو الناقد الأدبي فى الأربعينيات (١٩٤٥–١٩٥٠) في (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه)، (التصوير الفني فى القرآن)، (مشاهد القيامة فى القرآن).

وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (١٩٥٠–١٩٥٤) ابتداء من (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) (١٩٤٩)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (١٩٥٠)، (السلام العالمى والإسلام) (١٩٥١)، (المستقبل لهذا الدين) (١٩٥٣)، و(فى ظلال القرآن) على مدى عشرين عاماً.

والمرحلة السياسية (١٩٥٤–١٩٦٥) وفيها أسوأ ما كتب (معالم على الطريق) الذي كتب وهو في السجن تحت آلام التعذيب الذى يكفّر فيه المجتمع ويقسّمه إلى إسلام وجاهلية، نور وظلام، إله وطاغوت، إيمان وكفر. ولا حوار بين الحق والباطل إلا أن يقضي الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء ١٧/٨١] (١).

١– حسن حنفي: الدين والثورة في مصر ١٩٥٢–١٩٨١ /٥ الحركات الإسلامية المعاصرة ،القاهرة، مدبولي ١٩٨٨،ص١٦٧–٣٠٠

كان الشعر مرحلة من العشرينيات حتى الأربعينيات لم تستمر. كانت أول قصيدة (وردة ذابلة) عام ١٩٢٥ وآخر قصيدة (أخي) عام ١٩٥٧[1] وهو في السجن. وكانت الذروة في الثلاثينيات خاصة عام ١٩٣٤.

- كان يمكن تصنيف قصائده طبقاً لموضوعاتها، ولكن كان من الأفضل بيان خصائصها الشعرية وموضوعاتها. ويتضح سيد قطب شاعر الغزل ثم التأمل ثم الحنين ثم الوصف ثم الرثاء. ولا يأتى شاعر التمرد والوطنيات إلا فى النهاية.

- هو شعر تقليدي عمودي وليس شعراً حديثاً. يستعمل الألفاظ العربية غير المتداولة كما هو الحال فى الشعر الجاهلى. يحتاج إلى شرح اللغويين والنحاة. يغلف الروح الرومانسية بغلاف لغوى وغطاء لفظى يمنع من الإحساس الجمالى المباشر بالمضمون الشعرى. قد يرى النقاد فيه بعض الصنعة والتكلف فى الصياغة. ومع ذلك يبدو المضمون الرومانسى واضحاً. لم يدخل معارك الشعر الحديث كما فعل العقاد، وطه حسين، وصلاح عبد الصبور، بل دخلها فى الرواية فى عرضه لثلاثية نجيب محفوظ، وانتصاره للجديد ضد القديم، للعقاد على طه حسين. له قصته مثل (الأيام) لطه حسين وهي (طفل من القرية) و(يوميات نائف فى الأرياف) لتوفيق الحكيم.

- وهو شعر عاطفى وجداني رومانسي. ينبع من أعماق النفس (خبيئة نفسى). فالشاعر غريب فى العالم يدعو فى (دعاء الغريب).

يخطو الزمن به وثبا. يتوه فى الصحراء، وتغوص أقدامه فى (أقدام فى الرمال).

---

١ - له فى عام ١٩٣٤ - ٤١ - قصيدة.

يحن إلى الماضى وإلى أيام الصبا وتذرف الدموع (الحنين والدموع). ويشعر بالحرمان فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان)، والحاجة إلى الإشباع الروحى وإلى (هتاف الروح)، ينبع شعره من أعماق القلب (هدأت يا قلبى). يمجد الإبداع فى الفن والحياة وكما كتب فى ١٩٣١م فى محاضرة قدمها مهدى علام: (مهمة الشاعر فى الحياة). وظل كذلك حتى فى مرحلته الإسلامية عندما كتب (الإسلام حركة إبداعية فى الفن والحياة). ويتردد لفظ (الحياة) عشرات المرات فى قصائده: (خريف الحياة)، (عودة الحياة)، (رسول الحياة)، (سر انتصار الحياة)، (داعى الحياة)، (تحية الحياة)، (حلم الحياة).

وهو شعر واقعى يصف الجوانب السلبية فى الإنسان، وفى الحياة كما يصفها القرآن، ووصف الإنسان بالجدل والتسرع والغرور والجهل والظلم. لديه إحساس بالاضطراب والحنق فى (اضطراب حانق). والأقدار تسخر من الإنسان فى (سخرية الأقدار). والدنيا خراب فى (خراب). والنفس ضائعة فى (النفس الضائعة). والصديق مفقود فى (الصديق المفقود). والغد مجهول فى (الغد المجهول). وهو غريب فى العالم فى (غريب) و(دعاء الغريب). يرثى عهداً ولّى فى (رثاء عهد) و(عهد ذاهب). والشعاع خاب فى (الشعاع الخابى). والشاطئ مجهول فى (إلى الشاطئ المجهول). والشاعر فى وادى الموتى فى (السر ... أو الشاعر فى وادى الموتى). والخطيئة تغمر وجود الإنسان فى (الخطيئة). وللقصيدة مصرع فى (مصرع قصيدة).

والخلود خدعة فى (خدعة الخلود). والنظرة موحشة فى (نظرة موحشة). والناس فى خصام فى (خصام). والأفواه ظامئة فى (الظامئة). واللحن حزين فى (اللحن الحزين).

والحب فى مصرع فى (مصرع حب). والحب مكروه فى (الحب المكروه)، والبكاء على أطلال الحب فى (على أطلال الحب). والسلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان). والكأس مسمومة فى (الكأس المسمومة). والوردة ذابلة فى (وردة ذابلة). والجمال عبث فى (عبث الجمال)، واليوم خريف فى (يوم خريف). والجبار عاجز فى (العاجز الجبار)، والجمال حزين فى (جمال حزين). والهرة سوسو ماتت فى (موت سوسو). وللفاجعة صدى فى (صدى الفاجعة). والبدارى مأساة فى (مأساة البدارى). والحنين يذرف الدمع فى (الحنين والدموع). والحياة نكسة فى (نكسة).

وفى الوقت نفسه هو شعر مثالى يعبر عن حضور المثل الأعلى فى الإنسان، كما هو الحال عند الرومانسيين الألمان فخته وشلنج. يعبر عن الجوانب الإيجابية فى الإنسان كما يفعل القرآن فى بر الإنسان بوالديه. يريد الصعود إلى القمة فى (على القمة). يعشق المحال فى (عاشق المحال). يحقق الحلم القديم فى (حلم قديم) و(جولة فى أعماق الماضى). الشعراء فيه سعداء فى (سعادة الشعراء) و(السعادة حديث الأشقياء). والروح تهتف فى (هتاف الروح). والابتسامة على الوجوه فى (ابتسامة)، والبسمة بعد العبوس فى (بسمة بعد العبوس)، والوجوه طريفة فى (وجوه طريفة). وهناك بعث بعد الموت فى (بعث). والحب حقيقة وتعبير فى (أحبك) و(لماذا أحبك؟) والقبلة نتيجة طبيعية للحب فى (قبلة). والحب رقية فى (رقية الحب)، والحب لا يخطئ فى (عصمة الحب). والخواطر تتوارد فى (توارد خواطر).

وهو شعر إنسانى عام، لا يفرق بين شرق وغرب. إذ لم يبدأ العداء للغرب إلا بعد ١٩٥٠ بعد الصدمة الحضارية إثر زيارته للولايات المتحدة فى بعثة تربوية، والتى كان يكتب في أثنائها الرسائل لشقيقته (حميدة) يصف فيها انطباعاته عن العالم الجديد، والتى جُمعت بعد ذلك فى (أمريكا التى رأيت).

كل أشعاره تجارب إنسانية عامة يمر بها كل إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ودينه ووطنه وقومه، الموت والحياة، المحبة والعشق، الواقع والحلم، الماضى والحاضر والمستقبل، الزمان والخلود، أطوار العمر، الربيع والخريف، الألفة والغربة، السعادة والشقاء، البسمة والعبوس، الفرح والحزن.

وهو شاعر طبيعة مثل شعراء الطبيعة القدماء والمحدثين، ذي الرمة وشعراء المهجر. ففى الطبيعة جمال، كما أن فى الروح جمال. وللحياة خريفها وربيعها. سقوط أوراقها ونموها فى (نداء الخريف) و(فى ليلة من ليالى الربيع). وما أجمل الليل فى الريف فى (ليلات فى الريف) و(العودة إلى الريف) فى ظلال الأشجار فى (بين الظلال). وما أجمل الطيف وصوت حفيف الأشجار فى (طيف) و(صوت). والصبح يتنفس فى (الصبح يتنفس). والحيوان جزء من الطبيعة مثل النبات. ويبدو ذلك فى قصيدتى (سوسو) و(نوسة)، اسمين لقطتين.

وهو شعر اجتماعى يعبر عن المفارقة بين الريف والمدينة. بالرغم من أن الريف مصدر الإلهام ووحى الرومانسية فى (العودة إلى الريف) و(ليلات فى الريف) إلا أنه أيضا موطن الفقر والبؤس واستغلال الفلاح. فالحرمان هى الريحانة الأولى فى (ريحانتى الأولى أو الحرمان). الناس فى (قافلة الرقيق) يسعون نحو التحرر. السلوان أكذوبة فى (أكذوبة السلوان) و(محلاها عيشة الفلاح، متهنى القلب ومرتاح). وهو ما عبر عنه نثرا فيما بعد فى (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) و(معركة الإسلام والرأسمالية)و(السلام العالمى والإسلام)، الشاعر الوطنى الاشتراكى مع (اشتراكية الإسلام) لمصطفى السباعى فى سوريا. ويشعر بضرورة الثورة والخروج من العزلة فى (عزلة فى ثورة). وهو ما تحول عنه أحد تلاميذه إلى «اليسار الإسلامى» عام ١٩٨٠ بعد خمسة عشر عاما من استشهاده.

وهو شعر وطنى يعبر عن الأمانى الوطنية للشعوب العربية، استقلال مصر، ثورة ١٩١٩، سعد العظيم، وحدة مصر والسودان، الجهاد فى فلسطين، انتماء مصر العربى. لذلك أعجب به عبد الناصر فى أوائل الثورة. وأراده رئيسا لهيئة التحرير، أول تنظيم سياسى للثورة. وطلب منه إعطاء أحاديث وطنية فى الإذاعة المصرية. وهو الذى كتب برنامجه الدعوي (دعوتنا) عندما طلب عبد الناصر كتابة الأحزاب لبرامجها السياسية. وسعد العظيم ذكراه خالدة فى (الذكرى الخالدة لسعد العظيم). وهو البطل فى ذكراه فى (البطل) و(ذكرى سعد). وهو (صوت الوطنية). و(مأساة البدارى) تضحية بالمواطنين فى حكومة الظلم. ومصر نبض العروبة فى (إلى البلاد الشقيقة). إنما العيب فى مدح الملك فاروق فى (المهرجان) مهجران العرش والشعب معا (عاش فاروق ودام المهرجان).

وهو شعر يعبر عن الرغبة فى الخلود، وامتداد الإنسان أفقيا بين الماضى والحاضر والمستقبل، ورأسيا بين الزمان والخلود. الزمان يمر فى (مر يوم). ويخطو وثبا فى (خطا الزمن الوثاب). ويصل إلى نهايته فى (نهاية المطاف). وهى محطات أهمها فى سن الثلاثين فى (إلى الثلاثين). ولحظة الانتظار هى لحظة خالدة ينكشف فيها الخلود فى الزمان فى (الانتظار الخالد). ويعود إلى الماضى فى (جولة فى أعماق الماضى) و(الماضى) و(عهد الصغر) و(رثاء عهد) و(عهد ذاهب) و(الذكرى الخالدة لسعد العظيم) و(ذكرى سعد). فالغد مجهول فى(الغد المجهول).

ولا يوجد دين مباشر فى المرحلة الشعرية. كان الدين مجرد صور فنية، معانى علمانية للمعجزة واليقين والحب والشكر والصلاة والوحى والجنة. لا عقائد ولا شعائر ولا إلهيات، بل أخلاقيات وعمليات وإنسانيات. تذوق الجمال عبادة جديدة، والتسبيح لعينى الحبيب. يرفع الروح إلى السماء. وتهتف الروح. والدعاء للغريب. وهبل رمز الجهل فى (هبل... هبل)، استدعاء للجاهلية. والبعث للوجدان والضمير والحياة كما هو الحال

فى رواية تولستوى (البعث)، بعث أمة لطرد المحتل. والحياة لها رسول فى (رسول الحياة) والإلهام (وحى جديد)، ولقاء الحبيبين (وحى لقاء) و(وحى الخلود). للأقدار سخرية فى (سخرية الأقدار)، وليست موضوعا للإيمان كما هو الحال فى عقيدة القضاء والقدر. والمعجزة هى الفعل البطولى فى (المعجزة أو السهم الأخير). و(الجبار عاجز) أمام دفعة الحياة. و(الوادى المقدس) فى الأرض وليس فى السماء.

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد ١٩٥٤ ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى ١٩٥٤ وتعذيبه لما كفَّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل). ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد – مركز الناقد الثقافى– الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر[1].

[1]- ما أرى هذه المرحلة إلا نتيحة طبيعية للسقوط في وهَدة المؤامرة، والانزلاق إلى مهاوي الفتنة، ومن ثم الاحتراق بأتُّون الحقد. من طرفي الأمة وجناحيها آنذاك، اللذين كان عليها المعوّل لو تابعا مسيرهما معاً، كما بدأاها، التيار الإسلامي والتيار القومي المعتدل وما وصلت إليه أمتنا اليوم يؤكد أن المؤامرة يومذاك كانت كبيرة ومحكمة، نجتر عذاباتها ونتائجها المرة، والمأمول اليوم أن يدوم هذا التصالح وهذا الوعي، بل وهذا الانسجام بين التيارين في وجه العدو المشترك ..... الذي لم يتغير . (الناشر)

المقدمة
بقلم الناقد سيد قطب

أعرفُ مؤلَف هذا الديوان؛ معرفةً وثيقةً عميقة، قد لا يتأتى لأىّ سواى أن يعرفَها ! ولقد صَاحبتُه زُهاء سنوات عشر أو أكثر قليلاً، وَراقبتُ خواجَه[1] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه، وكونتُ لي رأياً عنه، أقربَ ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثير من الخَواج والقصائد، ولكنا كُنّا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمراً واحداً،لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف.

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان، أمّا أنا فلستُ راضياً عنها إلا بمقدار وما أزال أتطلعُ إلى مُثل عُلْيا، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعَ الضعف والخطأ. وما يشبه الضعفَ والخطأ في بعض الأفكارِ وبعض الألفاظ !

وفي هذه المقدمة؛ سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه، محاولاً ألا تؤثر صحبتي الطويلةُ له، والصداقةُ العميقة بيننا؛ في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية

في الفصل الأول من هذا الديوان، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى، تُطالع للقارئ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتِها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه؛ ولها سِحْنَتُه[3].

١- خوالجه: خواطره ونزعاته.

٢- السَّمْتُ: الطريقة

٣- السحنة: الهيئة واللون.

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم، فليس الثلاثة أنداداً[(1)] حتى يَشْجُرَ بينها العداء!

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم؛ ومن الفلسفة أيضاً، ولن يَعْسُر عليه، حين يبلغُ حداً مُناسباً من النُّضُوج؛ أن يلتهمهما جميعاً، ويَعتصرهما دماً، ويُمثِّلهما غذاءً، يُقَوِّي من بنْيَته؛ إن لم يُحسّ بوجوده!

ولن ننكر على الشعرِ إلمامَه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يُلمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسبَ طبيعتَه؛ إلا إذا قَصَرْنا طرق المعرفة على القُوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[(2)] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حساباً كبيراً، وفي مقدمتها ((مدرسة التحليل النفسي)).

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل، التي تَعرضُ للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارةً، وبالاستغراق والتجرد تارةً؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقتْ معها؛ أو اختلفت، لأنها لم تتقيد بها، ولم تأت عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العُنْصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين جسماً وروحاً ولكن بينهما اتصالاً...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرق بعد ذلك بين القوى العقلية؛ والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق بين القوى الواعية، والقوى المُلهِمَة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكنه والوظيفة، والتي تعمل دون شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

١- النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.

٢- السيكولوجية: علم النفس

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها، ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال ((قبل وبعد. ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير)).. إلخ.

وفي قصيدة الشاطىء المجهول؛ وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[١] واستغراقٍ، وتجردٍ؛ وصوفية.

لقد حَجبَ العقلُ الذي نستشيرُه   حقائق جلّت عن حقائقنا الصُّغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[٢]   فنغنمَ فيه الخلدَ والحبَّ والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية – عند الشاعر – هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية؛ وأن الروح تحس بالوجود المطلق؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في الشاطىء المجهول رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى الأزمان كالحلقة الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً). وكذلك في قصيدة الليلات المبعوثة حين تجرد لم ير للزمان معلماً ولا رسماً ورأى كل شيء كرمز الدوام.

١ – البداهة: أول شيء، وما يُفجأ منه

٢ – الحجا: العقل

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي، ولكنه الإحساس المستقل للشاعر؛ الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في (قصيدة الإنسان الأخير)؛ حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

ففي نفســـه ما يشبهُ الموتَ سكرةً   ومـــن حوله مـــوتٌ نَمتْـــهُ المقابر

وفي نفســـه من مثلهـــا كلُّ ذرَّةٍ   فهاتيك أشـــلاءٌ وهذى خواطر[1]

وفي قصيدة (خبيئة نفسي)[2] إذ يقول:

خبيئة نفســـي في ثناياك معرِضُ   لمـــا لقَيتْـــهُ الأرضُ في الجَـــولاَنِ

وإنك طلسَـــمُ الحيـــاة جميعِها   وصورتُها الصغُّرى بـــكلِّ مكان[3].

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية؛ في مواضع كثيرة منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

فياليته يدري بما خلف سِـــتْره   فيختِمُ سفرَ الناسِ في الكون ظافِرٌ[4]

وفي قصيدة (التجارب) يبدو إيمانه بوحدة الشعور، فقد صور شقّياً وهب ماضياً سعيداً؛ فلم يطق عليه صبراً، وعاد ماضيه الشقى توحيداً لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه، يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه؛ والتنبه إلى قصر الحياة؛ ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل.

١- أشلاء: مفردها شِلْو، والأشتلاء: أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.
٢- خبيئة: المَخْبُوء
٣- الطلسْم (في علم السحر): الشيء الغامض.
٤- السِّفرُ: الكتابُ

ويملأ الإحساس بالزمن كثيراً من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل (الظلال والرموز) يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة (البعث).

هكذا عشْتُ كسكّانِ القبور في ربيعِ العمر؛ في العهد النَّضِرْ

آهِ لو أَسطِيعُ للماضي الحسيرِ رجعةً، من بعد ما جاءِ وَمرْ[1]

كنتُ أُحييه كما يُحْياَ الشُّبابُ نابضاً بالحبّ؛ جياشَ الأماني

ممسكاً أهدابَه خوفَ الذّهاب! مُسْتعزاً فيه حتَّى بالَّثواني[2]

وفي فصل (الصور والتأملات) تجده جازعاً آسفاً على أنه مر يوم من حياته.

لم تكن فيه حياةٌ أو أمل أو تمتُّعْ

وهْوَ محسوبٌ علينا في الأجَلْ فَهْو أَضْيَعْ

وكذلك تجده ينادي ليلات الريف في لهفة ((إيه ليلاتنا،اخلدي، لا تغيبي))!

وفي فصل الغزل والمناجاة تجده يتحدث عن الحياة الغالية فيقول.

واليومَ آسفُ للدَّقائقِ تنطوي من عمريَ الغالي الثّمينِ الطَّيبِ

واليوَم أرقُبها وأرقبُ خَطْوَها فأعيشها مثلين بعد ترقبي!

وفي مواضع أخرى كثيرة.

وليس غريباً؛ أن تلمح اعتزازه بالماضي وأسفه عليه متفشياً في معظم فصول الديوان، فهو تتمة لهذا الإحساس الغريب بالزمن.

١- الحسير: المنصرم

٢- أهدابه: أطرافه

وهو لهذا يحاول الخلود، ويسلك إليه طرائق شتى فتارة يعتصم بالحب:

وغنــاءٌ عــن الخلــودِ غرامٌ هــو رمــزٌ ووَصْلــةٌ للبقــاءِ

وتارة يلجأ إلى الريف؛ لأن مظاهر الدوام والاستقرار فيه؛ تخفف حدة الشعور بمرور الزمن:

يا ريفُ فيك من الخلود أثَارَةٌ تنســابُ في خَلَــد وفي أَوْهامــي[1]

فإذا أعياه ذلك؛ وأعيا طبيعــة الخلق، فهو يتعزّى بأخيه؛ ويهدي إليه الديوان لأنه امتداده في الحياة:

تمنيــتُ ما أعيــا المقاديرَ إنّمــا وجدتُــكَ رمزاً للأمــاني الصّوادفِ

فأنــت عزائــي في حياةٍ قصــيرةٍ وأنت امتــدادي في الحيــاةِ وخالفي

المجهول:

يملأ الشــغف بكشف (المجهول) والحديث عن (السر) حيّزاً كبيراً من الديوان؛ ويمد جناحيه على حيز آخر، ومن هنا جاء اسمه.

ولعلها محاولة من محاولات الخلود، أو تعميق الحياة وتمديدها؛بمعرفة عوالم ومصائر مجهولة، يضيق الجهل بها أفق الحياة.

أم لعلها نتيجة للفصل بين أجزاء الكون والحياة، بهذا الجسم الذي لا بد له من الفواصل والحدود مع شــوق القوى الروحية، إلى العوالم المجهولة، التي حجبها الجسم والقوى الواعية.

وعلى أي حال فالحديث عن المجهول يأخذ صوراً متعددة، ويشــغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر، حتى لقد يلّح عليه في فصل (الغزل والمناجاة) في قصائد كثيرة.

١- الأثارة: البقية

ملكة التصوير وروح القصص:

يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير.

وقد يزيد على الصورة الصامتة في كثير من الأحيان حركة نابضة؛ والأمثلة على ذلك في (الشعاع الخابي. وخراب. والصحراء. والإنسان الأخير. وخريف الحياة. والجبار العاجز. وناحت الصخر) لا بل الأمثلة هي هذا الديوان كله، فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر!

ولكن أي تصوير؟

إنه التصوير الهادىء؛ الغامض. فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران في الشاعر خاطر التصوير، بل خاطر التعبير، وهو يهرب من الضجة كما يهرب من الوضوح، فإذا اضطر لملابستهما، فهو يعيش فيهما، ولكن لا يعبر عنهما.

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعاً تتفق مع هذا الميل، وكذلك ألوان الأزهار التي يألفها؛ والمناظر التي يفضلها.

وهو مصور حسّي في بعض الأحيان. كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها، أو الخواطر النفسية؛ ومنها ما يجول في نفسه هو؛ فتعجب لهذا (الوعي الفني) الذي يستطيع مع تصوير خلجات نفسه تصوير (المنتبه) لها في حركتها الداخلية المستمرة كما في (خبيئة نفسي، والنفس الضائعة، والغد المجهول، وغريب) وسواها.

وكذلك تجد روح القصص واضحة ومتفشية في كثير من المواضع، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة، أو حوار كما في(التجارب) وفي (الصحراء) أو يجعل بعض القصيدة قصصاً، لتصوير موقف من المواقف.

موسيقية الديوان:

منذ عهد قريب جداً، كشفت عن ظاهرة تستحق التسجيل، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا؛ يتفشى في هذا الديوان كله؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته.

ويجب قبل الحديث في هذا، أن أذكر أن موسيقا القصيدة؛ غير وزنها.

فالوزن يتحقق بأيِّ الألفاظ؛ ولكن الموسيقا؛ كما تعتمد على الوزن؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة.

هذه هي الموسيقا السمعية، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى، وهي الموسيقا الفكرية؛ ثم الموسيقا الروحية.

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ، والثانية بتسلسل الفكرة وتلاؤم أجزائها، والثالثة بالجو العام الذي يحس به القارئ للقصيدة. وما من شك في أن جواً نفسياً خاصاً يحف بالقارئ دون أن يحدد أسبابه.

وهذه الموسيقا الروحية هي التي أعنى أنها واحدة في الديوان، وهي من لون واحد. لون الموسيقا الصعيدية! موسيقا أولئك (الصعايدة) الغرباء؛ وهم يرتلونها في نغم رتيب، فيه شجو[1]. وفيه ألم، وفيه حنين. ولكن فيه كذلك رجولة وخشونة وروعة.

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهل. ونظرية (العقل الباطن) تفسره فقد اندست[2] هذه الألحان في نفس الشاعر وهو طفل في (موشا) وهي قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف:

إني فقدتُــكَ في الطُّفولــةِ غافلاً   عمَّا حويْتَ من الوجود السّــامي

لكن وجدْتُــكَ إذْ كبِرْتْ بخاطري   رمــزاً أُحيــطَ بغمْــرةِ الإبهــام

١- الشجو : الحزن

٢- اندست: دخلت في خفاء واستتار

التعبير:

تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للأفكار؛ وأضرب مثلا لذلك بقصيدة (في الصحراء) فهناك نخلة ملت الحياة التي لا تعرف سرها (يرمز بها إلى الأحياء جميعاً) فهذه النخلة تقول لأختها:

مُنذُ مَا أُطْلِعْـــتُ في هذا الخَرابِ وأنـــا أسْـــأَلُ: مـــا شَـــأنِي هُنا؟

ولو قال: ((منذ مَا طلعتُ)) لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التي أُرْغِمَتْ على الحياة ((فَأُطْلِعَتْ)) دون إرادتها؛ ولم ((تَطْلُعْ)) هي بمشيئتها.

ومثل هذه الدّقة كثير في الديوان إلا أن هذا لا ينفي أن هناك ضعفاً في بعض التراكيب؛ وخَطَأ في بعض الألفاظ وإن تكن معدودة.

والذي يستحقّ التنبيه أن هناك جُرْأةً في الاشتقاق، قد تُؤدي إلى الفوضى، وقد يستغلّها العاجزُون في اللغة استغلالاً...!

خاتمة:

وبعدُ: فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصول الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصل سيد (الغزل) وفصلُ (الوطنيات) أتركها للقراء..[1]

١- اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة مصرية قام بإعدادها الأستاذ عبد الباقي محمد حسين تمامي،والنسخة تستحق التقدير فقد بذل جهداً ملحوظاً استفدنا منه في طبعتنا هذه فالشكر الجزيل له.

التمرد

إن نفسيِ ليس تَرضىَ : أيُّ نفسٍ

تقبل العيش كسُكّانِ القبورْ؟

عزلة في ثورة!!!*

حَدثيــني أنْــتِ يــا نَفْســي فما أفهــمُ العَالَــم أو يَفْهَمُنــي
إنــي أنكرَتُــه اليــومَ كمــا أنــه بالأمــسِ قَــدْ أَنْكَرَنــي
لم أجــدْ في الكــون إلا أَلَمــا إنمــا الوَحْــدَةُ أصلُ الشَّــجَنِ

* * *

وَحْــدَةُ الأرواحِ أَنْكَــى الوَحَدَاتِ وَحدةُ الأجسام تُنْسَــى وتهُونْ[1]
أيُّ بُؤْســي تســتحثُّ الذكرياتِ كانفراد الرُّوح في وادي الشُّجُونْ
إنَّ رُوحي قد تَناسَتْ ((خُذْ وهَات)) وانزوت في عالمٍ جَمِّ السُّــكُونْ[2]

* * *

لم أجــدْ قلبــاً إذا ارتعــتُ خَفَق خفقة الحُــبّ بوحْيٍ صــادقِ[3]
وإذا شــذَّ فــؤادٌ فَصَــدَق أتبــعَ الحُــبَّ بغَــدْرٍ مَاحِــقِ[4]
وفــؤادي يَتنْــزى في حَــرَقٍ وَاجِفــاً مِنْ كلِّ حَــدسٍ طارِقِ[5]

* * *

وحبيبٍ قَــدْ سَــمَتْ رُوحِي إليه وعبــدتُ الطُّهْــرَ فيــه والجَمَالْ
ووقفــتُ النفــسَ والفكــرَ عليه والأمــانيَّ وأطيــافَ الخَيــالْ
ورأى مِــني أســيراً في يَدَيــه فتولّــى لاهِيــاً عــني ومَــالْ

* * *

لم أجــدْ في الكــونِ ما أنْشُــدُه   مَثَــلاً أعْلــى فــأرْوِي ظَمَئــي
وإذا صــوّرتُ مــا أقصــدُه   بُهِــتَ النــاسُ لهــذا النَّبَــأِ
وتولّــى بعضُهــم يَنْقُــدُه   جاهــداً والبعضُ يَــروِى خَطَئِي

* **

وتقاليــدٌ وأسْــرَى يَعْبــدُون   هــذه الأصنــامَ مُغْلُــولِي الفِكَرْ
وإذا ثــرُتُ عليهــا يَسْــخَطُون   ويقولــون تَمــادَى وكَفَــرْ!
وَيْحَهــم مــاذا تَراهــم يبْتغُونَ؟   أتُرى نحيا شُــخوصاً مِنْ حَجَرْ؟!

* * *

إنْ ذكــرتُ الحُبَّ قُدْسِــياً نَقِيا   حسَــبُوه من خَيــالِ الشُّــعَراءْ
إنــي أُدْرِكــهُ رُوحــاً خَفِيــا   يَهْبــطُ الأرضَ ومَأواه السَّــمَاءْ
وهــم يَبْغُونَــه إثمــاً فَريــا   يُرْتَــدَى في أثْــوابِ البغــاءْ!

* * *

أتُــرى أحيــا بُــروحٍ لا تَحِس   وفؤادٍ ليــس يَدْرِى مَا الشُّــعورْ؟
أكتمُ الأنفــاسَ إن جَالتْ بحِسّ   ثُمَّ أبْقَــى صخرةً بــين الصُّخُورْ؟
إنَّ نفسِي ليس تَرضَى: أيُّ نَفسٍ   تقبــلُ العيــشَ كسُــكّانِ القُبُورْ؟
حدثيــني أنــتِ يــا نفــسُ إذَن   واتركــي العَالَمَ في الكَــوْنِ يَمُوجْ

واعشَقي كلَّ جمالٍ يُفتَتَنْ   واضحِ الطَّلعةِ بَسَّامٍ بَهيجْ
وخُذي مَا شِئته من كلِّ فَنٍّ   ودَعي مَنْ هَاجَ في الأرض يَهيج!

* * *

حَلِّقي يا نفسُ في كلِّ فَضَاءْ   واهبِطي بينَ الأقاحي والزُّهُورْ
واسمَعي ما شئتِ مِنْ عَذْبِ الغنَاءْ   حينما تَهْتِفُ باللَّحْنِ الطُّيورْ
إنما الكونُ ومَنْ فيه هَبَاءْ   بعدمَا يَرْضَى عن النفس الضَّميرْ

* * *

حَدِّثي يا نفسُ إني لَسميعْ   إنْ لَهَا الناسُ ولم يَسْتَمعُوا[1]
وَصفي إحساسَك السَّامي البديعْ   ودَعيهم حيثُ هُمْ قَدْ وَدَّعُوا
وإذا الألفاظُ أعيتْ، فالدموعْ   فإذا جَفَّتْ، فخفْقٌ يُسْمَعُ

* * *

أقفرَ العَالمُ من كلِّ سَميرْ   يُبْعدُ الوَحْشَةَ عَنّي غيرَ نَفْسي
فليَفضْ ما جَاشَ فيها من شعورٍ   ولتكنْ إلْفي ومَنْ أرجُو لأُنْسي
وَحْدَةٌ فيها هُدوءٌ وسرورْ   ومناجاةٌ، فيا نَفْسي لتأسّي

* * *

١- لها الناسُ: تشاغلوا

إضطراب خانق!*

أحيــاةٌ أمْ نــارُ الجحيــم بِلظَاهَــا الهائــج المُسْــتَعِرْ؟[١]
لا. ففي نفسي من الشَّجْو الأليم من حَيــاتي فَــوقَ مَــا في سَــقَرْ!

* * *

آه. لا شَــكْوى ولا بَثَّ شَجَنْ لا أريــدُ الضعــفَ. كلا. لا أريــدْ
ســوفَ لا يظهرُ مــني مَاكَمُنْ فليشــدَّ الخَطْــبُ إنّي لَشــديدْ[٢]

* * *

ولمن أشــكوُ إذا شئتُ الشّكَاه؟ ولمن أســطيعُ إيضــاحَ شُــعوري؟
أيــنَ مَن ينظــرُ مِنّي مَــا أراه في شــعوري، غيرَ نَفسي وضَميري؟!

* * *

أُغْــرُبي عَــني بعيداً يــا حَيَاتِي قــد كَرِهــتُ العيشَ في جَــوٍّ قَذِرْ!
أُغْرُبُــي محفوفَــةً باللعنــاتِ آبعُدي عن سَــاخِطٍ جهمٍ ضَجِرْ![٣]

* * *

لا فِــراراً من جهــادٍ كالجَبَانِ لا. فمــا كنــتُ جَبَانــا أَحْــذَرْ!
إنمــا أَنْــتِ ســبيلٌ للهــوان لســتُ أَرْضَــاه ونَفْسِــيَ تَشْــعُرْ

* * *

---

*نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٩م

١- المستعر: المتوقد، المشتعل

٢- كَمُنَ: اختفى

٣- الجهم: عابس الوجه ، ضجر ضاق وتبرم

أأناسِيًّا أرى أم حَشَراتْ شَوَّهَتْ من طَلَعَة الكونِ الجميلْ؟
يُشْبِهونَ الناسَ في تلك السِّماتْ بينما أَنْفُسُهم رِجْسٌ يَسِيلْ!

* * *

حَقَروا الكونَ وأغراضَ الحياةْ حَسِبُوها دَنَساً في دَنَسْ
وصَغَاراً ليس يَرْضَاه إلهْ وَهَبَ الأرواحَ نُورَ القَبَسْ![1]

* * *

إنَّهم لَم يَعرِفُوا معنى الجمال إنّهم قد جَهِلُوا سِرَّ الوجُودْ
وإذا طَالَعَهم طيفُ الكمال لاتحاً يهفُو، تَولَّوا في جُمُودْ

* * *

فَهِمُوا العيشَ طَعاماً وشَرَاباً ورَواحاً حيثُ شَاؤوا وغُدُوَّا
أنفسٌ كالكهفِ ما زالت خَرَاباً من شعورٍ يُلْهِمُ النفسَ السُّموّا

* * *

فإذا حدثتَ عن طُهْرٍ بديعْ وشعورٍ يَغْمُرُ النفسَ بَراءْ[2]
أَدْرَكُوه سَافِلَ الشأنِ وَضِيعْ وهو أسمى ما استطاعتْه السَّماءْ!

* * *

١- القبس: النار أو الشعلة
٢- براء: خالص (بعيد عن الشبهات)

حَقَـرُوا العِفَّـةَ والحِـسَّ البَراءْ حَقَـرُوا الرُّوحَ وهَامُوا بالجُسُـومْ

حَقرُوا الإخلاصَ محْضـاً والوفَاءْ ورَأَوْا في النفـس مَحْيَاهـا الذَّميمْ

* * *

أَئِـذا مـا أخلـصَ الـودَّ فُؤادٌ لِفـؤادٍ مُخْلِـصٍ، فَائتلَفَـا

لم يكـنْ ذلـك إلا لِفَسـاد يَثْلَمُ العِرْضَ ويُؤذِي الشَّـرَفَا؟[٣]

* * *

لا. فمـا أقْفَـرَ هاتيـك النفوسْ لا. فمـا أجْمـدَ ذياك الشُّـعُورْ

إنَّ وَجْـه الكـونِ مُغْبَـرٌّ عَبُوسْ بِهمُـو. فَلْيَغْرُبُـوا عنـه يُنِـيرْ!

* * *

---

[١]- يثلم: يجرح، يحدث فيه نُدبةً

زفرات جامحة مكبوحة *

اذهبُ وخلِّفني هنا متألماً لا تلقني سمحاً ولا مُتجهِّما

اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتي ويَبُضُّ قلبي من قرارتِه دَما[1]

اذهبْ فلن أشكو إليك عَواطِفي يوماً ولن ألقاكَ إلا أبْكَما

أرخصتَ حُبِّي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه فَلْيَبْقَ مَكْبُوحاً إذَنْ فَتَكَتَّما

إن كانَ بَثُّ الحبِّ عندك مَأثَما فكذاك عِنْدي سَوف يغدوُ مَأثَما

* * *

اذهبْ وفي نفسِي لبُعدكَ حَسْرةٌ والعيشُ بَعْدَك صَار صُلْباً عَلْقَما

سَأنامُ مهموماً وأصْحُو حائِراً وأهيمُ في وَادِي الأسَى مُتألِّمَا

ويُخيم البؤسُ المُمضُّ فلا أرى إلا شَقَاءً في الحياة مُخَيِّمَا[2]

لكن سَأكتمُ ما تُكِنُّ جَوانحي وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوى مُسْتَسْلمَا[3]

* * *

واويلتَاه لقد أهنْتُ عَواطِفي وحسبتُها عبثاً يُمَجُّ مُذَمَّمَا[4]

وأراكَ تَأبى أن أكونَ مُتابِعاً لكَ في الغُدوِّ وفي الرَّواحِ مُيمِّمَا

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩م

١- يبض: يرشح، ينز.

٢- الممض: المؤلم من أمضّهُ الألم

٣- الجوى: حُرقة الشوق

٤- يُمَجُّ: يُلفظ

لك مَا تَشَـــاء، فما أطيـــقُ تَبَذُّلاً مني ولســـُت أطيـــقُ منـــك تَبَرُّمَا
لك ما تَشَـــاءُ، فلن أرى متنائياً عني فأرجُـــو عَطْفَـــه مُسْـــتَرْحِمَا
وإِذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتِكي أَلَمِـــي وأبْـــدُو صَابِـــراً مُتَبَسِّـــمَا

سَأعيشُ عَيشَ الزَّاهِدِين وكانَ لي أمـــلٌ حَطَمْـــتُ قِوامَـــه فَتَحطَّمَا
أملِي الذي قَدْ كانَ لي هو أن يعيش شَ الحـــبُّ فينَـــا طَاهِـــراً ومُكَرَّمَا
أمَّـــا وقَـــد أَرْخَصْتَـــهُ وأهنْتَـــهُ ورَأيتـــهُ إِثمـــاً لديـــكَ مُحَرَّمَـــا
فليذهَـــبِ الأمَـــلُ الـــذي أمَّلْتُه حينـــا وعِشْـــتُ بظلِّـــه مُتَنَعِّمَـــا
سَـــأصُون عهدَ الحبِّ عَفّاً طَاهِراً حتى أمـــوتَ بِـــه شـــهيداً مُغْرَمَا

* * *

عاشق المحال*

ضِقْتَ بالقيد فانْطَلِقْ أيُّها الآبِقُ الشَّرودْ[1]
قد تحررتَ فاستَبِقْ للصِّرَاعات مِنْ جَديدْ

* * *

انْطَلِقْ تَصْعَدُ الرُّبَاه ثم تَهْوى إلى السُّفُوحْ
شَارداً تَقْطَعُ الحيَاه في التَّعلاَّتِ والطُّمُوحْ[2]

* * *

انْطَلِقْ تَفجَأُ الخَطَرْ كالذي يَفْجَأُ الرَّجَاءْ
لُعْبَةٌ في يَدِ القَدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَاءْ

* * *

جَمْرةٌ أَنْتَ تَتَّقِدْ خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الرَّمَادْ
وهي تَذْكُو بِلا مَدَدْ ثم تَغْدُو إلى نَفَادْ

* * *

أَنْتَ مِنْ طَيْفِ القَلَقْ صَاغَكَ اللهُ والجمُوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ والحَرَقْ والعَقَابِيلَ والجُرُوحْ[3]

---

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٤٢

١- الآبق: الهارب، الشرود: المطارد

٢- التعلات: جمع التعلة: ما يُتَّعلل أو ما يُتلهى به.

٣-الأينَ: التعب والإعياء، العقابيل: ما يخلفه المرض من آثار

أَنْــتَ تَرنُــو إلى المُحَــالْ عَاشِــقاً بُعْــدَه السَّــحِيقْ
فــإذا شَــارفَ المَنَــالْ خلْتَــه مِــنْ لُقَــي الطَّريــقْ[٢]

* * *

ضِقْــتَ بالقيــدِ مِــنْ ذَهَــبْ ضِقْــتَ بالأمْــنِ والقَــرَارْ
فَانْطَلِــقْ ثم لا تَثِــبْ عِشَــتْ للخــوفِ والعِثَــارْ[٣]

* * *

١- اللُّقى: ما طُرح وترك لهوانه على الطريق
٢- العِثار: السقوط

حلم قديم*

طَافَ بِي مُستَطلِعاً حُلْمِي القَدِيمْ
فَتَطَلَّعْتُ إِليه في وُجُومْ
قلتُ: مَنْ أنْتَ؛ فأغْضَى خَجلاً
قال لِي: حُلْمُكَ في العَهْدِ الوَسِيمْ![1]
قلت! يَا حُلْمُ. متى عَهديَ ذاكْ؟
منذُ كَمْ يا حُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ
قال: لَم يَبْعُدْ بأطيافِي المَدَى
قلتُ: ما أبْعَدَ ما مَرَّتْ خُطَاكْ
شَدَّ يا حُلمِيَ ما قَدْ حَالَ حِسِّي؟
شَدَّ يا حُلْمِيَ ما أنْكَرتُ نَفْسِي!
أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه؟
قال: ما تُبْصِرُ عَينِي غيرَ رَمْسَ[2]!

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٥

١- الوسيم : الحسن الجميل

٢- الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض.

ومَضَى عَنّي في يأسٍ عَقِيمْ

سَادرَ الخَطْوةِ فِي الأرضِ يَهيمْ[1]

قلت: يَا حُلْمِيَ تمضي مُفْرَداً

ليسَ في الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ![2]

* * *

١- يهيم: لا يدري أين يتوجه

٢- الرميم: البالي (فان)

بعد الأوان*

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ، تُوَلْوِلُ بالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديم، وقد تأذَّنَ بالرَّواحْ[1]
أقبلتِ ويحكِ تبْسَمينَ، فأينَ كنتِ لدى الصبَّاحْ؟
وَجهُ الخريفِ، يُطلُّ فاستمعِي لإعوالِ الرِّياحْ!

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ، فويحَ أيام الشبابْ!
لا نستقِي إلاّ عَلَى رَنَقٍ وأنفسُنَا غِضَابْ[2]
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتنا يوماً ولا لَذَّ الشرابْ
والآنَ تَنطلقِينَ في لَهَفٍ إليَّ وفي ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالهتَانِ لاَهفتَانِ كلُّهما دُعَاءْ[3]
وحنينُ مَلْهوفٍ تطلَّعَ في قُنوتٍ للسَّماءْ[4]

---

* نشرت عام ١٩٤٧م
١- الأديم: بياض النهار.
٢-الرنَق: كدر (الماء المتعكر)
٣- والهتان: متحيرتان من شدة الوجد. لاهفتان: مشتاقتان
٤- قنوت: خضوع وخشوع.

ويحي فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِي الظّماءْ؟!

صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّني وعليه شَاراتُ المَسَاءْ!

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ، فامضي أنت عَنّي

ما عَادَ يُوقِظُني نِداؤكِ خِلْسَة مِن بعد وَهْنِ

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنّي؟

فَرَقَ الزمانُ طريقَنا، فامضِي وحَسْبُكِ ذَاك منِّي!

* * *

هَذي خُطَاي على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ خُطَاكْ[1]

الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ

شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تشعْر بِهذا أو بذاكْ

تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ![2]

* * *

١- واجفة: مضطربة

٢- دَرَاكِ: متتابعة

الشكوى

لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لايصفُو الحياةَ لشاربِ

سعادة الشعراء*

دَعْنِي ولا تَنْفُسْ عَليَّ مَواهِبي　خُذْهَا وخُـذْ ألمي بهـا وَمَتاعِبي[1]
دعْني فلستُ كما حَسبْتَ مُنعَّماً　بمواهـب مَلَكَـتْ علـيَّ مَذَاهِبي
أنـتَ الخَلِّي فخلِّنِـي وعَواطِفي　آلمَـتْ وُجْدَاني فَلَسْـتَ بِصَاحِبي
دَعْنِي أعيشُ كما يَشاء لِيَ الأَسَى　لا كنتَ مِثْلِـي. لادَهَتَـكَ نَوائِبي
إنِي شَـقِيٌّ لو علمـتَ دَخَائلي　فَدَعِ المَظَاهِرَ لا تَرُعْـكَ جَوانِبي[2]

* * *

الشِّـعرُ من نِعَمِ الحيـاةِ عَرَفْتُه　وعَرَفْتُ فيـه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ[3]
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ مَسْفُوكَةٍ　ألمـاً وَوَجْـداً في حنـينٍ ذَاهِبِ[4]
مَا ضَرَّ قوماً لا تُـذَابُ قلوبُهم　شِـعْراً وَدَمْعاً مثل قَلبِـي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَـعُ بالحيـاةِ وتَرْتَضي　مِنهـا مَحَاسِـنَ شُـوِّهَتْ بِمثَالِبِ
والشـاعِرُون تَؤزُّهـم أَدْرَانُها　يَبْغُونَهـا لم تمتـزجْ بِشَـوائبِ[1]

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٢٨

١- لا تنفس: لا تحسد

٢- لا ترعك: لا يثير إعجابك.

٣- لازب: ثابت، لاصق.

٤- الحُشاشة: بقية الروح في الجسد.

حِـسٌّ أرقُّ مـن الأثـيرِ يُهيجُه   ما قـدْ تمرُّ عليـه مَـرَّ اللاعبِ[٣]

وهي الحيـاةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُـعورُه   ألم وأن يُكَثَّـفَ° فَلَـذةَ رَاغِـبِ[٣]

* * *

مَنْ لِـي إذَا جَنَّ الظـلامُ بَهْدأةٍ   كالهادئـينَ وَمَـنْ يُطَمْئِـنُ جَانبي

أنـا في الطبيعةِ مُغرمٌ بِمشـاهدٍ   تُلَهِـي فؤادِي عـن أعَـزِّ رَغَائبي

الليلُ يُشْـجِيني بِرائِـع صَحْوِهِ   وكواكـبٌ يَغْرُبْن إثْـرَ كَواكبِ[٤]

والبـدرُ يُوحي لِي بسـرِّ طوافه   مُسْتَوْحِشـاً لم يأتنـسْ بِمُصَاحِبِ

والحُسْـنُ يَدْعُـونِي إليـه فأنثني   ويَصُدُّنِـي عنـه بِصَفْقَـةِ خَائبِ

* * *

البائسُـون إذا سَـمِعْتُ أنينَهم   أحسسـتُ أن مصابَهم هوَ صَائبِي

والبَاسِـمُون إذَا شهدتُ ثَغورَهم   هَاجتْ حَنيـني للصَّفـاءِ الذَّاهبِ

والبعـدُ يُؤذِيـني ورُبَّ مفارقٍ   لَـمْ يُـؤْذِه يَومـاً تَنائـي غَائِبِ

وكَرَامـةٍ لو مُسَّ منهـا جانبٌ   أصْغَرْتُ عيشِـي عندَهـا ومَطالِبي

بَلغَ الحِفاظُ بِها القداسـةَ والتُّقى   وحَـذَارِ وَهـمٍ خَاطِـئٍ أو صَائِبِ

* * *

١- تؤزهم: تزلزلهم.، أدراهُا: أوساخها

٢- الأثير: المراد النسيم

٣-يُكثّف: من كثف يكثف: يغلظ

٤- الصحو: الهدوء والصفاء.

٥- سمتها: أذقتها

يَاليتَ لي نَفســـاً إذا مـــا سُمْتُها   عَكَرَ الورودِ استرشـــدتْ بتجَارِبي[٥]

لكنَّها نفـــسٌ سَـــمَتْ فَتَأَلَّمتْ   والمـــاءُ لا يصفُـــو الحياةَ لشـــاربِ

دَعْنِـــي أعيـــشُ مُعذَّبـــاً متألماً   بمواهِبـــي يـــا شِـــقْوتِي بِموَاهِـــبي

* * *

سخرية الأقدار*

أغلبُ الظنِّ، وقد تدري الظنونُ أنّهـا ألعـابُ دَهْـرٍ سَـاخرِ
مَاهـرٍ يَهْـزَأُ بالمُسْـتَهزئينَ يبعـثُ النُّكْتَـة عفوَ الخاطـرِ![1]

* * *

وسَـواءٌ أضحكـتْ سُـمَّارَه أم دَهَتْهـمُ بالرزَايـا والمِحـن
فهـو يُلقِـي أبـداً أدوارَه وهـو لا يُسـألُ عن مـاذَا ومَن؟

* * *

يسـمعُ الأنَّاتِ تشـتقُّ القلوبَ صارخاتٍ كشـجِيّاتِ النُّـواحِ[2]
ليكادُ الصَّخْرُ مِـنْ هَوْلٍ يَذُوبُ وهـو يَلْقاهـا بِهُـزءٍ ومِـزَاح!

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- عفو الخاطر: من غير تكلّف.

٢- تفجرها، الشجيات: مفردها شجية، وهي المحزنة.

الصديق المفقود!*

ابحثُوا لي ما استطعتُم عن صديقْ فلقـــد أعيانـــي البحـــثُ الكثيرْ!
مخلِـــصِ الطَّبْـــعِ له قلـــبٌ رَقيقْ خالصُ الإحســـاسِ فَيّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبداَ
لصديقٍ أصْطَفيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدى
غـــيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ[١] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ في القلبِ الشفيقْ ويَـــرى الغـــدرَ بإعجـــابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ بحبِّ الأصدقاءْ[٢]
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ
ســـكرةٌ عَجْلى ومـــنْ ثَـــمَّ أفيقْ فـــإذا بي ألْمَـــسُ الغـــدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْـــلاصُ خَـــلّابٌ بريـــقْ مِنْ سَـــرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصير[٣]

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٣٠.

١- صفيق: قبيح.

٢- همت: تعلقت.

٣- خلاب: خدّاع ببريقه.

أيهــذا الكــونُ إنْ كنــتَ تُجيبُ!

أيُّ عيــش في حِمي الغــدرِ يَطيبُ؟

ثم مــاذا تَبتغــي تلــكَ القلــوبْ

غيرَ إحســاسٍ من العطــفِ رقيقْ يَغْمُــرُ الأرياحَ فَيّــاحَ العَبيرْ[1]

فــإذَا العيــشُ رَجَــاءٌ ووُثــوقْ وإذا الكــونُ رِضــاءٌ وَحُبــورْ

* * *

إنَّ هــذا العطــفَ رَمْــزٌ للخُلودِ

وغِذَاءُ الــرُّوحِ في هــذا الوجُودِ

كلُّ ما فِــي الكونِ لــولاه زهيدْ

ورَحيبُ العيشِ لولا العطفُ ضِيقْ والنعيمُ العَزَبُ مَسْــلُوبُ النعيمْ[2]

وأرى الإنســانَ بالعطــفِ خليقْ في جحيمِ العيــشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

١- فياح : منتشر

٢- العَزَبُ: البعيد الخفي.

ابحثُــوا لي بــينَ أطيــافِ الرجــاءِ
عن صديقي ذلــك الطُّهْــرِ البَراءِ
لــن أملَّ البحـــثَ لو طَــالَ العَناءْ
ليس هذا اليــأسُ باليــأسِ الحقيقْ فهو لن يُنْجي في نفسِــي السَّعيرْ
حِــيرةٌ تائِهـــةٌ مـــا إنْ تُفيــقْ وهي الوحدةُ أو عَيــشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يــا طيفَ الأمَلْ
هَاهُنــا قلبٌ مــن الوحـــدةِ مَلْ
ينشدُ الإخلاصَ في قلبِ خَضَلْ[1]
وهو لا ينــوي عِتابــاً لصديقْ حينمــا يُخطــئُ أخْطَــاءَ الغَريرْ[2]
فبحســبي قلبُه الســمحُ الرقيقْ في فَيــافي العيــشِ إلْفــاً لِــي سمِيْر

* * *

١- خَضّلْ: غضٌّ طري
٢- الغرير: الساذج، عديم التجربة

خراب...!*

أقْفَرتْ شَــيئاً فَشــيئاً كاليباب   غــيرَ آثارٍ مــن النَبْتِ الهَشــيمْ[1]
باقيــاتٍ ريثمَا يَسْــفَى التراب   فــإذا الكــونُ خَلاءٌ في وُجُــومْ[2]

* * *

كان ينمُــو هاهُنا النَّــورُ صغيرْ   فــوقَ نبــتٍ لَيِّــنِ العــودِ هَزيلْ
فَــذَوي النَّوْر، ومــا كانَ نَضيرْ   إنمــا المُعْــدَمُ يَرضَــى بالقليــلْ!

* * *

زهرةٌ في إثــرِ أُخــرى تُحتَضَره   وهْــو يرنُــو ذاهــلاً للزَّهْــرَاتْ
مُلْقَيــاتٍ حولَــه بــينَ الحُفَــرْ   والرِّيــاحُ الهُوجُ تَــدوِي مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكــونُ حوالَيــهِ خَــرابْ   مُوحِشُ الأرجــاءِ مفقودُ القَطِينْ[3]
وهو يرنــو في وُجــومٍ واكتئابْ   يكتــمُ العَبْــرَةَ فيــه والأنــينْ

* * *

ويُــدوِّي حولَه صَمــتُ الفَناءْ   حيــث تُمْحَــى كلُّ آثــارِ الوجُودْ
أينَ؟ – لا أينَ! – الأماني والرّجاءْ   طَمَسَ اليــأسُ عليهــا والكُنُودْ[4]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١- الهشيم: اليابس من كلّ شيء
٢- يَسفى: يتطاير، ومنه: الرّيح السّافية.
٣- القطين: المقيم.
٤- الكُنود: نكران النعمة من كَنَدَ النعمة: كفرها وجحدها.

خريف الحياة *

بَكَــرَ الخريفُ فلا ورودَ ولا زهورْ   ومَشــي الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو   رُ بها، وما تشــدُو الجداوُل بالخريرْ
وسَــرَى القَفارُ بكلِّ مُخصِبَةٍ فَما   تَجدُ الخصيبَ بهــا؛ وما تَجدُ النضيرْ
والسُّــحبُ طافيةُ تُغشّي كالسُّتور   وتسـيرُ وانيةَ الخُطا سـيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ رَونَقها الأسـي   وإذا القلوبُ بها كَلِيمٌ أو كَسـيرْ[1]

* * *

والحبُّ! ويحَ الحبِّ من هذا البكورِ   غامت عليه سـحابةُ اليــأسِ المريرْ
وذوتْ بِجنتــهِ أفانــينُ الْمُــنى   وخَبا بهيكلِ حُسـنهِ القبـسُ المنيرْ
وسَها عن التقديس والتسبيحِ في   محرابهِ العُبّــادُ مَسْـحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحتِه كما يمشي الخليُّ   مــنَ الغرامِ فــلا حنينَ ولا شُـعورْ
هانتْ شَــعائرهُ ومَسّ سـتورهَ   في جُرْأةٍ، غـيرُ المقـدسِ والطّهورْ

* * *

الأرضُ غــيرُ الأرضِ في دورانِها   لتكادُ مِــنْ فَرْط السّــآمة لا تدُورْ
والريحُ غيرُ الريــحِ في جَولانِها   لتكادُ تكتــمُ في جَوانحِها الزفيرْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١ - يَغضّ: يتراجع. الرونق: الصفاء والحُسن.

والطيرُ غـــيرُ الطـــيرِ في ألحانِها لتكادُ تَنْعَبُ بالخـــرابِ وبالثبور[٢]

والنــاسُ غيرُ النــاسِ في آمالِها ليكادُ يجثُــو اليأسُ في تلك الصدورْ

بَكَر الخريــُف فويلَه هذا البكورَ ودنَا المصيرُ فويلَه هــذا المصيرْ![٣]

* * *

١- الجوانح: مفردها الجانحة: ضلع من الصدر والمراد: داخل الصدر.

٢- الثبور: الهلاك.

٣- هنا نداء محذوف: (فياويلهُ)

النفس الضائعة*

أأنكَرْتُ من نفسي أخصَّ شعائري! أئني أنــا؟ أم ذاك رمـــزٌ لغابرِ؟
وأنكرتُ آمالي، وشتّى خَواطِري[1] لأنْكَرْتُ إحساسي وأنكرتُ منْزَعي
مُمَحَّضــةٌ مــن كلِّ خِلــطٍ مُخامرِ وأنكرتُ شِعْري وهو نفسي بريئةٌ
عهــودٌ وآبــادٌ طِــوالُ الدياجـــرِ وتَفْصِلُني عما مضى من مَشاعِري
يخيّـــلُ لِـــي: أنْ لم تمـــرَّ بخاطـــري! وأحســـبُها ذكرى؛ ولكنَّ بُعدَها

* * *

فألْمحُه كالوهم؛ أو طيف عابرِ[2] أنَقِّبُ عـــن ماضِيَّ بين ســـرائري
على السطح تطفُو في مهبِّ الأعاصرِ! أعيـــشُ بـــلا مـــاضٍ كأنّـــيَ نَبتَةٌ
فهل ثَمَّ نَبْتٌ دونَ جِــذْرٍ مُؤازِرِ؟ ومـــا غابـــرُ الإنســـانِ إلا جُذورُه
فكيفَ عزاءُ المــرءِ عن فَقْدِ غابرِ؟ وقد يتعـــزّى المرءُ عن فقـــدِ قابلٍ

* * *

بنفسِـــي التي أحيا بها غيرَ شاعرِ! أُنَقِّبُ عن نفسِـــي التي قد فقدتُها
تَأمُّلُـــهُ يُفْضِـــي بتلـــك الأزاهرِ واطلبُها في الـــروضِ إذ كان هَمُّهَا
تيقَّـــظَ فيهـــا كل غافٍ وســـادرِ وفي الليل إذا يغشى، وكانت إذا غَفا

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١ - منزعي: المنزَع: التروع إلى الغاية والتروع: الحنين والشوق.

٢ - أنَقِّبُ: أبحث

وفي الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى وتُوميءُ لـلأرواحِ إيماءَ سـاحرِ
وفي الفجر، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذى يفوحُ، ويُشْجي سَمْعَهُ لحنُ طائرِ(١)
وفي الحبِّ إذ كانت شَواظاً وحُرْقَةً ومَهْبِطَ آمالٍ ومَطْمَحَ ثائرِ
وفي النَّكْبةِ النَّكْباءِ والغبطةِ التي تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المُحاذِرِ!
ولكنَّني أيئسْتُ أن ألتقي بها وتاهتْ بوادٍ غامرِ التيه غَائرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه يدانِ، ولا يَجْلُوه ضوءٌ لناظرِ

* * *

١- الشذى : الرائحة، يشجي: يطرب أو يثير إحساساته.

الغد المجهول*

يالَيتَ شِعْرِي، ما يُخبِّئُه غَدِي؟ إني أروحُ مع الظنونِ وأغْتدِي[1]

وأُجِيلُ بَاصرتي بها وبَصيرَتي أبغي الهُدى فيها، وما أنا مُهتَدِ[2]

حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ

وأشحتُ عنه، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحتُ عني حَيْرَتي وتَردُّدِي

فكأنني الملاّحُ تَاهَ سفينهُ ويخافُ من شطّ مريبٍ أجْرَدِ!

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ يا غدِي؟ إنّي أُحسُّ هولِ هذا المولِدِ!

سَيصرّخُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ما ملكتْ يدي

ستروغُ مِنْ حولي عواطفُ لم تزلْ تُضفي عليَّ بعطفِها المُتوددِ

ستَجفُّ أزهارٌ يفوحُ عبيرُها حَولي؛ وينفحني بها الأرجُ النّدي[3]

والمِشْعَلُ الهادي سيخبُو ضؤوه ويلفُّني الليلُ البهيمُ بمفردِي

* * *

* نشرت في ١٩٣٤.

١- ياليت شعري: ليت علمي متحصّل.

٢- الباصرة: قوة الإبصار، البصيرة: قوة الإدراك والفطنة

٣- الأرج: أرج الطيبُ: فاح

ماذا تُخَلّفُ يــومَ تذهبُ ياغَدِي ؟ لاشــيءَ بَعــدِ الفَقْــدِ للمتفقدِ

«سَــتُخلّفُ الأيــامَ قاعاً صفصفاً تذرُو الرياحُ بها غبــارَ الفدفدِ»[٤]

لامُرتَجى يُرْجى، ولا أســفَ على مــاضٍ يضيــعُ كأنّه لَــم يُوجَدِ

أبداً ولا ذِكْرى تُجَــدّدُ ماانطوى حتى التــألمِ لا يعودُ بِمَشْــهَدي!

رَبَّــاه إني قــدْ ســئمتِ تــردُّدِي فــالآنَ ،فَلْتَقْدَمْ بِهولِــكَ ياغَدِي

* * *

[1] - صفصفاً: المستوي من الأرض لا نبات فيه. الفَدفدُ: الارض الواسعة المستوية لا شيء فيها

غريبا..! *

غريـــبٌ . أجـــل أنـــا في غُرْبـــةٍ وإن حَـــفَّ بي الصَّحْبُ والأقرُبونْ
غريـــبٌ بنفسِـــي ومـــا تنطوي عليـــه حَنايـــا فـــؤادي الحنُـــونْ
غريـــبٌ وإنْ كَانَ لَمَّـــا يـــزلْ ببعـــضِ القلـــوبِ لِقلـــبي حنينْ
ولكنّهـــا داخلتْهـــا الظنـــونُ وجَـــاورَ فيهـــا الشُّـــكُوكَ اليقينْ
غريـــبٌ فَوَاحاجـــتي للمُعـــين وواهـــَف نفســـي للمُخلصـــينْ

* * *

أكادُ أُشـــارفُ قفـــرَ الحيـــاةِ فأُشْـــفِقُ مـــن هولـــهِ المرعـــبِ
هنالـــك حيـــثُ رُكامُ الفَنـــاءِ يَلُـــوحُ كمقـــبرة الغيهـــب[1]
هنالـــك حيـــثُ يمـــوتُ الرّجاءُ وتشـــوي الأمـــاني كالمُتْعَـــبِ
فأرْجـــعُ كالجـــازعِ المُســـتطار أُرجِّـــي أمـــانيَّ في المَهْـــرَبِ[2]
ولكنـــه مُقْفِـــرٌ أو يـــكادُ فيـــا للغريـــبِ، ولم يَغْـــرُبِ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الغَيهَبُ: الظُّلمة.

٢- المستطار: الفزِع المذعور

مر يوم *

مَرَّ يومٌ منذُ ما استيقظتُ أمسِ مَرّ يومْ!
نبأٌ يأباه وِجْداني وحِسّي فهو وَهْمْ

* * *

مَرّ يومٌ؟ قالتْ الساعةُ مَرَّ، قولُ واثقْ!
أسألُ الشمسَ: أحقًّا؟ والقمرَ فيوافقْ!

* * *

أهو يومٌ في الرُّؤى لا في الزّمان والحقيقةْ؟
أمْ تُرى يومٌ طواه العَقْربانِ في دقيقةْ؟ (١)

* * *

كيف مَرّ اليومُ! ما هذا العجبُ كيف مَرْ
تَكذِبُ الأفلاكُ أمْ حِسّي كَذَبَ؟ أمْ سَحِرْ؟

* * *

لم تكنْ فيه حياةٌ أو أملُ أو تَمَتُّعْ
وهو محْسُوبٌ علينا في الأجلِ فهو أضْيَعْ!

* * *

تَحْسُبُ الأقدارُ بالْكمِ فلا هي تُفَرِّقْ (٢)
بينَ يومٍ مَرَّ أو يومٍ حَلا أو تُحققْ! (٣)

* * *

ونُؤديها كما تَبْغي الحسابَ وَهْوَ عُمرْ!
فيه من خِصبٍ وفيه من يَبابٍ وهْي تَذْرُو (٤)

* نشرت عام ١٩٣٤

١- عقرب الساعة: المؤشر وفيه كناية عن سرعة انقضاء اليوم

٢- بالكم: أي الكمية لا بالقيمة.

٣- مَرّ: من المرارة ضد حلا من الحلاوة.

٤- يباب: خراب

إلى الثلاثين *

إلى الثَّلاثِـين نَصِّـي! الـرِّكابَ حَثيثـةً يالَيـالِ[1]
مَضـي مـن العُمـرِ أغْلـى اللُّبَـابِ فلسـتُ آسٍ لِغَـالِ
مَضـى مـن العُمـرِ مـا يُسـتَطابُ مِـنَ بَهجـةٍ أو جَمـالِ
مَضـى كمـا جَـاء عَهـدُ الشَّـبابِ عهـدُ المُنَـى والخيـالِ
وضَـاعَ في غَمـرةٍ واضْطـرابِ ومَـرَّ دُونَ احتفـالِ
فأسـرعي ياليَـالِ
عَـلامَ مِـنْ بَعْـدِه تُمْهِلـينْ؟ وأيّ غيـبٍ تَهـابْ؟
ومـا احتفـالٌ بِمـرِّ السِّـنين؟ من بعـدِ مَرِّ الشَّـبابْ؟
ومـا الـذي ياليـالِ يكـونُ بعـد اكْتِهَـالِ الرِّغَابْ
يكـونُ – وَاحَسْـرتَاه – السـكونُ عَلى ضِفـافِ اليَبابْ؟[2]
يكـونُ – كالقيـد – عَقـلُ رزيـنٌ! يعطُو لشـطِّ الصِّوابْ![3]
فيَ السُـوءِ المـآبْ[4]

---

* نشرت في آذار(مارس) عام ١٩٣٤.

١- نَصي : اظهري من نَص ينصُّ: رفع وأظهر، عّن وحدد.

٢- الرِّكاب: ما توضع فيه الرِّجل ، والمراد: الاستعداد والتهيئة.

الحثيثة: السريعة الجادة.

٣- يَعطو: يطلّع.

٤- المآب: المصير

فذلــك العقــلُ رمــزُ القيــودِ ونحــنُ شَــرُّ العُنَــاه[1]

يَزُودُنــا عــن مراقِــي الخُلُــودِ وخَــيرِ مــا في الحَيَــاهْ

والطيــشُ رمــزُ الشَّــبابِ المُريــدِ يَســمُو بنِــا عَــن مداهْ

فنحــنُ نَزْنُــو لهــذا الوجــودِ بفتَنْــةٍ وانْتبَــاهْ

فــلا نُبــالي بِصَــرْفِ الجُــدودِ ولا نَخــافُ الغَــداهْ[2]

فــكلُّ يــومٍ حَيــاهْ

يُضاعَــفُ اليــومَ منّــي المُصَــاب إنْ لَــم أعِــشْ بالخيــالِ

قَضَيــتُ - واحســرتَاهُ - الشّــبابَ كالكهــلِ في كلِّ حَــالِ

يجيــشُ بالنفــس سَــيْلُ الرّغَــابِ فــلا يُمَسّــي اعتــدالي

وَوُجْهَــتي في الحيــاةِ الصَّــوَابُ ونظــرتي للمــآل![3]

عصيــتُ أمْــرَ الحيــاةِ المُجَــابُ فــكان رُشْــدي ضَلالي!

فأسْــرِعي ياليــالِ

* * *

١ - العُنّاه: مفردها عان: الخاضع الذليل.

٢- بصرف: من صرَف الدهر: نَوائبه وحدثانه. الجدود: الحظوظ والمراد : فلا يبالي بالأحداث التي يخخطها الحظ لنا.

٣- المآل : المصير والنهاية.

خطا الزمن الوثاب *

خُطَا الزَّمنِ الوثَّـــابِ بعضَ التَّوثُّبِ إلى أيـــنَ؟ قد أوْغَلْت في غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّيـــنَ كالأوهـــام لا أسْـــتَبينُها وتَمضِـــين عَنّي مَوْكِبـــاً إثر مَوْكبِ
وإني كالمخمُـــور قد غـــابَ وَعْيُه وكالشَّـــبَحِ الهَيْمانِ في غيرِ مَطْلَبِ[1]
تشـــابهت الأبعادُ عنـــدي فما أرى أمامـــي فَرقاً بـــين نـــاءٍ ومُكْثَبِ[2]
ويـــا رُبَّمـــا أنـــس أمُـــوراً قَريبةً وأوغل في الماضـــي البعيد المُنكِّبِ[3]

* * *

خُطَا الزّمنِ الوَثّابِ. بعضَ التوثُّب طَويت حَيـــاتي بينَ صبُـــحٍ ومَغْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي ضَمْمـــتِ ثَناياه علـــى كلِّ مُعْجِبِ
وأسْـــتَرْجِعُ المَاضِـــي رُويـــداً وَهينَةً أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحكُ الصبَّي[4]
وأسْـــمَعُ أوهـــامَ الفـــتى وخَيالَه كما يَسْمَعُ المُشـــتاقُ ألحانَ مُطْرِبِ
قفي لحظةً؛ أنظُـــرْ إلى الأمل الذي أبَحْتُ له من مُهْجَتي كلَّ مَشْـــرَبِ
وغَذّيتُه نَفْســـي، وقَـــدْ بِعْتُ دُونَه حَواضـــرَ أيامي ومَاضِـــي المُجرَّبِ

---

* نشرت في تشرين (اكتوبر) عام ١٩٣٧
١- الهَيمان: من هَامَ يهيمُ: خرج على وجه الأرض لا يدري أين يتوجه.
٢- ناء : بعيد. مكثب: قريب.
٣- المنكب: من نكب عنه: عَدَلَ وتنحّى.
٤- هينة: بطيئاً.

قفي. أنتِ قد جَفَّلتِ مَاضِيَّ فانزوي   ونَفَّـرتِ آمالي وعَمَّيْـتِ مَآرَبِي[1]

* * *

تَمرَّين يـا أيـام قَفْـراءَ؟ أمْ أنا   خَويتُ من الإحساس؟ قُولي وأطنبي[2]

وأحْسَـبُ أنْ لَن تُعْـربي بِمقالةٍ   إذا كان سَمْعي لا يصيخُ لمُعْرِب![3]

* * *

١- جفلت: طردت. مآربي: حاجتي الشديدة

٢- خويتُ: من خوى المكان : خلا مما كان فيه. أطنبي: أطيلي .

٤- تعربي: توضحي وتبيني

نهاية المطاف *

تَنْشُــدُ السُّــلْوَانَ من حُبٍّ عَقِيم   وتــرومُ الْبُــرءَ مــن دَاءٍ قـديم
ها هُو السُّــلوانُ فانْظُــرْ: أتَرى   شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ؟ (١)
شَــاه في خاطِرِك الكــونُ وماتْ   وتَخَلَّتْ عنــك أحْلَى الذِّكْرَياتْ (٢)
وبَــدَا العُمْــرُ حَزينــاً عَاطِــلاً   كامِدَ السَّــحْنَةِ مَجفُوَّ السِّــمَاتْ
قَدْ مَضَــى الحُلْمُ، فحقّق في العَيانْ   هل تَرى إلاّ خــواءً في الزَّمَانْ؟ (٣)
وتهاويلُ الــرُّؤى... يــا ويَحها!   غالها الصَّحْوُ فماتــتْ مُنْذُ كَانْ! (٤)
نَــمْ قَريرَ العــينِ إنْ كنــتَ تَنامْ   لَفَّكَ الصمــتُ وغَشَّــاكَ الظَّلامْ
يَأمَــنُ الدُّنيَــا ويَخْلُــو للكَرى   مُعْــدَم الكفينِ مَفْقُــودَ الحُطَامْ! (٥)
قَدْ خَلا الهيكلُ مــن وَحْيِ الصنَّمْ   وغَدا معبــودُكَ الأسْــنَى حُطَمْ (٦)
أتُطيــقُ الآنَ تحيــا مُلْحِــدَا   أم تُــرى تَخلُــو لشــيطانِ النَّدَمْ
ضِقْتَ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ   أتَــرى الأمْــنَ هُنا بــينَ اليَبَابْ؟

---

* نشرت في آب (أغسطس) عام ١٩٤٥

١- السلوان: من سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٢- شاه: قبُح

٣- خواء: من خو يخوي: خلا مما كان فيه . والمراد الفراغ

٤- غالها : أهلكها

٥- الحطام: متاع الدنيا.

٦- الأسنى: الأعلى

أيهـــا المنكـــوبُ في أحْلـــى المُنَى الحياةُ الحـــُّب والحُـــُّب العَذابْ!

ضِقْــتَ بالقيدِ! فها أنـــتَ طلَيقْ! ما يُبَاليـــكَ إذن حَـــادِي الرَّقيقْ!

فَهُـــو يُخْلِي في الفيافِـــي كلَّ مَنْ لا يُســـاوي ثَمنَ القيـــدِ الوَثيقْ![1]

عُمْـــرُكَ الفَـــارِغُ كالثِّقْـــلِ زَهيدْ ليس فيـــه مِنْ طَريـــفٍ أو تَليدْ[2]

وهـــي الأيـــامُ تَقْضِـــي مِثْلَمـــا تَنْقَضِـــي أيـــامُ مَأجُـــورٍ شَـــريدْ

أيـــنَ أحْلامُكَ بالعُـــشِّ الجميلْ؟ أيـــنَ آمَالُـــك في الظِّـــلِّ الظَّليلْ؟

قَـــدْ مَضَـــى الحُلْمُ ووَلّـــى مُوهِنا فاركَـــنْ الآن إلى الصَّحوِ الطَّويْل!

تَمّـــض يا منكودُ ما كنـــتَ تَرومْ ومَشَى السُّـــلوانُ في الحبِّ القديمْ

نَـــمْ قريـــرَ العَينِ واهنَـــأ بالكَرى الكَـــرى المَيِّتِ في القلـــبِ العَقيمْ!

* * *

١- الفيافي: الصحراوات

٢- طريف أو تليد : حديث أو قديم

الحنين

كان ، والمؤلمُ في (كان) الفَناءُ !

حيث لا رُجعي ولا طيفُ أملْ

عهد الصغر *

إذا الليـــل جَـــنَّ تجيـــشُ الفِكَـــر   ويُـــؤرِّقُ جَفْنِـــي مَـــرُّ الذِّكَرْ[1]
ويخلُـــو فـــؤادِي لأحلامِـــه   فيجعـــلُ منهـــا حديثَ السَّـــمَرْ
وتَخْلُـــدُ رُوحـــي إلى الذكريات   فَتَسْـــري تبَاعـــاً سِـــراعاً تَمُـــرْ
فآنـــاً تُـــؤزُّ وآنـــاً تَلـــذُّ   وآنـــاً تَسُـــوءُ وآنـــاً تَسُـــرْ[2]
هـــدوءٌ طويـــلٌ وصمـــتٌ رهيبٌ   وفي النَّفْسِ أشـــجانُها تَشْـــتَجرْ
إذا مـــا ذَكَـــرْتُ زمانـــاً تَقضَّـــى   بديـــعَ الرُّسُـــومِ جميـــلَ الأثـــرْ
تـــراءى لِنَفْسِـــي عهـــدُ الصِّغَـــرِ   فتشـــتاقُ نَفْسِـــي لعهـــدِ الصِّغَرْ
لعهـــدِ الرِّضَـــاء وعهـــد الحُبورِ   وعهـــدِ الصَّفَـــاء القليـــلِ الكَدَرْ
أنـــامُ وأصْحـــو علـــى ما أشـــاءُ   طـــروبَ الفـــؤادِ قريـــرَ النَظَرْ
وتصحُـــو الغزالـــةُ مِـــن خِدْرِها   فتزهُو الـــورودُ ويحيـــا الزَّهَرْ[3]
وتبـــدو الرِيـــاضُ ريـــاضُ القُرى   بوشـــيٍ جميـــلٍ ووجـــهٍ نَضِـــرْ
ويَسْـــجَعُ فيهـــا الحمـــامُ طروباً   وتشـــدُو البلابلُ فوقَ الشـــجرْ

---

* نشرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨

١- تجيش الفكر: تتدافع وتتدفق الأفكار.

٢- تؤز: تزلزل بشدة.

٣- الغزالة: يقصد بها الشمس

رعـــى اللهُ عهـــداً جميـــلاً تولَّـــى وخَلَّفَنـــي للأســـى ثُـــمَّ مَـــرْ
وأسْـــلَمني لِصعـــاب الأمـــور وكيـــدِ الصُّروفِ وطولِ السَّـــهرْ

* * *

ألا يَـــا رَعـــى اللهُ عهـــدَ الصِّغَـــرِ ألا يـــا لحـــا اللهُ عهـــدَ الكِبَرْ[1]
فذلـــك عهـــدٌ صبَـــوحٌ أغَـــرْ وهـــذا عبـــوسٌ ظَلـــومٌ قَتِـــر

* * *

١- لحا فلاناً: قبّح فلاناً.

جولة في أعماق الماضي*

حَدِّثَـاني بمـا مَضَـى حَدِّثَانـي وأعيـدَا إليَّ عَهْـدَ الأمانـي
واذكـرُا لي زمانَ عشـتُ طَروباً لا أُبـالي بحادِثـاتِ الزمـانِ
وصِفَـا لي لياليـاً قَـد تَقَضَّـتْ كنتُ فيهـا كالحالِم الوَسْنَانِ
صَوِّرَا لي الريـاضَ والزهرَ والوردَ ولحنَ الطيـورِ عَـذْب الأغاني
وأعيـدَا لَمَسْـمَعِي ذكريـاتٍ لا تَصَـدَّى لهـا يـدُ النِّسيانِ
واسمحَـا لي بزفـرةٍ وحَنـينٍ ليس لي سَلوة سِـوى التحنانِ(١)
واغفـرا لي دُمـوعَ عيـني فـإني لأرى الدمـعَ فـوقَ كل بيـانِ
إنَّـه النَّفْـس رُقِّقـتْ ثم سَـالتْ أو هـو القلبُ ذَائبـاً من حنانِ
وأقـلُّ الوفـاءِ للعهـدِ ذِكْـرى هي خيرٌ مـن حاضـرِ الأزمانِ
وقليـلٌ عنـد التذكُّـر شـوقٌ ودُمـوعٌ تُكـنُّ أسْـمى المعاني
إنّ ذِكْـرى القديم للنَّفْسِ تُؤسِـي وتُهيِّـجُ الشُـجونَ للوجـدانِ
وهُـو واللهِ بعـضُ أجزاءِ نَفْسِـي باعـدتْ بينهـا يَـدُ الحَدثَانِ(٢)
فاذكُـرَا لِـي القديم همسـاً ورفقاً ودَعَـاني أجيـشُ لا تَعـذلانِ

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٨، ثم نشرت في آذار (مارس) بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)

١- التحنان: الحنين الشديد، أو الرحمة

٢- الحدثان: الليل والنهار

يــا ديــاراً نَشــأتُ فيهــا صبيًّا وصَحِبتُ الشــبابَ في العُنفُوَانِ

لــكِ مــني تحِيــةٌ وســلامٌ أنــتِ دارُ النعيــمِ والرِّضْــوانِ

فيــك يــا دارُ من صِباي رســومٌ زاهيــاتُ النقــوشِ والألــوانِ

هــي عندي أعــزُّ من كلِّ شــيءٍ وهــي تبقــى وكلُّ ما عَــزَّ فَانِ

فيــك يــا دارُ من هَواي رَســيسٌ وألــذُّ الهوى هــوى الشُّــبانِ[1]

* * *

فهو رَوضُ الحيــاةِ في ذلكِ الحينِ وفيــه القُطــوفُ شــتى دَوانِ

وهو وحي من جانــب اللهِ يُوحي وهــو ســرُّ الإلــه في الإنســانِ

مــا أرى العيشَ غــيرَ حبٍّ بريءٍ مــن ذميــمِ الأهــواءِ والأدْرَانِ

رُبَّ يــومٍ قضيتُــه في حُبــورٍ بــين جمــعٍ من صفــوةِ الخِــلاّنِ

دونَــه الدهــرُ والحيــاةُ جميعــاً في رِضــاءٍ ومتعــةٍ وامتنــانِ

* * *

إن تلــك الحيــاةَ شــيءٌ عجيبٌ وهــي النَّفْــسُ كلَّ يومٍ بِشَــانِ

كيــف كان الربيــعُ ثوبــاً بهيجاً وهــو اليــومَ نَاصِلُ الألــوانِ؟[2]

ها هــو الروضُ والــوردُ والزهرُ وهــذا الحَمَــامُ مــن فــوق بانِ

لا أرى الــوردَ غير جذرٍ وســاقٍ أو أُحِــسُّ الغِنــاءَ عذباً شَــجاني

١- رسيس من رسّ يُرسُّ رسيساً: دخل وثبت المراد: أثر باق ثابت.
٢- ناصل الألوان: زالت ألوانه من نَصلَ اللون : زال اللون

إنما النَّفْسُ حين تَصفُو تَراها خلعتْ صَفْوها على الأكوانِ

وهي النَّفْسُ حين تَغْبَرُّ يَبْدُو كلُّ نورٍ أمامها كالدُّخانِ

لو تساوى الإحساس في كلّ آنٍ تتساوى الأشياء في كلّ آنِ

عَمَّرك الله ما المحاسِنُ إلا صورةُ النَّفْسِ في بديع افتنانِ

وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ في خيالٍ فحُققت للعيانِ

فرعى الله عهدَ أُنس أراني صورةَ الكَونِ في جمالِ الحسانِ

وَرَعى الله خيرةً ورفاقاً ورَعَى الله أربعاً ومَغانِي[1]

* * *

١- أربعاً: مفردة ربع، والرَّبع محلة القوم ومترلهم وقد يطلق على القوم مجازاً. المغاني: المنازل

الماضي*

شَبَحُ الماضي وما الماضي سوى بعض نَفْسي قَد تولاَّه العَدَمْ
يَتراءى كُلَّما شَطَّ النَّوى فإذا الذكرى شُجُونٌ وألمْ
وإذا الكامنُ في نَفْسيَ ثارَ
جَائشاً مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلَّما أقْبَلَ يومٌ ومَضَى أَوْغَلَ الماضي بمجهول سَحيقْ
ذاهباً عني كبرق أوْمضا ثم دَوَّى بعدَه الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحته صَخَبٌ مُثارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزَّمن كيفمَا أهوى وأنِّي أَرْغَبُ
لرجعتُ الدَّهْرَ للماضي إذَنْ فإذا بي حيثُ كُنَّا نَلْعَبُ
ورفاقٌ ليِّنو العودِ صغارٌ
ليسِ تدرِي الألَمَا
والهُمُومْ
زَهَرَاتٌ نَضِرَاتٌ باسماتٌ تلمح الغبطة فيها والرضاء
مَرِحَاتٌ مَشرقاتٌ لاهياتٌ لا تَرى في الكونِ إلا ما تَشَاءْ
فَهْوَ روضٌ زَاهرٌ دَاني الثِّمارِ
وَهْيَ نورٌ قد نَمَا
في الكُرومْ

تَتَساقى الودّ مِنْ غيرِ انْتباه فإذا العيشُ سرورٌ وفَرَح[1]
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدَّى في نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
في زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ مِنِّي ذلك العهدُ الوَسِيمُ أينَ مِنِّي بعضُ أيام الصِّغَرْ
إنَّها مَرَّتْ كما يهفُو النسيمُ فَيُحَيي ويُحييه الزّهَرْ
ذهَبَ الماضي وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُما
كالظّليمْ[2]
أيُّها الماضي رُويداً في خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضي مُسْرعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نَواكَ وبِحَسْبِي مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا(١)
لَجّتْ الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

* * *

١- تتساقى: تتبادل الشراب
٢- كالظليم: ذكر النعام.
٣- نواك: فراقك.

رثاء عهد *

أأنــا أرثيــك يــا عَهْــدَ المُنَى؟ أأنــا أرْثيــكَ يــا عهــدَ الوَفَاءِ؟
أنْــتَ يَــا عَهْــدُ أأرْثِيــكَ أنَا؟ لا. فَلَــنْ أقْوى على هــذَا الرِّثَاءِ!

* * *

لا. ولَنْ يَجــرى على الطِّرْس قلمٌ لا. ولَــنْ تُعْلِــنَ هَــذَا كَلِمَاتْ[١]
أرِثَــاءٍ؟ أغَــدَا الماضِــي عَــدَمٌ؟ أو هــل يَغْــدُو رَهينــاً بِفَواتْ؟

* * *

رَبِّ . حقٌ ذاكَ أمْ هاجِسُ ســوُء يَنْفُــثُ الهــمَّ بنفســى والقَلَقْ؟
أمضَى عهــدٌ هو العمــرُ الهنيءُ؟ أو حــقٌ ذاك يــاربُّ أحَــقْ؟

* * *

أوَ عهــدٌ هــو رَيّــا مُهْجَتَــين وهُو سَــارٍ في الحَنَايَا والشِّعَاب[٢]
يَنْطَــوِى كا لــبرقِ في غَمْضَة عينٍ ثم يبــدُو لا ئحاً مِثْل السَّــرَابْ؟

* * *

أوَ يغــدو ذلــك العهــدُ الوســيمُ حُطَماً!! تَلْهُو به أيــدى الفَنَاءْ؟
زَهْــرةٌ في الكُــمِ تَلْقَاهَــا هَشــيمْ ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِــقاء[٣]

---

* نشرت في أيلول (سبتمر) ١٩٢٩.
١- الطرس: الورق الذي يكتب عليه
٢- ريّا مهجتين: ما يروى قلبين.
٣- الكم: البرعم. الهشيم: عشب جاف.

أهُنَــا مَثْــواكَ يــا عهــدُ. هُنا؟ أهُنا يــا عهد أقْصَــى خُطَواتكْ؟
وإذَا أدْعُــوك يــا عهــدَ المُنَــى لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتكْ؟
* * *

وإذَا قَلّبْــتُ يــا عهــد ُ يــديَّ حســرةً قاتِلــةً أو لَهْفَــا
أتُــرى تَرنُــو بإشــفاق إليَّ أم تَــرُدُّ الطَّرْفَ عَنّــى صَدْفَا؟[١]
* * *

ولو أنى اســطعتُ يا(عهــدُ) الرّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ ســنينْ
فبــأي القــولِ أســطيعُ الوَفَــاءْ وبــأيّ الدمــعِ تُذْريــه العيونْ؟
* * *

أنْتَ جــزءٌ من فؤادِى قَــدْ فقدتُه ما غَنَاءُ القــولِ في صَدْعِ فُؤادْ؟
أو غَنَــاءُ الدّمْعِ في مــاضٍ عَدمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجّــى مِنْ تلادْ؟[٢]
* * *

آه يــا عهــدُ ومــا آلَمَ آهُ وهي ذَوْبُ النفــسِ لا رَجْعُ أنِينْ
أُغــرِبي عَنّــي بعيــداً يــا حَيــاهْ لا يطيــقُ العيشَ منكــوبٌ حزينْ
* * *

١- صدَفا: من صَدَف عنه يَصدفُ: أعرض ومال، وصدف فلان عن الشيء: صرفه.
٢- تلاد: المال الأصلي القديم والمراد: الأصالة

عهد ذاهب؟!*

عُــزَّ حــتى لَتُوقِيــه العيــونُ وتَفْديــه الأمَــاني والقُلــوبْ
وتَســامَى عَــنْ مَنــالاتِ الظُّنونِ وبَــدَا كالخُلْدِ مَأمــونَ المَغيبْ
لا تَراه النفسُ إلاَّ بَاقِيا
أبدَ الدهر قويّاً وَاقيا
طاهرَ الأردَانِ عَفّا سَاميا[1]
كالرجاءِ العَذْبِ في الذّهنِ الخصيبِ زَاخِراً مَــا إنْ يُرائِي أو يَخيبْ
هُــو عَهــدٌ صِيغَ مِــن حُــبٍّ نَقيٍّ وسُــمُو فوقَ إحْســاسِ البَشَرْ
وَوِقــاءٌ ســابغُ الغيــضِ نَــدِيٌّ وحَنــانٌ مِثــلَ أرْواحِ الزَّهَرْ[2]
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ النَّقَاءْ[3]
وتَجلَّــى الغيــبُ عَنْــه فَســفَرَ في جــلالٍ وجمــالٍ مُزْدَهِــرْ
كَانَ. والمُؤلِــمُ في (كَانَ) الفَنــاءُ! حيثُ لا رُجْعَــي ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَــاه بَغْتَــةً سَــهْمُ القَضَــاءِ فَتَراخَــى في انحــلالٍ واضْمَحلْ

---

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- الأردان: مفردها رِدن: وهو طرف الكُمّ كناية عن الطهارة العامة.

٢- الغيض: القليل.

٣- أفاويق: مفردها، الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين والمراد به أطيب الطعام وأطهره.

وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَاليًا

من رُوَاءٍ كان فيه حَاليًا[١]

مُوحِشَ الأرجَاء يبدُو خَاويًا

غـــاض مِنـــه كلُّ أُنْـــسٍ وارتَحَلْ مِثْلَما يَخْلُـــوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[٢]

أيُّهـــا العهـــدُ الـــذي مَـــرّ. ودَاعاً هـــو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ

ســـوفَ تَبْقَى أبـــدَ الدَّهْرِ شُـــعاعاً في ضمـــيري يَتَـــراءى في الظُّلَمْ

سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثّاكِلِ

وأروّيكَ بِدَمْعي الهاطِلِ

وأُناجِيكَ بِقَلْبِي الذّابِلِ

طَالَمـــا أحْيَـــا فَأمَّـــا يَنْصَـــرِمْ ذَلِـــكَ العمـــرُ تولاّنـــا العَدَمْ

* * *

١- حالياً: مزيناً

٢- الطلل: بقايا الدور

السعادة حديث الأشقياء *

إيــه حَـدِّثْ عـن السَّـعادة إنِي قد مللتُ الشَّـقَاء كلَّ الشَّـقاء
أطلــع الصبُّــحَ في حَديثِــك يجلو بعضَ هذا الأسـى بفيض الضيّاء
يا أخــي ضَاقَ بالحــوادث ذَرْعي وسَــئمتُ الشَّـكاةَ مِنْ بَأسائي
ومَللــتُ الحديــثَ فيهــا فحدِّثْ أنتَ يــا صَاحِبي حديــثَ الهَناء
إنَّ بعــضَ الحديثِ يُدنِــي الأماني بخيوطٍ – وإنْ وَهتْ – مِنْ رَجاء

* * *

أبْعــثُ الطَّــرْفَ في الفَضــاءِ مَليَّا فأرى الأفــقَ ضيقــاً في الفَضاء
والصبــاحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْــري لفــؤادي كمــا سَــرَى بالرِّضَاء
والربيــعُ الأنيــقُ ما عَــادَ يُذكي فــيَّ وَمْــضَ الحيــاة كالأحياء
والجمالُ الذي يَشيعُ في النفسِ رُوحاً عــادَ مَيْتــاً مُعَطَّــلَ الإيحَــاء
هــي نفسٌ أحالــتْ الكــونَ قَفْراً فتــراءَى مُعطــلاً مِــنْ وَرَاء
هــي نفــسٌ تَحطَّمَتْ يالنفســي هي دَائِي فلســتُ أرجو شِــفائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشَّــجُون وهاجتْ حُرقَــاتِي وأيقظــتْ لأوائــي[1]
يا أخِي هَاتِ مِــن حديثِك. صَوِّرْ في خَيــالِي مَلامِــحَ السُّــعَدَاء
كيــفَ يَحيَــون غِبْطَةً وابتســامًا كيــفَ يرضَون للأمانــي الوضَاء
أو فأمْسِــكْ فــكلُّ شــيءٍ مُثيرٌ لشُــجُونِي. وخلِّــنِ وشَــقَائِي

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٠

١- الأواء: الشدّة والألم.

وحي الريف

ياريف تدعوني إليك ؛ إنني

للمستطار إلى لقاكَ الظامي

ليالي في الريف *

مِــنْ حنينِ الفــؤادِ؛ مِــن خَفَقَاتِه ... ذلك الشِّــعرُ، من صَدى زَفَرَاتِه
وَسِــعَتْه الألفــاظُ وَزْنــاً ومَعْنَــى ... ثم ضاقــتْ عن رُوحِه وسِــمَاتِه
هُــو وحــيٌ لذكريــاتٍ حِسَــانٍ ... أوْدَعَ الخُلْــدُ بينهــا ذِكْرَياتِــه
وليــالٍ يَــا حُسْــنَها مِــنْ ليــالٍ ... يَشْــتَريها مُخلّــدٌ بحياتِــه
هَمسَ الصمــتُ بينها هَمسَــاتٍ ... خَفَّــضَ الكونُ عِنْدهــا خَفَقاتِه
وسَــرى البدرُ مُغمِضَ الجفنِ وَسْنَا ... نَ كَطَيْفٍ مُسْــتَغْرِقٍ في سُــباتِه

* * *

يــا جمــالاً بريــفِ مِصــر قريراً ... هــادىءَ البالِ في خُشــوعٍ وَقُورِ
لســتُ أنســى فيكَ ليــاليَ مرتْ ... هُنــاً أطيــافُ عهدِنــا المَأثُــورِ
حينَ نَسْــرِي والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً ... فوقَ ســهلٍ كالعَيْلَم المَسْجُورِ (1)
بينمــا الزهــرُ حــالمٌ في رُبْــاه ... وغُصــونٍ مُهَــدَّلاتِ الشُّــعُورِ
وخريــرُ الأمــواه سَــاجٍ رتيبٌ ... مثــلَ شَــدْوٍ في عَالَمٍ مَسْــحُورِ
ونَجــيٌّ مــن الرِّفــاقِ بِهَمْــسٍ ... وحديثٍ مُسْــتَعذَبٍ مِنْ سَــمِيرِ
قَــدْ وَعَــى الدهرُ هــذه الليلاتِ ... ووعينَــا آثارَهــا الباقيــاتِ

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١ – العَيلَمُ المسجور: البحر المملوء

فهي ذِكْــرى تَوشَّــجَتْ بنفوسٍ حانيــاتٍ لطيفِهــا رَاجِفَــاتِ[3]
ســوف تُعييه رُقْيــةٌ مــن خُلُودِ عوّذَتْهــا الفنــاءَ والحَادثاتِ.![4]
هذه مَسْــكَةٌ مــن الأبــد البَاقي المعهــودِ قبــلَ خَلْــقِ الحيــاةِ
ذَخَرَتْهــا الأحقابُ حــتى اجتمعْنَا فأبيحــتْ فمالَهــا من فَــوَاتِ

* * *

١- ساج: ساكن هادئ.
٢- نجيٌّ: من النجوى: الحديث الخافت بين الرفاق.
٣- توشجت: ارتبطت برباط قوي.
٤- عوّذتها: حصنتها

العودة إلى الريف *

مَهْدَ الرَّجَــاءِ ومَهْبِــطَ الأحلامَ   وطَــنى عليــك تَحيتي وسَــلامي
يا ريف فيــك من الخلــودِ أثَارَةٌ   تنســابُ في خَلَدي وفي أوْهامي[1]
وتردُّ إحْسَاسِــي إليك إذَا خَلَتْ   نفســي إلى الآمــالِ والآلام
وكأنَّني المســحورُ يَقْفُو سَــاحِراً   في بُهْــرةٍ كالطائــفِ النّــوام![2]

* * *

إني فقدتُــكَ في الطفولــةِ غافلاً   عَمَّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السّــامي
لكن وجدتُــك إذ كبرتُ بخَاطري   رمــزاً أُحيــطَ بغَمْــرةِ الإبهــام
وتكشّــفتْ نَفْســي فلُحتُ كأنما   نَفْســي وأنْــتَ جُمِعْتُمــا بتُؤام[3]
ووجدتُ أَحْلامــي لديكَ وَضيئةً   لم تُبْــلِ جدَّتَهــا يــدُ الأيــام
واليومَ عُدتُ إليكَ أَحْسَــبُ أنني   طــيْرٌ يــؤوِّبُ بعــدَ جَهــدٍ دَام
يا ريــفُ تدعُوني إليــك؛ وإنني   للمســتطارُ إلى لقــاكَ الظّامــي!

* * *

هــذا الهــدوءُ كأنّما هُــو عَالَمٌ   في الوهــمِ، لَــمْ يَتَبَــدَّ للأقــوام
وكأنّه الحُلُــمُ الجميــلُ يَحوطُهُ   صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتســامي
وتُحُس بالســرّ العميــقِ تَخالُهُ   يُضْفــي علــى الأيقــاظِ والنُّوام

* نشرت عام ١٩٣٣

١- أثارة: بقية

٢- في بهرة: في دهشة.

٣- بتؤام: التوءم: الصَّدَف، التُؤامية: الدُّرَّةُ

ويلوحُ في وضـحِ النهارِ ويَنْطَوي ما بينَ طيـاتِ الظَّـلامِ الطّامي[1]
هو ذلك السِّـرُ الـذي مفْتَاحُه ضُمَّـْت عليـه جَوانِـحُ الأهرامِ

* * *

إني أجـولُ بخَاطـرٍ مُتنقـلٍ في حيثمـا امتـدَّ البسـيطُ أمامي
فـإذا مَواكِـبُ للجمـالِ وَديعةٌ جمَعَـْت طرائفَهـا يَـدُ الإلهـامِ
للطيرِ فيهـا، للأزاهـرِ، مَوْكِبٌ للنـاسِ، للحشـراتِ، للأنْعـامِ!
متآلفِين، سَـرى الرِّضَا لنفوسِهِم فيما اغْتَذَوا من مَشْـرَبٍ وطَعامِ!
كلُّ يرجِّـعُ للطبيعـةِ لَحْنَـه في ذلك الوادي الخصيـبِ النّامي
وهُنـا الطبيعـةُ كالغريـرة إنمـا وَرِثَـتْ وقـارَ أُبـوّةٍ مُتَـرامِ![2]
تَلْهُـو، ولكـن في بـراءةِ طِفْلةٍ مـن نَسْـلِ آلهةٍ غَبَـرْنَ كـرَامِ!
عَبَدتْهـم الأوهـامُ في غَمَراتِهَـا وانـدسَّ بعضُ الوهـمِ في الأفهَامِ
وتَوارثَتـه طبيعَـةٌ خَلـدَتْ بهـا مصـرٌ علـى كَـرٍّ من الأعـوامِ
يا ريفُ مِصَر، وأنت سِـرُّ بَقائِها اسـلَمْ، فَدَتْكَ مَواهِبي وحُطَامِي.

* * *(١)

[1]- الطامي: الشديد .
٢- الغريرة: الساذجة من غير تجربة.

الليالات المبعوثة*

بعد عام كاملٍ من الليلات الأولى عاد الشاعرُ إلى الريف، فقضى فيه ليلات مثلها، في جوٍّ نفسي مُماثل، وبين رِفاق هم الرفاق، وكان عدد الليلات الأولى والثانية مُتحداً.

أَهُـو البعـثُ ياليالـي الخُلودِ؟ أمْ تُـرى أنتِ نَفْخَـةٌ من جديدِ؟
أم تُـرى صـورةٌ منـك صِيغتْ بـين وَحـي الإلْهـامِ والتجويدِ؟
يـا ليالّي مـا أراكِ سِـوى أنتِ كمـا كنـتِ مـرة في الوجودِ!
ها هُنـا والزمـانُ يَحْلُم وَسْـنا نَ سـعيدٌ لهـا بِحُلْـمٍ سَـعيدِ!
ورَنَـا البـدرُ في حَيـاءٍ وَديـعٍ وهـو راضٍ رِضـاءَ طفـلٍ وَليدِ
ورِفاقـي هـم الرِّفاقُ، ونَفْسِـي هي نفسِـي، وعَالَمي؛ وعهودي!
مـا أرى مَعْلَمـاً تغيَّر أو رَسْـماً مَحَتْه يـدُ الزمـانِ الكَنُـودِ[1]
أنـتِ ليلاتُنـا! فَقُصِّـى عَلينـا كيـف أفْلَتِّ من زمـانِ القيودِ؟

* * *

قَـدْ تسـللنَ خِفْيـةً في الظلامِ بينما الدهـرُ سَـادِرُ الأوهامِ![2]
ثم وَافينَنَـا وهُـنَّ سُـكَارَى حالمـاتٍ أَغْرقْـنَ في الأحـلامِ
هامسـاتٍ لَنا. لقد بُعِـثَ العَهْدُ فهيـا مِـن كُلِّ لَهفـانَ ظَـامِ[3]

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الكنود: يذكر المصيبات وينسى النعم.

٢- سادر: لا يهتم ولا يبالي بما صنع والمراد حائر الأوهام

٣- اللهفان: المتحسر.

فأجبنَــا دُعاءَهــنَّ سِــراعاً وخلَعْنــا دُنيا الحِجــا والحُطام[1]
ورقينا مَــدارجَ الخُلْــدِ والكَونُ مُسَــجًّى في غَفْلَــةٍ وظَــلامِ
ها هُنا كنــتُ منذُ عــامٍ! ولكن يــا لنتفســي! فها هُنــا أيَ عامِ!
مــا أرى للزمــانِ رسمــاً! فهذا كلُّ شــيءٍ هُنــا كرمزِ الــدَّوام
إيــه ليلاتنــا، أعيــدي علينــا قصة الخُلْــد، فالأماني ظَــوام[2]

* * *

خَيَّــمَ الليلُ في خُشُــوعٍ رَهيبٍ غير لمحِ الرؤى، وخَفْــقِ القُلوبِ
وسَــرينا نرتــادُ سِــرّض الليالي وهــي تُفْضِــي بِســرِّها عجيب!
ومَتاعــاً مِــنَ الحيــاةِ نَفيســاً ضَمَّنَتْــه آلاف عهــدٍ خَصيــبِ
قَــد رَشــفْنَا خلاصةً منــه تُغْني عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّــعوبِ
وسَــرى في النفوسِ معنىً جديدٌ عَبَّــرَتْ عنــه بالغنَــاءِ الرتيــبِ
وتســامتْ أرواحُنــا في نَجــاءٍ وتهــادتْ قُلوبُنــا في دَبيــبِ
تِلــكَ ليلاتُنــا، وهــذا صَدَاهَا إيــهِ ليلاتنــا؛ اخْلُــدي، لا تغيبي

* * *

١- الحجا: العقل (الإدراك والفطنة)، الحُطام: متاع الحياة.
٢- ظوامئ: مفردها ظامئ وهو العطش الشديد

ريحانتي الأولى
أو
الحرمان *

ريحانـــتي الأولى وَرَوْحح شـــبابي   أئذا دَعْوتُ سَـــمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ
أنا في الجحيـــمِ هُنا وأنـــتِ بجنَّةٍ   مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ شَـــبابِ[1]
أنا في الجحيمِ وأنـــتِ نَاعمةُ المُنَى   خَضْـــراءُ ذاتُ تَطلّـــعٍ وطِـــلابِ
أنا لا أُريـــدُكِ هاهنـــا في عالَمي   إني أُعيـــذكِ مِـــنْ لَظـــىً وَعذابِ
لَكِنّهـــا الذِّكْرَى تثـــورُ بِخاطِري   مَجْنُونَـــةً حمقـــاءَ ذاتَ غِـــلابِ

* * *

عَيْنـــي رَعَتْكِ وأنـــتِ نَابِتَةٌ فلم   تَغْفَـــلْ ولم تَفْتُـــرْ ولم تَتَأَلَـــمِ
وتَعَهَّدَتْـــكِ يَـــدِي وأنـــتِ نحيلةٌ   وغِذَاكِ من نَفْسي الحَنانُ ومِنْ دَمي
فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلكِ تَنْتَشـــي   وتَهُـــمُّ رَاقِصَـــةً وتَهْتِـــفُ بالفـــمِ
حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّـــذى   ألفيـــتُ نَفْســـي في صميـــمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالـــكَ لا أُحسُّ ولا أرى   إلاّ الشُّـــواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتِـــمِ[2]

---

* نشرت في أيلول(سبتمبر) عام ١٩٣٧

١-رَيق: من الرّوق: أول الشيء، روق الشباب: أوله.

٢- داج معتم: شديد الظلمة.

بيــني وبينــكِ شُــيَّةٌ لا تَنْتَهِي	أبــداً أُقــارِبُ حَولَهــا وأُباعِــدُ
هي شُــقّةُ النفسِ الخَرابِ، وإنّها	لمجاهــلٌ لم تُكتشــفْ وفَدافــدُ[1]
الشــمسُ فيها لا تُطــلُّ ومَا بِها	إلا الرواكــدُ والظّــلامُ البَــارِدُ
أنا لَسْتُ سَــالكَهَا وأنت حَفيةٌ	أن تَجْنُبي عَنْهــا ونَجْمُك صَاعدُ[2]
فــإذا الــذي بَيني وبينــكِ كلُّهُ	ذكْــرى تُطــلُّ برأســها وتُعــاودُ

* * *

وأراكِ مِــنْ خَللِ الغيومِ أسِــيفةً	إذْ تَذْكُرِيــن رِعايــتِي وجُهــودي
وتَريْــنَ حَاضِرَنــا وَغابرِنَا معاً	وتُراجعــينَ مَواثِقــي وعُهــودي
نَفْســي فداكِ فلا أراكِ شَــجيّةً	تُرقــي الغُصُــونُ لوجهــكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليــكِ تَطلُّعــي وتَلهُّفي	وقفٌ عليــكِ قَصائدي ونَشــيدي
لكــن أُعيذُكِ خَطْــرةً في عَالَمي	إنّــي أُعيــذُكِ وَحْشَــتِي وكُودي

* * *

١- فدافد: أرض واسعة لا شيء فيها.
٢- حَفِية: مهتمة

عبادة جديدة؟! *

لــكَ يــا جمــالُ عبــادتي لــك أنْــتَ وَحــدَكَ يــا جَمالْ
تعصــى تعاليــمُ الطُّغَــاة، أو الهُــدَاة علــى ضَــلالْ
ويُخالــفُ التشــريعُ جهــراً أو خَفَــاءً في احتيــالْ
وتُجانَــبُ الأديــانُ أو تُنْســى وتُهْجَــرُ عَــنْ مَــلالْ
وأراكَ وَحــدَك يــا جمــالُ تَلقــى الخضــوعَ والاحتفــالْ
والحــبّ والإيمــانَ مِــنْ كلِّ الأنــامِ بــكلِّ حَــالْ!

* * *

المــالُ مَعبــودُ الحيــاة المُسْــتذَلُ قُــوى الرجــالْ
هــو بعــضَ قُربــانِ النفــوس إلى مَقامــك في ابتهــالْ
وأرى الألوهــة فيــكَ تُوحــي بالعبــادة في جَــلالْ
مــا أنــتَ إلا مظْهَــرٌ منهــا تُوشّــيه الظّــلالْ[1]
فــإذا عَبدتُــكَ لم أكُــنْ يا حُسْــنُ مِــنْ أهــلِ الضّلالْ
بــل كنــتُ محمــودَ العَقيــدة في الحقيقــة والخيــالْ
أعْنُــو لِمــنْ تَعنُــو لَــه كلُّ النفــوسِ بــلا مثَــالْ[2]
مُتَفرِّقــاً في الكَــونِ في شَــتى المَرائــي" وَالخِــلالْ
فــإذا تَركَّــزَ هــا هُنــا بَطُــلَ التّمحُّــلُ والجِــدَالْ![3]

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٧

١- توشيّة: تنقشه وتُحسنه من وَشَى الشيء وشياً: نمقه ونَقشه وحَسنه.

٢- أعنو: أخضع.

٣- التمحل: الاحتيال

تسبيح...! *

لعينيكِ تَسبيحي وهَمْسُ سَرائري وفي صَمْتِها المُوحي مرَادُ خَواطِري
تُطلُّ علـى الدنيا فتوقـظُ قَلْبَها وتمنحُ هـذا الكونَ إيمانَ شَـاعرِ
وتَسْـكُبُ في ألحانـه عبقريـةً من الفـنِّ لم تخطرْ بآمالِ سـاحرِ
وتجلُـو مـن الدُّنيا عميـقَ فنونها وتكشـفُ في أطوائها كلَّ خاطرِ
ومِـنْ عجبٍ تُوحِي بفتنةِ سـاحرِ وتَهْمِـسُ في صمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَـفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه خواطِـرُ فنـانٍ نَـدِيِّ المشـاعرِ
وقد رقَّ هذا الجسـمُ حتى كأنه هَواتفُ حُلْـمٍ ناعماتِ البَشَـائرِ
وقد رقَّ هـذا الصوتُ حتى كأنه أغاريدُ لَحْنٍ في السـماواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هـذا الخَطو حتى كأنه مـرورُ نسـيمٍ بالأزاهـيرِ عاطرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً في ضمائري وإنـكِ طيـفٌ هَامِـسٌ للنواظرِ!

* * *

لأَيقظتِ في نفسي سـعادةَ شاعرٍ وراحـةَ موهـوبٍ وغِبْطَـةَ ذَاخرِ
وأشـعرْتني معنى الطلاقَة والرِّضَا ومعـنى الغِنى عـن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدًى فيه من أفـقِ الخلودِ مدارجُ رَقَيْـتُ إليها في سَـنى منكِ باهرِ
سَـبقتُ به خَطوَ الحيـاةِ لنَهْجِها وجُـرْتُ بـه آفاقَهـا في المَعابـرِ
فيا لـكِ مِن هَـادٍ سَـنيِّ المنائرِ ويَـا لي من سَـارٍ وَحِـيِّ البَصَائرِ

* * *

---

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣٨

في السماء *

أيقظـــتِ أنبلَ ما يُجِـــنُّ ضَميري　　وبعثتِ جوهـــرَ عُنْصري المَطْمُورِ [١]

فإذا أنـــا الرُّوح التي تَســمُو بها　　دُنيـــا الحيـــاةِ لأوْجهـــا المنظـــورِ

وإذا أنـــا النُّـــورُ الـــذي تجلُو به　　تلك الحيـــاةُ غَياهِـــبَ الدّيجورِ [٢]

وإذا أنا الشَّـــوقُ الذي يَحدُو لها　　فتَغـــذُّ بـــينَ مَســـالكٍ وصخـــورِ

وإذا أنا الشَّـــعر الذي تَشْـــدُو به　　في نَشْـــوةٍ وتَجيـــش بالتعبـــيرِ

وإذَا أنا الخـــيرُ المُمَحَّضُ والهدُى　　والحـــبُّ والنَّجوى خِـــلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَـــفْتِ ضَمائرِي　　وجَلَـــوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْـــتُورِ؟

وغَـــذَوتِ فِيَّ فَضَائلـــي ورَوَيْتِها　　حـــتى أطلَّـــتْ بالجَـــنى المَذْخُورِ؟

وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامحي　　وجعلتِ أشـــواقِي صـــلاةَ طُهورِ؟

بالحبِّ والحُسْـــنِ الوديـــعِ ونظرةٍ　　بيضـــاءَ صافيـــةٍ تُريحُ شُـــعوري

وتُحيلُ أشـــواقي رِضـــاءَ مُخلَّدٍ　　راضٍ بِخُلْـــدٍ لم يُشَـــبْ بقُصُـــورِ

وتُحيلُـــني رُوحاً تَرِفُّ على الوَرى　　كالعطفِ، أو كالحـــبِّ، أو كالنُّورِ

فإليكِ تَسْـــبيحي وهَمْسُ سَرائري　　وإليكِ غايـــةُ غِبْطَتي وسُـــروري

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٨

١ – يُجنُّ: يستتر.

٢ – الدّيجور: الظلام.

بين عهدين *

طِرْتِ عَنْ عُشّــكِ الْجَمِيلِ فَأوبِى شَدَّ مَا اشْــتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِى![1]
كانَ دِفئــاً وَكانَ مَرْتَــعَ صَفْــوٍ فكَسَــاهُ الصَّقِيعُ ثوبَ القُطُوبِ[2]
مُنْــذُ غادرْتِــهِ قَــدِ انْتَثَر الحبُّ وطَاحَــتْ بِــهِ رِيَــاحُ الْهُبُــوبِ
وتَخَلَّــتْ عِنَايــةُ اللهِ عَنْــهُ فَهُوَ في وَحْشَــةِ الغَرِيــبِ الكَئِيبِ
وَلَيَالِيــهِ شَــاجِياتٌ حَيــارَى يَتَرامَيْــنَ حَوْلَــهُ مِــنْ لُغُــوبِ[3]

* * *

عُــودِي إلى الْعُــشِّ عــودِي وَرَفْرِفِــي مِــنْ جَدِيــدِ
وَرَنِّمِــي بالأَغَــانِي في جَــوِّهِ وَاسْــتَعِيدِي
وَأدْفِئِــي بالأَمَانِــي مَــا مَسَّــهُ مِــنْ جُمُــودِ
وَتَمْتِمِــي بالتَّعَاوِيــذِ وَالرُّقَــى وَالنَّشِــيدِ
وَأَطْلِقِــي فِيــهِ لَحْنــاً يَشْــدُو لِحُــبٍّ سَــعِيدِ
وَيَطْــرُدُ الْيَــأسَ عَنْــهُ بالشَّــدْوِ والتَّغْرِيــدِ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٤٢

١- اللغوب: التعب مع الإعياء.

طَالَ انْتِظَارُكِ وَهْناً في ظُلْمَةٍ وَكُنُودِ[1]
وَالرِّيحُ تَعْبَثُ فيهِ بكلِّ غالٍ مَجيدِ
وَكلُّ خَفْقٍ جَنَاحٍ أوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعيدِ
يخَالُ فِيها مَآباً بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرودِ

* * *

عُودي إلى الْعُشّ عُودي وَرَفْرِفي مِن جَديدِ
أضْنَاكِ طُولُ الشُّرُود وَلَذَّةُ التَّصْعيدِ
عُودِي إلى الدِّفْءِ في عُشِّكِ الأمِينِ الوَدُودِ
الْعُمْرُ يَمْضي فَهَيَّا نُعيدُهُ للْوُجُودِ

* * *

1- وهَناً: ليلاً ، كنود: المراد في انقطاع

نداء الخريف *

تَعاليْ. أوْشَكَتْ أيامُنا تَنْفَدْ
تعالى. أوشكتْ أنفاسُنا تبْرُدْ
بلا أمَلٍ، ولا لُقْيا، ولا موْعدْ
* * *

تعاليْ. هذه الأيامُ لا تَرْجعْ
ولا تُصْغي لنا الدُّنيا ولا تَسْمَعْ
ولا تُجْدَي شَكاةُ الدَّهْرِ أو تَنْفَعْ
* * *

كلانَا ضَائعٌ في الكون مَفْقُودُ
فَلا هَدَفٌ له في الأرض مَشْهُودُ
ولا أملٌ لَه في الغيبِ مَوعُودُ
* * *

ألا مَا أحْمَقَ اثنَيْنِ غَرِيبَيْن!
إذا عَاشَا – مَعَ الحبِّ– فَريدَينْ!
وهذا الكونُ لا يَدْري الشَّرِيدَيْنِ!
* * *

نَعَمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَا
وَسدَّتْ هذه الدُّنيا طَريقَيْنَا
ولكنْ أينَ مَاضي حُبِّنَا أيْنا؟
* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر)١٩٤٣

تَعالَيْ نُحْيِ بالأشْواقِ مَاضِينَا
ونَبْعَثْ في حِمَى الحُبِّ لَيَالِينَا
فهذا الحبُّ إذْ نُحْيِيه يُحْيِينَا
* * *

تعالَيْ لَمْ يَعُدْ في العُمْرِ مُتَّسَعُ
تعالَيْ لم يَعُدْ في الكَوْنِ مُنْتَجَعُ[1]
وغُولُ الدهرِ لا يُبْقِي ولا يَدَعْ
* * *

تعالَيْ! نَحنُ بَعْثَرْنا السُّويعَاتِ
وضَحَّينَا بأيامٍ عَزيزَاتِ
فيا أُخْتاه يَكْفينا حَماقَاتِ
* * *

أَجَلْ يا أختُ ما قَدْ ضاعَ يَكْفِينا
فَعُودي. هَا هُو العُشُّ يُنَادِينا
فلا نُخْرِبْه يا أختُ بأيْدِينا
* * *

ربيعُ العُمْرِ يا أُخْتَاه قَدْ مَرّا
فَلَمْ نُطْعِمْه أو نَغْنَمْ بِه ذُخْرَا
وما عَادَ لَنا منْه سوى الذِّكْرى
* * *

---

١ - منتجع: المراد لا يوجد مكان يصلح للإقامة.

فَلا نَخْسَر هَزيعَين منْ العُمْرِ[1]
فَدفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدي لَدَى القَرِّ[2]
ورُوحُ الحُبِّ قَد يُحيِي لدى القَبْرِ

* * *

ويا أُخْتَاه زَادُ العُشّ يَغذُونَا
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأيْدينَا
وجَدْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذينَا

* * *

تعالَى نَقْطَعِ البَاقِي مِنَ العُمْرِ
رَفيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلى الشَّرِّ
حَليفَيْنِ عَلى اليُسْرِ عَلى العُسْرِ

* * *

تَعالى أوْشَكَتْ أيامُنَا تَنْفَذْ
تَعالى أوْشَكَتْ أنفاسُنَا تَبْرُدْ
بلا أَمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

* * *

١- هزيعين: الهزيع :ربع الليل أو نصفه، والمراد هنا مضى أكثر العمر.
٢- القر: شدة البرد.

هتاف روح *

في ليلة دفيئة من ليالي كاليفورنيا(سان فرانسيسكو).

في الجـوِّ يـا مصـرُ دِفءٌ يُدْنِـي إلَيّ خيالَـكِ
وتَسْـتَجيشُ حنيـني إلى الليـالي هُنالـِكِ
للأُمسـيات السُّـكارَى نَشْـوى تَـرِفُّ حِيالَـكِ
ونَسْـمَةٌ فيـك تَسْـرِي ريَّانَـةٌ مِـن جَمالِـكِ
نجـواكِ مِـلْءُ فُـؤادِي تُـرى خَطَـرتُ ببالـِكِ

* * *

النيـلُ والمـوجُ سَـارٍ يُقَبِّـلُ (الشُّـطْآن)
والبـدرُ والنـورُ سَـاهٍ كحـالمٍ وَسْـنَانْ
وفي الجِـواءِ حنـينٌ مُجَنَّـحٌ حَـيرانْ[1]
ومـن هُنالِـكَ لَحْـنٌ يَهْفُـو إلى الآذانْ
صَـدَاه نَـاءٍ عميـقٌ في نـاي هـذا الزّمـانْ

* * *

* نشرت في نيسان (أبريل) ١٩٥٠

١- الجواء: الواسع من الأمكنة.

فِي النفسِ يا مِصُر شوقٌ لخَطْرَةٍ في رُبَاكِ
لضَمَّةٍ مِنْ ثَراكِ لنَفْحَةٍ مِنْ هَواكِ
لوَمْضَةٍ مِنْ سَماكِ لِهَاتفٍ مِنْ رُؤاكِ
لليلةٍ فيك أُخْرى مع الرِّفاقِ هُنَاك
ظمآنُ تهتفُ رُوحي متى تَراني أراكِ؟

* * *

دعاء الغريب *

(سان فرانسيسكو)

يا نائياتِ الضِّفَافْ هُنا فتاكِ الحبيبْ
عليه طَالَ المَطَافْ متى يعودُ الغريبْ؟

* * *

متى تَمُسُّ خُطاه ذاك الأديمَ المغبَّرْ
متى يَشُمُّ شَذَاه كالأُقحوانِ المُعَطَّرْ؟

* * *

متى ترى عيناهْ تلك الربوعَ المواثلْ؟[1]
أحلامُه ومُناه تدعوه خلفَ الحوائلْ[2]

* * *

حنينُه رَفّافْ إلى الدِّيارِ البعيدهْ
مَتى مَتى يا ضِفافْ تَأوِي خُطاه الشريده؟

* * *

رُؤاكِ في نَاظِرَيهْ تَرِفُّ كالأحلامْ
تُرى هَفَوْتِ إليه على مَدَى الأيامْ؟

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٥٠

١- المواثل: القائمة والمراد هنا قائمة في ذهنه وخياله.

٢- الحوائل: الموانع

ليلاتُكِ السَّارياتْ كالنَّسْمَةِ العبقريّهْ
حالتْ إلى ذكرياتْ مُعَطَّراتٍ نَدِيّهْ

* * *

مُجَنَّحَاتِ العبيرْ مُرَفْرَفَاتِ الأمَانِي
في عَالمٍ مسحورْ مُوسع بالأغَانِي

* * *

هُنالك حيثُ خُطاهْ مَنشورةٌ في الطريقْ
ما زَالَ فيها الحياةْ تَدْعُو دُعاءَ الغريقْ!

* * *

يا أرضُ رُدِّي إليكِ هذا الوحيدَ الغريبْ
هَواهُ وقفٌ عليك رُدِّي فتاكِ الحبيبْ

ابتسامة*

أنِرْ بِفـؤادي كلَّ أسْـوانَ مُظْلمِ ببَسْـمَةِ رَاضٍ في الحيـاةَ مُنَعَّمِ[1]

وصَوِّرْ بهـا الآمالَ: إنِّـي رأيتُها تطيـفُ بريَّـا ثَغـرِكَ المُتَبَسِّـمْ

وطالـعْ بِها وَجْـهَ الحيـاةِ نَدِيَّةً تَمسُّ حَشاشـاتِ القلوبِ ببَلْسَمِ

وتَسْري إلى الأرواحِ رُوحاً مَهُوماً يفيضُ عليها من رِضـاءٍ وأنْعُمِ[2]

فَدَيْتُـكَ لا تَألُ الحياةَ ابتسـامةً أرقَّ وأحـنى منْ خيـالٍ مُهَوِّمِ[3]

مُرنّحَةَ الأعطافِ تُومِضُ خِلْسَـةً وتَخْطُـرُ في رِفْـقٍ بذيالـكَ الفَمِ!

فديتُكَ أرْسِلْها على الكَوْنِ غبْطَةً تُشَـافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَـاءِ المُتَمْتِمِ

وتدركُهـا الأرْواحُ في خَطَراتِهـا كما تدركُ الأسمـاعُ هَمْسَ التَرَنُّمِ

فديتُـكَ لا تـألُ الحياةَ تَبَسُّـماً فإنـك لم تُخْلَـقْ لِغَـيرِ التَّبَسُّـمِ

وقتكَ الليالي العابسـاتُ عُبوسَها إذَنْ فَتَبَسَّـمْ كيفما شِـئْتَ وَانْعَمِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠

١- أسوان: حزين.

٢- مهوماً: في أوّل النوم.

٣- لا تبخل، لا تقصّر

التأمل

إلى الشاطىء المجهولِ والعَالَمِ الذي

حَننتُ لمرأة ، إلى الضفة الأُخْرى ؟

إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تُرى

مَعالمُ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرا

بسمة بعد العبوس
أو
حياة بعد موت*

بَسْــمَةٌ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةْ؟ ولقــاءٌ ذاكَ أمْ رَجْــعُ العُمُــرْ؟
نَفْحَــةٌ تَنْفُثُها[42] تلك الشّــفاه تبعــثُ المَيْــتَ وتُحيي مــا انْدَثَرْ

* * *

بَسْــمَةٌ كاللحــن مِــنْ قيثارَةٍ رائــقِ المعــنى رَقيــقِ النَغَمَــاتْ
أو شَــذى يَــأْرَجُ مِنْ نَــوَّارَةٍ في غُصــونِ الوردِ زاكــي النَّفَحاتْ

* * *

بَسْــمَةٌ أنْدَى على القلب الكَليمِ من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ[1]
بَسْــمَةٌ تُشْــرِقُ في الوجهِ الكريمِ كاتبسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[2]

* * *

نَظَــرَ الدهــرُ إليهــا فابتَسَــم وســرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَديبْ
سَــريان البُــرْءِ هَوْناً في السَّــقَم ودبيبُ الرُّوحِ في الميْتِ السَّــليبْ

* * *

ذلــك القلــبُ وقد جــفّ نَدَاه وغــدَا أجــوفَ كالنبتِ الهَشــيمْ
وخَبَــا في أفقِــه ضــوءُ الحَيــاة وبَــدَا كالمعبــدِ البَالــي القــديمْ

* * *

---

* نشرت في شباط (فبراير) ١٩٢٩

١- الكليم : المجروح

٢- الخضل: من خَضِل يخضَلُ: نَدِى وابتلَ.

ذلكَ القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنّ   وأحسَّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنّ   في ثَنَايا ذلكَ الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتفتْ رُوحي وحَيَّاه فُؤادي   في هدوءٍ شاملٍ ضافٍ حَنُونْ
وتزودتُ من الحبِّ بزادٍ   ومِنَ الإخلاصِ تُبديه العيونْ

* * *

إنَّ عَينيه إذا تَرنُو إليَّ   تسكب الرَّوْحَ بقلبي والرَّجاءْ
وهو إذ يحْنُو بعِطْفَيه عَليَّ   يَغْمُرُ النفسَ بفيضٍ من رِضاءْ

* * *

إنَّ في عينيه مَعنى للسُّمو   فوقَ ما يُدْرِكُ هذا البَشَرْ
وبها آياتُ عَطْفٍ وحُنُوٍّ   لستُ أدْريها ولكنْ أشْعُرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء؟   أترى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ؟
بِحَياتِي وأمَانِيّ الوِضَاء   عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُودْ

هدأت يا قلب؟!*

هَدأتَ يا قلبُ فاهدَأ هكذَا أبداً ... وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْتَ سُلْوانا

فجمةُ الحبِّ قد تخبُو ويعقُبُها ... بَردُ السُّلو وتَنْسَى كلَّ ما كانا

فلا جَفاءٌ ولا شَكْوى تُردِّدُهَا ... ولا دَلالَ وَلا وَجْداً وَتَحْنَانَا

تُمْسِي وتُصبِحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ ... ثَبْتَ الجَنَانِ مُريحَ البالِ طَمْآنا

نَعَمْ سَتعْدِمُ حِسّاً رقّ جَانِبُه ... ودَقَّ في عالَمِ الإحساسِ ميزَانَا

ومَا يُضيرُكَ مِن فُقْدانِ رِقّته ... إذَا فَقَدْتَ بها بُؤساً وأشْجَانا

وما الحياةُ إذا رَقّ الشعورُ سوى ... بؤسٍ يَجْرَعُهُ الإنسانُ غَصّانا

* * *

ستُبصِرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما ... تَلُوحُ للناسِ والأكوانَ أكْوانَا !

وتُبْصِرُ الحبَّ شيئاً أنْتَ تَعْرِفُه ... وليس سِرّا . ويَبْدُو الإلفُ إنسانا !

خلعتَ ثوباً عليه أنتَ وَاهِبُه ... لولاه مَا لاحَ في الأنْظارِ فتّانا !

* * *

فخلِّ يا قلبُ آمالاً تجيشُ بها ... فقد تغررك الآمالُ أحيانَا

هذا الهدوءُ تُنَمِّيه وتَألَفُه ... فيستحيلُ مع الأيامِ نسيْانًا

* * *

* نشرت في أيار (مايو) ١٩٢٩

الدنيا

إيــه يــا دُنيا ومــا أنْتِ سِــوى عبــثِ الأطفــالِ فيمَــا يلعبُون
ضَجّــةٌ صاخِبــةٌ لا تحتــوي غــيرَ أصْــدَاءٍ قَويــاتِ الرَّنــيْن
فــإذا فَتَّشْــتَ عــن مَبعثِهــا لم تجدْ شــيئاً تُخْبِيــه الوُكُون![1]

* * *

عودة الحياة*

عَجَــبٌ خَفْقُــكَ يــا قلــبي في هــذه الأضلعِ من بعــدِ الخُفُوتْ!
أَوَمــا زلــتَ إِذنْ لم تَشْــتَفِ مِنْ حنــينٍ فيك حَــيٌّ لا يموتْ؟

* * *

أوَ مَــازالَ إذنْ نبــعُ الحيــاة لم يَغِــضْ فيك ولم ينضــبْ مَعِينُهْ
رُبَّمــا فَــاضَ على تلــك الفلاةِ في فؤادٍ مُقْفِــرٍ جَفَّــتْ غُصُونُهْ!

* * *

طــالَ عَهِــدى أيُّها القلــبُ به ذلــك الخفــقُ الــذي ذَكّرتَنيــه
ذلــك الخَفْــقُ الــذي لا ينتَهى حيث يَســرِى الشّــعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠

١- الوكون: مفرده وكنٌ والوكن: عش الطائر حيث كان.

كـــم ربيـــعٍ مَـــرَّ يتلُـــوه ربيعٌ وفُـــؤادِي في خريـــفٍ راكـــدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ بالضلوعِ في حيـــاةٍ ذاتِ نَمَـــطٍ واحـــدِ

* * *

وحُرِمْـــتُ الحِسَّ ، حـــتى بالألَمْ والنَّـــدى حتى بتســـكابِ الدُّموعِ
إيه . مـــا أقفرَ إحســـاسَ العَدَم والأمانـــي راكـــداتٌ في القَنُـــوعِ

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبـــضِ القَويِّ وتَفَتـــحْ كلَّ يـــومٍ عَـــن جديـــدِ
لَم يَـــزَلْ في جَعْبَةِ الكَـــوْنِ الغَنِيّ مَـــا يُغَذّيـــكَ بأحـــلامِ الوُجُـــودِ

* * *

وإذا لَم تســـتطعْ فاخلـــقْ حَيَاه! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأماني
ومن الحبّ، وما صاغـــتْ يَدَاه مـــن جحيـــمٍ يتلظّـــى أو جِنَـــانِ

* * *

البعث *

قد بُعثـــتُ اليومَ أحيــا مِنْ جَديدٍ ... فهـــو بَعْثٌ مــن حيـــاةٍ خَامدةْ
مَرَّ نِصـــفُ العُمـــرِ أو كادَ يزيدُ ... لهفَ نفسِــى – في حيـــاةٍ رَاكدةْ
في حيـــاةٍ لم أجـــدْ فيهـــا حَيَـــاه!
بَلَـــغَ العُقْـــمُ بهـــا أقْصَـــى مَدَاه
وتبـــدَّتْ بَلقعـــاً مثـــلَ الفَلاه[1]
ثم لاحـــتْ تَتَـــراءى مِـــنْ بَعيدٍ ... شُـــعلةٌ مِـــن نـــارِ حُـــبٍّ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْـــتوحي القصيدْ ... والأناشـــيدَ العِـــذابَ الخالـــدةْ
شـــاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ ... مُلْهَمَ الفِطْـــرة منْهُـــومَ النَّظَرْ[2]
نابضٌ بالعطفِ حَســـاسُ الضميرِ ... يُدركُ الهَمْسَـــةَ تَسْـــرِي في حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – في عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإِحْساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِراً كالكهفِ مَحْجُوبَ الضيّاءْ؟
هكذَا عِشْـــتُ كسُـــكانِ القُبورِ ... في ربيـــعِ العُمْرِ في العهـــدِ النَّضِرْ
آه لو أسْـــطِيعُ للماضِى الحســـير ... رَجْعَـــةً من بعـــد ماجَـــاء وَمَرْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١- بلقعاً: خالياً من كل شيء، يقال: مكان بلقع

٢- منهُومُ: الجائع، شديد الرّغبة بالشيء.

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ! نابضـــاً بالحـــّب جَيّـــاشَ الأمانـــي

مُمْسِكاً أهدابَه خوفَ الذَّهابِ مُســـتعزّاً فيه حـــتى بالثوانـــى![1]

ظَافـــراً أمـــرحُ فيـــه كالطيـــورْ

حينمـــا تشـــدُو بألحـــانِ البكورْ

بعدمـــا تَنْفحُهـــا ريـــحُ الزهورْ

نصفُ عُمْري قَدْ تولّى في اكْتئابِ فلأقض النصفَ نشـــوان الأغاني!

هائماً ألْهـــو بمعســـولِ الرِّغَابِ أو أُغنِّـــى بالأمـــانِيِّ الحِســـانْ!

* * *

١- أهداب: مفردها هُدبة: طرف الثوب الذي لم يُنسج.

الشعاع الخابي*

لاحَ لي من جانبِ الأفُق شُـعاعٌ بينمـا أخبِـطُ في داجـي الظّلامِ
في صحارى اليأسِ أسْري في ارتياع حيثُ تبدو مُوحشاتٍ كالرِّجامِ[١]
حيثُ يَسْرِي الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمًا
والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما
وترى الأشـباحَ في رأسِ التِّلاع كالسَّعَالي، أو كأشـباحِ الحِمامِ[٢]
فاغـراتٍ تَتَشـهى الابتـلاعَ تنهشُ اللّحَم؛ وتَفْـري في العِظَامِ

* * *

فَتلفـتُّ علـى الضـوءِ يَلُوحُ مِثْلَمـا تَلْمَـحُ عـينُ السَّـاهرِ
أو كما تَهْمِسُ في الأجداثِ رُوحٌ أو كمعـنى شَـاردٍ في الخاطـرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه الذُّعْرُ وأضناه العِثَارْ[٣]
طَالما رجّضى تَباشير النهارْ

---

* نشرت عام ١٩٣٢

١-الرِّجام: من رجم القبر: وضع عليه الرِّجام.

٢- السعالى : مفردها السّعلى: الغول.

٣- شفه: من شَفّ أي نحل ودقّ من همٍّ أو مرض ويقال : شَفّه الحبُّ أو الهمُّ.

ثم أزمعتُ إلى الأفق الصَّبُوحِ أرتجي فيه أمانَ الحائرِ
أصعَدُ الرابيَ وأهوَى في السُّفوحِ وكأني طيفُ جِنٍ نافِرِ
ثُم ماذا؟ ثم قَدْ سَادَ الحَلَكْ فَجْأةً والقَبَسُ الهادي خبَا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ لاَهثاتٍ، تَتراخَى تعَبَا
رجفةُ الخائف أَضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاَهثاً عَدوَ الطّلاءْ[1]
قبلما يَلْحقُهَا غُولُ الفَنَاءْ
وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهَكْ ليس يَدرِي لخلاصٍ سَبَبَا
حولَه الظُّلْمةُ في أيِّ سَلَكَ حيثُ ينسى الهاربُون الهَرَبَا!

*** *

قلتُ ماذا؟ قال لَي: رَجْعُ الصَّدى إيه ماذا؟ قلتُ للوهم عَلامَا؟!
قال لي اخشعْ أنْت في وادي الرَّدى حيث يَطْوِي الضَّوءَ طُرًّا والظَلامَا!
ها هنا تُثوي الأماني؛ هَا هُنا
فَي مَهاوِي اليأسِ في كَهْفِ الفَنَا
كل شيءٍ هالِكٌ، حتى أَنَا!
ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَى بَدَدَا وتَلاشَى تاركاً منه النمامَا
وإذا بِي عُدْتُ أسْرِى مُفْرداً لا أرى شيئاً، ولا أدْرِي إلامَا!

١- الطّلاء: مفردها الطّلا، والطلا: ولد الظبية
٢- طُرًّا: جميعاً
٣- النماما: الآثار الباقية

في الصحراء*

في ليلة من ليالي الخريف المقمرة، الراكدة الهواء؛ المحتبسة الأنفاس، وفي صحراء جبل المقطم الموحشة، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[1] -- كانت تتراءى نخلات ساكنات في وجوم كئيب ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلة سامقة، والأخرى قصيرة قميئة.

بين هاتين النخلتين دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

* * *

الصغيرة:

ما لنا في ذلك القفرِ هُنا   مَا بَرحنا منذ حين شَاخِصَاتْ؟

كلُّ شيءٍ صامتٌ مِن حَوْلنا   وأرانا نحن أيضاً صَامِتَاتْ!؟

تطلُعُ الشمسُ علينا وتغيبْ

ويطلُّ الليلُ كالشيخِ الكئيبْ

والنجومُ الزُّهْرُ تغدُوَ وتَئُوبْ

وهجيرٌ وأصيلٌ... وطلوعٌ وأفولُ... ثم نَبقَى في ذهولٍ ساهمات!

* * *

أفلا تدرينَ يا أُخْتي الكبيرةُ   ما الذي أطْلَعَنا بينَ اليبابْ؟

أيما إثْمٍ جنيْنا أو جريرةٍ   سَلَكَتْنا في تجاويفِ العذابْ؟

١- الأبيد: الموحش

قد سئمت اللّبْثَ في هذا المكانْ
لَبْثَة المَصْلوبِ في صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديل... أوان؟
حدثيني لِم نَشْقَى؟ حدثيني كم سَنَلْقَى؟ حدثيني كَم سَنَبْقَى واقفات؟

* * *

الكبيرة:

أنا يـــا أُختــــاه: لا أدري الجوابَ ودَفِـــينُ السِّـــرِ لم يُكْشَـــفْ لَنا
منذ مـــا أطلعتُ في هـــذا الخرابِ وأنـــا أســـألُ: مـــا شَـــأني هُنا؟
فيجيبُ الصمتُ حَولي بالسُّكُونْ!
وأنا أخبط في وادي الظنونْ
لستُ أدري حكْمَةَ الدّهرِ الضنينْ[1]
غير أنا حائراتٌ... والليالي العابثاتُ... تتجنّى ساخراتٍ لاهيات!

* * *

رُبّمـــا كُنّـــا أسيراتِ القَـــدَرِ تَسْـــخَرُ الأيـــامُ منّـــا واللّيالـــي!
تَضـــربُ الأمثـــالُ فينَـــا والعِبَرَ وإذا نشـــكو أذاهـــا لا تُبَالـــي!
رُبما كُنا مَساحيرَ الزمنْ!
قد مُسخْنَا هكذا بين القُنَنْ[2]
في ارتقابِ الساحرِ المُحْيي الفَطِنْ!
فإذا كان يعود... فكّ هاتيك القيود... فرجعنا للوجودِ ظافرات!

١- الضنين: البخيل: الشحيح
٢- القنن: مفردها قنّة: وهي قمة الجبل

أو ترانـــا نَسْـــلَ أربـــابٍ قُدَامى   قـــد جَفَاهـــا وتَولّـــى العابدُون!
جَفَّتْ الـــكأسُ لديهـــا، والنَّدامى   غـــادروا ندوتَها تَنْعِـــي القرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ!
صَاغَنا في ذلك القفرِ الغَشُومْ!
وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ!
فبقينا في العَراءِ.. يجتوينا كلُّ راءٍ.. وسَنَبْقَى في جَفاءٍ شاردات[1]

* * *

لســـتُ أدرِي، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلقّـــي كلَّ شـــيءٍ في سُـــكُونْ
وإذا مـــا غَالنـــا غُـــولُ المَنـــونِ   فهنـــا يَغْمُرُنـــا فيـــضُ اليقـــينْ!

* * *

ثم سَـــادَ الصمـــتُ كالطيـــفِ الحزيـــنْ
وتَسَـــمَّعْتُ لأقـــدامِ الســـنينْ
وهـــي تَخْطُـــو خَطْـــوَةَ الشـــيخِ الرزينْ
هامساتٍ في الرمالِ مُنشِداتٍ في جلالِ كلُّ شيءٍ للزوالِ والشتات

* * *

١- يجتوينا: يكرهنا من اجتوى: كره

بين الظلال *

يـا ذكْرَيـاتي البعيـدةَ
يـا أُمنياتـي الشَّـريدةَ
إليّ قبـلَ الصبـاحِ
إليّ مِـنْ كلِّ صـوبِ
فَهينمـي حـولَ قلـبي
فانـت وَحْيـي وزَادي
غَفلْـتِ يـا ذِكْريـاتي
بـين اصطخـابِ الحيـاةِ
وكلِّ جَـأرٍ قـويّ![2]
سـهوتِ يـا أُمنياتـي
إلى مَراقـي الحيـاةِ
بحاضـرٍ مَأتـيَّ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الهينمة: الصوت الخافت.

٢- الجأر: الضخم (من الرجال)

يا ذكرياتي البعيدة		في عالمِ الأشباحِ
يا أُمنياتي الشريدةَ		في عالمِ الأرواحِ

إلىّ قبلَ الصّباحِ

الليلُ أرْخى سُتُورَه		في هُدْأة كالخُلودِ
والبدرُ أرْسَل نورَه		كبَسْمَةٍ من وَليدِ

راضي المُحيَّا سعيدِ

وخفقَ الكونُ خفقاً		قد ضَرَّمتْهُ الليالي
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً		بذكرياتِي الخَوالي

وأمنياتِي الغَوالي

وجدتُ نَفْسي وكانتْ		ضَاعَتْ ضَياعَ الإياسِ
ورُضْتُ نَفْسى فَلانتْ		من بَعْدِ طولِ الشّماسِ

وبعدِ صعبِ المِراس

ورفرفتْ ذكرياتٌ		أثرنَ قَلْبي حنينَا
ونضّرَتْ أمنياتٌ		ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا

فيالصنعِ السنينَا

يا ذكرياتي البعيدةَ		في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتي الشريدةَ في		عالمِ الأرواحِ

إلىّ قبلَ الصباحِ

فالفجُر في الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكي الصياحَ
فأقبلِي في انفرادِي		ورفرِفي في فؤادِي

* * *

الإنسان الأخير*

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[1]

ويُشْرِقُ وجهُ الصبُّحِ في غمرةِ الدُّجى كما تشــرقُ الآمالُ واليأسُ غامِرُ

وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرى وتخفــقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَــاعِرُ

وحينَ يعِجُّ الكونُ بالصوتِ والصَّدى وبالكدحِ تُزجيــه المُنى والمخاطرُ

وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التي يَضجُّ بها الأحياءُ، والدَّهرُ سَــاخِرُ

* * *

ولكنّــه لم يُلْــفِ بالكــونِ نَأمَــةً تَنِمُّ على حــيٍّ، ولم يَهْفُ خَاطِرُ

ففي نفســه ما يُشــبه الموتَ سَكْرَةً ومن حولــه موتٌ نَمتْــه المقابرُ

جَــلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَــعَ وَجهــه عليه؛ فقرّتْ في النفوسِ الضمائرُ

وصَمْتٌ فما في الكونِ صوتٌ ولا صَدَى ولاَ خَفْقَةٌ يُحْيي بها الكَوْنَ شاعرُ

فــأدركَ في أعماقِــه عَــن بَديهــةٍ نهايةَ ما صَــارتْ إليــه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيــبِ عن أيِّ صاحبٍ ففي نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ

ولكنــه ألْقَــي بهــا عَبْــرَ نظــرةٍ على الكــونِ والأيامِ وهي دوائرُ

* نشرت عام ١٩٣٤

١- الدَّيجور: الظلام والجمع : دياجر

٢- عَجَّ يعجُّ: رفع صوته وصاح.

٣- نأمة: الصوت الضعيف الخفي أيّاً كان

رُكامٌ وأشـــلاءٌ وأطـــلالُ نعمـــةٍ وبؤسٌ، وشَـــتى ما حوتَه الأداهرُ

وفي نفســـه مـــن مثلهـــا كلُّ ذَرَّةٍ فهاتيك أشـــلاءٌ وهَذي خواطرُ

تجَمَّـــعَ فيها مـــا تَفَـــرَّقَ في الوَرَى وما ضَمنَتْ تلك السِّنونُ الغوابرُ

خلاصـــةُ أعمارٍ وشـــتى تجـــاربٍ ومجمعُ أشـــواقٍ بها الكونُ حَائرُ

* * *

وأوغَل في إطْراقةٍ ملْؤُها الأســـى فمرّت عليـــه الذكريـــاتُ العَوابرُ

تَحتُّ خُطَاهـــا مَوْكِباً إثرَ مَوْكبٍ وقد جاورتْ فيها المآســـى البَشَائرُ

وأقبلـــتْ الآمالُ واليـــأسُ حَولها تُمزّقُهـــا أنيابُـــه والأظَافـــرُ

وجمّع فيهـــا الخيرَ والشـــرّ رابطٌ من النفسِ مشـــدودٌ إليها مُخَامِرُ[2]

وشَـــتى عبـــاداتٍ وشـــتى عقائدٍ يُؤلّفُهـــا الإيمـــانُ وهـــي نَوافـــرُ

وفيهـــا من المجهولِ ســـرٌّ وروعةٌ ورغبـــةُ محـــرومٍ وخوفٌ مُســـاورٌ

وقد كانَ في المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ تُحَجّبُـــه عـــن طالبيـــه السّـــتائرُ

فياليتَه يَـــدْرِى بما خَلْف سِـــتْره فيختم سِفْرَ الناسِ في الأرض ظَافِرُا![1]

* * *

١- مخامر: خَامَرَ الشيء: مراسه وخالطه وخامر المكان: لزمه وأقام به.

٢- مساور: واثب ثائر، يقال: ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته.

٣- سِفرَ الناس: كتاب الناس

وعادتْ له الآمالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرْجَى، وأذْكاه الخيالُ المغامرُ
لعل وراءَ الكونِ مفتاحُ لُغْزِه وطلْسم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائِرُ
وما هي إلا وَمْضَةٌ تَكْشِفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجسم والجسمُ جَائِرُ
ولولا مواثيقُ الحياةِ تُشدُّه إليها لأمضى عَزْمَهُ وهو صَابِر.
وخلَّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلى وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَاودَه حبُّ الحياةِ لِذاتِها وقد أَجْفَلَتْ تلك النَوازِى الكوافرُ
وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكها له وحدَه والناسُ مَيْتٌ وداثِر
فعادَ إلى الدُّنيا العريضةِ مالكاً ولا مَنْ يُلاحيه ولا مَن يُشاطرُ!
ولكنّه لم يستطبْ مُلْكَه الذي تمحَّضَ لا يسعى به أو يغامرُ
وما فيه من كدٌّ ولا من تسابق ولا سابقٌ في الكادحين وقاصرُ
وكيفَ يطيبُ العيشُ إلا تزاحماً فيرْبَح مجدودٌ ؛ ويَخسر عَاثِرُ؟!

***

هنالك دوّتْ في السماكين صيحةٌ دعاءٌ لعزرائيلَ والكونُ سَادِرُ
((بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً بَرِمْتُ بمُلكٍ رَبُّه فيه خاسر))
((فهيا إِذنْ للموتِ أَرْوحُ رِحلةٍ لِتُكْشَفَ أَسْتَارٌ ويَهدَأ ثَائِرُ))

***

وفيما يُعاني سَكْرَةَ الموتِ هَينَمَتْ[٢٧] إلى مَسْمَعيه هاتفاتٌ سواحِرُ
((هو السّرُ أن تهفو إلى السّرِ لهفةً وأن تَشْتَرُوا الآتيَ بِما هُو حَاضِرُ))!

إلى الشاطئ المجهول *

تَطِيفُ بنفسي وهي وَسنانة سَكْرَى ‏ هواتفُ في الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى (١)
هواتفُ قد حُجّبْنَ؛ يَســرين خِفْيَةً ‏ هوامسُ لَم يكشِــفنَ في لحظةٍ سِتْرا
ويَعْمُرنَ من نفسِي المجاهلَ والدُّجى ‏ ويُجَنّبْنَ من نفســي المعالمَ والجَهْرا
وفيهن مَنْ يُوحــين للنفسِ بالرّضا ‏ وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُّخطَ والنَكْرَا
ومن بينِ هَاتيــك الهواتِف مَا اسْمُه ‏ حنينٌ. ومِنهُنَّ التشوقُ والذّكْرى!
أَهَبْنَ بنفِســي في خُفــوتٍ ورَوعَةٍ ‏ وسِرنَ بِهمسٍ، وهي مَأخُوذةٌ سَكْرَى
سَــواحِرُ تَقْفُوهُن نفسي ولا ترى ‏ من الأمــرِ إلا ما أردنَ لهــا أمراً!
إلى الشاطئِ المجهولِ، والعَالَمِ الذي ‏ حَنِنــتُ لِمرآه؛ إلى الضّفة الأخرى
إلى حيثُ لا تدري إلى حيثُ لا تَرى ‏ معــالِمَ للأزمانِ والكَوْن تُسْــتَقْرَا.
إلى حيثُ ((لا حيثُ)) تُميزُ حدودَه! ‏ إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و(الكلَّ) واحدٌ ‏ وتَمْــزِجُ في الحسّ البداهةَ والفِكْرَا
فليس هُنا (أمسُ) وليس هنا (غَدُ) ‏ ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرى
فليــس هُنا(غيرُ) وليــس هنا (أنا) ‏ هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرى التي احْتجبتْ سِراً

***

* نشرت عام ١٩٣٤

١- وسنانة: أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم، تترى:: متتابعة.

خَلَعتُ قيودِي؛ وانطلقتُ مُحَلّقاً   وبي نشوة الجبارِ يَستلهِمُ الظَّفرَا
أُهوّم في هذا الخلودِ و أرتقي   وأَسْلُك في مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَى
وأكشفُ فيه عَالماً بعدَ عالمٍ   عجائبَ مازالتْ ممّنعةً بِكْرَا
لقد حَجَبَ العقلُ الذي نَستشيرُه   حقائقَ جلَّتْ عن حقائقِنا الصُّغْرى
هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا!   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

***

السر
أو
الشاعر في وادي الموتى *

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد في هذه الزيارات، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى.

وفي مرة منذ ستة أعوام ؛ أرقَ في الهَزيع الثاني، فجال بخاطره، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى، مدفوعاً بشعورٍ غَامض، لا يبالي وحشةَ مثل هذه الأماكن ، في جُنْح الليل المُدْلَهِم!

وسار خطواتَ، ولكنه أحس بالرهبة؛ وساوره الوجل، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى، ثم تُوجّه إليه الخطاب.

ليس للشعر يد في هذا التصوير؛ فهو الحقيقة التي أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئيات .

وقد عاد صامتًا واجماً؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع، حاول أن يفسر عن طريق (الوعي والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعر به في أعماق نفسه.

ولقد ظل يعجز عن ذلك، كلما حاوله؛ مدى ستة أعوام، حتى استطاع في هذا العام، أن يترجم هذا الشعور شعرا؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطاع عنها التعبير.

***

---

* نشرت في ١٩٣٤.

مَنِ الطارقُ السّارِي خلالَ المقابرِ   كخَفْقَةِ رُوحٍ في الدُّجْنَات عَابرِ[1]؟
من الوجلُ المذعورُ في وحشةِ الدُّجَى   تقلِّبُــه الأوهــامُ في كلِّ خاطــرِ؟
ينقِّــلُ في تلك الدياجــيرِ خَطْوه   ويخطــرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ؟
وقد سَــكَنَتْ مِنْ حَولِه كلُّ نَأمَةٍ   سِــوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجر؟
وغَشّاه رَوعُ الموتِ، والموتُ رَوعةٌ   تَغْشَــى، فيعنُو كَلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ؟

* * *

«هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدى   وللســرِّ لم يَكْشــفْه ضَوءٌ لناظر!
تحيَّر في ســرِّ الحياةِ ومــا اهتدى   إليه، ولَــم يَقْنَعْ بتلــكَ الظَّواهرِ
وسَاءلَ عنه الكونَ والكونُ حائرٌ   يســيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدي المقادرِ!
وسَاءَل عنه الموتَ، والموتُ سَادرٌ   وسَاءَل عنه الشِّعَر في حَنَقٍ ثائرِ![2]
وسَاءَل عنه كلَّ شــيءٍ، فلم يَفُزْ   بشــيءٍ ولم يرجعْ بِصَفَقَــةِ ظَافرِ

* * *

أفي هذه الأجداثِ طِلَسْــمُ سِرِّه   لعلَّ! فمــن يَدْري بســرِّ المقابرِ؟
ألم يخلــعْ الموتــى الأحابيل كلَّها؟   أحابيــلَ أوهام الحيــاةِ الجَوائرِ![3]
ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها؟   ويستوثقُوا مما وراءَ المصائرِ؟

١- الدُّجنات: الدُّجنة: السواد أو الظلمة
٢- سادر : غير مبال بشيء.
٣- الأحابيل:مفردها الأحبيول، والأحبولة: المصيدة، والمراد هنا المظاهر الخادعة.

ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرى إليهـا؟، ألا تُهدي اليقـينَ لحائرِ؟
أجلْ! رُبّما تُعْطِي الجوابَ لسـائلٍ ورُبّمـا تجلُـو المصـيرَ لشـاعرِ!

* * *

وفيما يُناجي في حِمى الصمتِ نَفْسه تَسـمَّع هَمْسـاً من خلالِ الحَفائرِ
«مَنِ الطارقُ السَّاري خلالَ المقابرِ فَأقلـقَ مِنَّا كلَّ غافٍ وسَـاهرِ»؟
«أما يَقْنَـعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه؟ أيَا ويحَ للأحيـاءِ صَرْعَى المَظاهرِ»
«تَركْنا لهـم دُنْياهُمـو ودِيارَهم ولم يَدَعُونـا في حِمى غـيرِ عَامرِ»

* * *

وقالَ فتى منهـم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَـةِ إشـفاقٍ، ونَبْرةِ سَـاخرِ!
«لعلّ الذي قَدْ دَبَّ في ذَلك الحِمى وأيقـظَ في أحْشَـائه كلَّ سَـادرِ»
أخُو صَبْوةٍ، يهفُـو إلى قبرِ مَيّتٍ لَـهُ عنده وَجْـدٌ وتَحنـانُ ذَاكرِ»
«يقرِّبُـه منها التَّذَكُّـرُ والهوى وتُبْعِـدُه عنهـا غِلاظُ السَّـتائرِ»
«ومَا أخْدعَ الحبَّ الذي في ديارِهم! يُغَشّـى عَلى أبصارِهـم والبَصائرِ»
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفي صوتِها أسـىً وَنَبْـرةُ تَحنـانٍ، وكِتْمـانُ صَابرِ
«ألا رُبّما كانـْت ثَكولاً حَزينةً على فَلْـذةٍ مِـنْ قَلبِهـا المُتَناثرِ»
«ورُبَّما كانتْ عَجُـوراً تَأيَّمَتْ وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضبِ العَونِ غَادرِ»

* * *

وقَدْ ذَهبُوا في حَدْسِهم كلَّ مَذْهبٍ   وفيما حَوَتْه نَفْسُـــه مِنْ مَشـــاعرِ!
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يدْوِي كأنّما   هو الدهرُ في صوتٍ من الرّوعِ ظاهرِ
«مَنِ الطارقُ السّارِي خلالَ المقابرِ   فأقلقَ منّـــا كلَّ غَافٍ وسَــاهِرِ!»

* * *

فقال أخو الأحياءِ؛ والقلبُ خافقٌ   مِنَ الوَجَلِ الأخّاذِ، في صَوْتٍ حاسرِ
«أنـــا الحيُّ لمَّا يدرِ أســـبابَ خَلْقِه   أنا المُدْلِجُ الحيرانُ بـــينَ الخواطِرِ»
دلفـــتُ إلى وادي المَنَايَـــا لَعلَّني   أفـــوزُ بســـرٍّ في حَنَايـــاه غائـــرِ؟
أمـــا تَعلَمُون السِّـــرَ في خَلْقِ عَالمٍ   يموتُ ويَحيَـــا بينَ حـــينٍ وآخرِ؟
وَتكْنُفُـــهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ   ويركبُ للغاياتِ شَـــتى المَخاطرِ؟
وليـــس لَـــه من غايـــةٍ غـــيرَ أنَّهُ   مَسُـــوقٌ إلى تحقيـــقِ رَغْبـــةِ قاهرِ!
ضنينٌ بمـــا يَبغِيـــه ليـــس يُبيحُه   لســـائله عَمَّـــا وراءَ الظَّواهـــرِ
ومـــاذا لقِيتم بعد ما قَـــدْ خَلَعْتُمو   قيـــودَ الليالي الخادعـــاتِ المَواكرِ؟
وماذا وراءَ الغيبِ؛ والغيبُ مُطْبقٌ؟   وهَـــلْ يتجلّـــى مـــرةً للنواظـــرِ؟
سؤالُ أخي شوقٍ، وقد طالَ شَوقُه   وحيرتُـــه، بينَ الشـــكوكِ الكَوافرِ

* * *

أرَيْتَ لو أنَّ الهـــولَ صوّرَ منظراً   تُجلِّلُـــه الأخطـــارُ جَـــدَّ غوامرِ؟
كذلك سَـــادَ الصمتُ بين الحفائرِ   ورَانَ علـــى أرواحِهـــم والضّمائرِ
وأذْهَـــلَ هَاتيك النفوسَ فخفَّضتْ   من البَهْـــرِ[92] والإعياءِ دقّاتِ طافرِ!

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَدْوِي كأنّه يُحَـــدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِــيِّ المَعابرِ!
أيـــا وَيْلهـــا تلك الحيـــاةَ وأهلهَا تُكَشِّــُـفُ عن بلوائها كلَّ سَـــاترِ!
وتطلبُ أســـبابَ الشَّقاء لنفسِها! فتضربُ في تيهٍ من الشكِّ حَاضرِ!
لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا وهَـــدَأ في أفكارِنـــا كلُّ نَافــرِ
نســـينا ســـؤالاً؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ يـــردِّدُهُ حـــيرانَ في حَـــزَرٍ حَازرِ
نســـيناه فارتحْنا مـــن الحَيْرةِ التي خَســـِرْنا بها الأعمارَ جَـــدَّ نواضرِ
وها أنـــت ذا تُذْكيه. يا لك جائراً ويـــا لكَ مخدوعـــاً بســـرِّ المَقابرِ!
وهـــا نَحن وَدَّعنا هـــدوءاً وهينةً شـــريناهما بالعُمرِ، يا للخســـائرِ!
أريْتَ لو أنَّ الهـــولَ صَوَّرَ مَنظراً تجلُّلُـــه الأخطـــارُ جَـــدَّ غَوامرِ؟
كذلك سَـــادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ ورانَ علـــى أرواحِهـــم والضمائرِ
وأذهَلَ هَاتَيك النفوسَ فخفضتْ من البهـــرِ والإعياء دَقـــاتِ طَافرِ

* * *

وعَاد أخو الأحياء يعطو بحســـرةٍ ولهفـــةِ محـــرومٍ، وإعيـــاءِ خَائـــرِ
لقد كانَ في المَوتى وفي الموتِ مَأمَلٌ يُعلله بالكشـــفِ عـــن كلِّ ضَامرِ
فألفى سَـــراباً ثَمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدَى فـــوا ندمـــاً عـــن بحثِـــه المُتواترِ!
فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَى ويأملَ بعدَ الموتِ كَشْـــفَ السَّتائرِ
ويا ليتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خطوهُ فيَطْـــوِي حَيا عُمرِهِ رِبْحَ خَاســـرِ!

التجارب *

كثيراً ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه!

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضية وتجاربه، وأطلقته كأنما وُلد في لحظته، ولكنه لم يستطبْ حاله، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكَنُ إليها، وودَّ لو أنَّ الأقدار وهبته ماضياً سعيدا؛ فاستجابت له. ولكنه عاد يشعرُ بغربته عن ذلك الماضي، ولم تعدْ هناك قيمة لآماله، التي خلقها ماضيه هو، وارتبطت به، وعندئذ عاد لماضيه في لهفةٍ واشتياقٍ إليه.

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ الجوانب ... بكل مصابٍ فادحِ العِبْءِ صَائبِ![1]

وضَاق به صدراً على طُولِ صُحْبةٍ ... تُملُّ، ويَا بئْسَ الأسى من مُصَاحِبِ!

ودّ لـو أنَّ الدهرَ يُعْفِيـه بُرهةً ... من الغابـرِ المملولِ جَـمِّ النَّوائبِ

فأصْغَتْ لـه الأقـدارُ في أُمْنياتِه ... علـى أنها لم تُصْغِ يومـاً لِطالبِ

وأعْفَتْـه مـن ماضِيه حـتى كأنّه ... وليدٌ خَليُّ القلـبِ من كلِّ نَائبِ!

* * *

نَضَا عَنْه أعْبَاءَ السِّـنينَ الغَوارِبِ ... ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ[2]

وعَـادَ طليقـاً لا يُعـوِّقُ خَطْوَه ... مَرَّاسٌ؛ ولا يَثْنِيـه خوفُ العَواقبِ

---

* نشرت: ١٩٣٤

١- نضا الشيء: نزعه وألقاه.

٢- المرّاس: ذو الشدة العظيمة.

وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغائبِ

وآضِ وليدُ اليــومِ في مَيْعةِ الصِّبا جديداً بدنياه؛ جديــدَ المطالبِ[١]

بعيداً عن الماضِي الذي آدَهُ الأسى وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ[٢]

* * *

ولكنّــه ألْفَاه أسْــوَانَ مُوحشــاً كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ

وألفَــاه في هــذي الحيــاةِ كأنَّه غريبُ عَــرا، في عَالمٍ منْ غرائبِ[٣]

وألفاه مقصوصَ الجَنــاحِ إذا هَفَا إلى الأوجِ لم يُسْــعفْه عزمُ المُغَالبِ

وإنْ هَــمَّ لم يُبْصِرْ لَــه من ركيزةٍ تَضَاعَفَ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثبِ

وقَدْ أبْصَرَ الآمَــالَ عَرْجَاءَ لم تجدْ لها سَــنَداً من ذِكْرَيــاتٍ ذَواهبِ

فعادَ إلى الأقدارِ يشــكُو صَنيعَها ويُوسِعُها في شَــكْوه عَتْبَ عَاتبِ!

أما يستطيعُ الدَّهرُ – لو شَاء نَصفَةً له – عوضاً من غابــرٍ منه خَائبِ

بماضٍ سَعيدٍ لم يَشُبْ صَفوَه الأسَى! فيحيا علــى رُكْنَيْن: آتٍ وذَاهبِ!

* * *

فَأصْغَتْ لَــه الأقْــدارُ في أُمنياتِه على أنها لم تُصْغِ يومــاً لِطالبِ!

وأعطتْــه أنْقى صفحــةٍ في كِتَابِها لأسْــعدِ مَخْلوقٍ وأهنَــأِ رَاغبِ!

* * *

١- آض الشيء كذا: تحوّل إليه، ميعة: ميعة الشيء: أوله

٣- آداه: قوّاه وأعانه

٣- عَرا: من العُرى، والمراد: إنه وجد نفسه غريباً أو عارياً من كل فضيلة.

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً ... لِما مَنَحَتْه مِنْ عَزيزِ المَواهبِ
وألفاه لم يكْشِفْ خَبيئةَ نفسه ... لذياك الماضي الذي لَمْ يُصَاحِبِ!
وأَبْصَرَ بالآمالِ حَيرى كأنما ... تَساءَلُ عن دَاعٍ لها جَدِّ دَائبِ
دَعَاهَا فلمَّا أقْبلتَ من سَمائِها ... رأتْ غيرَه في غَفْلةٍ غيرَ رَاقِبِ[1]
وما الأملُ «البسَّامُ» إلاّ رغيبةٌ ... لنفسٍ ترى مِنْ دَهْرِها وَجْهَ «غَاضِبِ»

* * *

فَعَادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَها ... عَلى رَجْعِ مَاضِيه بِحَسْرَةِ تَائبِ!
أجَلْ عادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التجاربِ ... وأيامه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ[2]
أجَلْ ذلك الماضي الذي هُو بِضْعَةٌ ... مِن النفسِ دُسَّتْ في الحَشا والترائبِ[3]

* * *

فأصغتْ لـه الأقـدارُ في أمنياته ... علـى أنّها لم تُصْغِ يوماً لِطالبَ!
وعَادَ إلى دُنْياه مِنْ بَعْدِ غُربةٍ ... وألقتْ عَصَاها واستقرّتْ بآيبِ

* * *

١- دعاها الماضي الشقي وأقبلت فوجدت الماضي السعيد غير ملتفت لها.
٢- السواغب :مفردها ساغبة: جائعة متعبة.
٣- الترائب: عظام الصدر موضع القلادة، والمراد دُسّت في القلب والصدر.

خبيئة نفسي *

خبيئةَ نفسي؛ قد غفَا الكونُ فاسفِري وكوني سَميري، بعد أنْ نامَ سُمَّري
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها الكرَى وهوَّم في جوفِ الدُّجى رُوحُ خيِّرِ[1]
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا ويغمرُ بالإغفاءِ رأسَ المفكرِ
وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها عوالمُ في وادي المُنى لم تُصوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خَفْقةٌ من جوانحٍ كما خفقتْ للضوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياة وأهلِها سوى طيفِها السَّاري بوادي التَّذكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفسي مِن عهودٍ سحيقةٍ ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولدي!
أُحِسُّكِ في أغوارِ نفسي ولا أرَى مُحيَّاكِ إلا كالخيالِ المُشَرَّدِ
علمتُكِ حتى أنتِ مِنِّي بُضْعةٌ جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْهدِ
ويا طَالما أخلفتِ لي كلَّ مَوْعدٍ ويا طالما ألقاكِ في غيرِ مَوْعدِ!
عبجتُ فكمْ مِنْ نفرةٍ تَنْفُرينها على فَرْطِ ما تُبْدينه من تَوَدُّدِ!
حديثُكِ من نفسي قريبٌ؛ وإنما إخالُكِ في وادٍ من التِّيه سَرْمَدِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- رنقها: كدّرها.

خبيئةَ نفســـي، ما تُرى أنتِ؟ إنني أريـــدُكِ في جوٍّ من الضـــوءِ مَعلَمِ
أعنصـــرُكِ الإيمـــانُ والطُّهرُ أصلُه وإلا إلى الكفـــرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ؟
وفي أي وادٍ أنْتِ تســـرين خِلْسَةً؟ ومـــن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهَمِ؟
وكم فيكِ من نصرٍ، وكم مِنْ هَزيمةٍ تَجاوزتَـــا في حَشْـــدِكِ المتَزَحِّـــمِ
وكم فيكِ من يأسٍ؛ وكم فيكِ مَأملٌ وكـم مـــن تَردٍّ، أو وثـــوبِ تَقَحُّمِ
وكم فيكِ من حُبٍّ، وكم فيكِ بغضةٌ ومِنْ رُشْـــدِ إلهامٍ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

* * *

خبيئةَ نفســـي في ثنايـــاكِ مَعْرِضٌ لمـــا لَقِيَتْـــهُ الأرضُ في الجَـــوَلانِ
وفيـــكِ من الآبـــادِ ســـرٌّ وروعةٌ وفيـــكِ صِراعاتٌ بـــكلِّ زمانِ[1]
وفيكِ الْتقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِه وفيكِ الْتقَى الرُّوحـــيُّ والحَيواني
وإنـــكِ طَلْســـمُ الحيـــاةِ جميعِها وصورتُها الصُّغـــرى بكلِّ مكانِ[2]
أبيني إذنْ عن ذلـــكَ العالمِ الذي تضمَّنتـــه مـــن صُـــورةٍ ومَعَـــانِ
أبينِـــي أُطَالِعْ في ثنايـــاكِ مَا مَضَى ومـــا هُـــو آتٍ مِـــنْ رُؤىً وأمَانِ

* * *

١- الآباد: مفردها الأبد وهو الدهر .

٢- الطِّلَسْمُ: السرُّ الغامض.

الخطيئة*

مِنْ خِــلال الظَّلماءِ في بَهْمَةِ اللّيلِ تَمَشَّــتْ كالحيَّــةِ الرَّقْطــاءِ
تُوقظُ الجِسْــمَ والغزيرةَ بالْهَمْسِ وتَطغــى علــى الحِجَا والــذكاءِ
وَهْيَ من خشــيةِ الضّميرِ توارَى في زَوايــا الميــولِ والأهــواءِ
فــإذا شَــعَّ مِنْ سَــنَاهُ شــعاعٌ أرْجَفَتْ منه، وانــزوتْ في التواءِ
وإذا خيَّــم الظَّــلامُ تــراءَتْ في احتــراسٍ مــن أعــينِ الرُّقَباءِ!

* * *

لحظــةٌ تلــك ثم خَيَّــم صمتٌ وظَــلامٌ؛ فما تَــرَى مِــنْ ضِيَاءِ
فمضــتْ تُضــرِمُ الغريــزةَ ناراً وتُثــيرُ الشُّــواظَ بــينَ الدِّمــاءِ
البِدارِ البِــدارِ يا أيها الْجِسْــــمُ شِفاءً من الطَّوى والظُّماءِ![1]

* * *

وتوارى (الإنســان) حين تبدَّى (حيــوانٌ) ذو شِــرَّةٍ نَكْــرَاءِ
وإذا بالخطيئَــةِ السَّــوْءِ نَشْــوَى بانتصــارٍ، نالتْــهُ في الظَّلْمَــاءِ!

* * *

---

* نشرت في نيسان (أبريل) عام ١٩٣٥

١- البدار: الإسراع. الطّوى والظماء: الجوع والعَطَش.

القطيع *

لَظى الشمسِ ؟ أم فَوّارةٌ من جهنمٍ   تَســيُل شَــظَاياها، وتنضَحُ بالدَّمِ
هو القيظُ قد فــازتْ ينابيعُ وَقْده   وفاضتْ على الأرضين في كل مَجْثَمِ
وضَاقَ رُواقُ الظّل عنها وأرسلتْ   من الشــمس أرسالٌ إلى كلّ مُبْهَمِ
فمَالَ إلى الرَّاعي الشَّطوطِ قطيعُه   يَبــثُّ رجــاءً في ثُغَــاءٍ مُتَمْتِــمِ
ونَاجَاه، ويحَ الظلِّ إنْ نحن لم نَملْ   إليــه، ويا بُؤْسَــاه ســعياً لِمَغْنَمِ!
عَيينا بهذا الضَّــرْب في كلِّ حَرَّةٍ   وراءَ ذَمَاءٍ من شَــرابٍ ومَطْعَمِ[1]
وما أنتَ – لو تدرِي – برابحِ صَفْقَةٍ   ولا نحــنُ؛ إنَّا كلّنا ذلــك العَمِي!
نســيرُ بصحراءِ الحياةِ، ولا نَرى   ســوى ظِلِّنا، يَطْغَى على كلِّ مَعْلَمِ
يُسَــخِّرُنا مَــنْ لا نــراه، لغايةٍ   يَراهــا، ولم نُــؤذَنْ بهــا أو نُفَهَّمِ!
فيا أيُّهــا الرَّاعِي هــدوءًا وهَيْنَةً   إلى الظـلِّ نَرْتَعْ لحظــةً أو نُهوّمِ[2]
فمــالَ به الرَّاعي إلى ظــلِّ دَوْحةٍ   ظليلٍ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٣٥

١- الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت ، ذماء: البقية.

٢- النهومُ: النوم الخفيف.

تَناهَى إليها الطيرُ من وَقْدة اللَّظى وثـــابَ إليها الظِّـــلُّ في غير مَعْجَلِ

وألْقَـــى عصاه، ثُمَّ ألْقَى بجســـمه وقد ضَافَه بالأيْنِ طـــولُ التنقلِ[١]

وراغَ إلى المـــاء القطيـــعُ كأنمـــا تَدَهْدَهَ جَرفٌ مـــن بَطيحٍ مُزَلْزَلِ

يَعُبُّ وَيستســـقي بشـــوقٍ ولهفةٍ ويُفْعَـــمُ ريًّـــا مـــن مُعـــلٍّ ومَنْهلِ

فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً وقد خلَّ في أعضائـــه كلَّ مَفْصلِ

فنامَ على الأعشابِ، مَا إنْ تُرى له رؤوسٌ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ

توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ التقتْ مَدَاخلُه، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ[٢]

كأنَّ شـــاءَ ذياك القطيـــعِ تَوَحُّداً فأغفـــلَ ذاك الرأسَ رمـــزَ التعقلِ

ويا طالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُـــهم وما يَقتضيـــه من طِمـــاحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعي رُؤىً عَسْجَديةٌ وجالـــتْ به الأحـــلامُ كلَّ مَجالِ

لقـــد هبطَ الـــوادى فألْقَـــاه جنةً بمـــا فيه مـــن خَفْضٍ وهَـــدْأة بَالِ

ومـــاءٍ غزيرِ النبعِ سَلْســـالِ مَنْهلٍ يَحُفُّ به عُشـــبٌ وفيـــضُ ظِلالِ

ألاَ إنـــه هـــذا النعيـــمُ ، وإنهـــا هي الجنـــةُ الفَيْحاء خلـــقُ خَيالِ!

وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ، يالَه من الخوف في هَـــوْلٍ به وصيالِ[٣]

١- الأين: الإعياء والتعب.

٢- الزَّرد: حلقُ الدّرعِ، المراد أن الشاء في تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة درعٍ من حِلق.

٣- الصيال: غالبه ونافسه.

يُزمجر فيه الوحـــُش من كل فاتكٍ قـــد اختلطـــتْ أصواتُـــه كعَوالِ
وتَعْصِفُ فيه الريحُ، ياهَولَ عَصْفِها زئيرُ أُســـودٍ، أو فحيـــحُ صِلالِ[1]
فهَـــبَّ مَفيقـــاً، يســـتبين حياتَه ليوقـــن أن لم تَصطـــدم بوبـــال
فألفى قطيعَ الشـــاءِ يدعوُ فصيلَه إلى التّدىْ ، في صوتٍ يجلجل عالِ
وأطرقَ يستوحي الرُّؤىَ ويحها الرؤى إلى أين قد طافَتْ بـــه غيرَ عَالمِ؟
وأين مـــن الوادى خُطَـــاه؟ وإنها َلآ مأُل رَاجٍ أو خيـــالاتُ حَالمِ !
وأين هـــو الغابُ الرّعيـــب؟ وإنّه ليهفُـــو إلى مـــاضٍ ســـحيقِ المعالمِ
لأعيـــاه تَاؤيُل الـــرُّؤى ، غير أنّه يحسُّ هدوءاً في ضَلالِ الطلاســـمِ
فمـــال على (أرغوله) يَستَجيشُـــه خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائـــمِ
فرجَّـــعَ أنغاماً من الغـــابِ وزْنُها وألحانُهـــا نســـمُ الريـــاضِ الحَوالمِ
فأوزانُهـــا ذكـــرى، وألحانُها مُنىً كذلك يشدو في الورى كلُّ نَاعمِ
وقد رقَّتْ الآصاُل وانْسلّتِ الصَّبا وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائمِ
فـــكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَـــةٍ ولـــذّاتِ مَوهـــوبٍ وآلامِ غَارِمِ
وغَشَّـــى على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوَّ متْ ونامـــتْ كطفلِ في الغـــرارةِ هَائمِ

* * *

١- الصّلّ: الحية من أخبث الحيات، والجمع: الصّلال.

على القمة*

نظــرتُ إليها وهي شَــمَّاءُ تذهبُ   كما لاحَ في أفْقِ السمواتِ كوكبُ
فأعجبــني منها السُّــموقُ وهَالَني   تَطاوُلُها والرّيح تَطغى وتَصخبُ(١)
وطــارَ خيــالي فوقَهــا ووراءَها   يصــوّر مــن أطيافِهــا مــا تَغيّبُ
عجائــبُ لَم تخْطُر على البالِ مِثْلُها   ودُنيا من الأحــلامِ تَزْهُو وتعجبُ
وقلت: ســعيدٌ من تطــاولَ كَفُّهُ   ذَرَاها وتــدرِى عينُه مــا تَحجبُ
دَلَفْتُ إليها، والخُطا تَسْــبِقُ الخُطا   وفي النفسِ شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمسُ طيفُه   وتهْفُــو رُؤاه مغْريــاتٌ وتَغْــرُبُ
هو الشــوقُ للرُّقيا وفي الحيِّ حافزٌ   إليهــا فيرقــى في الحيــاةِ ويَغلبُ
دَلفْــتُ فلم أنظُــرْ إلى الخلفِ مرةً   وهل ينظرُ العَجْلانُ مــاذا يُعَقّبُ؟
وما عاقَني جُهدٌ ولا وَقْعُ عُثْــرَةٍ   وأنْسَــتْنِي الأشــواقُ أنّــي مُتْعَبُ
هنا القِمَّةُ الشَــمَّاءُ يَا حُسْنَه هنا!   ويا حُسْنَ ما يدنُو إلى النفسِ مأرَبُ
تأمَّلْتُهــا فرحــانَ أخفقُ نَشــوةً   وأوْشــكُ أُغْذي سَــنَاهَا وأشْرَبُ
وقلتُ: هنا يا نفسُ أشْــرَفُ بُقْعةٍ   وأرْحَب أفقٍ في الســماواتِ يَرقُبُ
وإنّــكِ مِن فــوقِ التــلالِ طَليقةٌ   ولم يَبْــقَ مَســتورٌ عليــك مُغَيَّبُ

١- نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٣٧
٢- السموق: الارتفاع والعلو

فَقَرّي هنــا يا نفسُ جَدٌّ ســعيدةٍ   فليس وراءَ الأفقِ يا نفسُ مَطْلَبُ»

وأغمضتُ عيني سَابحاً في خواطِري   وبي نَشْــوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُــبُ

فمــا رَاعَــني إلاّ الزمــانُ يَلُفُّني   إلى الضِّفّة الأخرى كما لَفَّ كوكبُ

إلى أيــنَ ؟ لاتَعجلْ رُويــدكَ هَيْنَةً   فما هكذا تُطــوى الأمَاني وتَذْهبُ

وما هكذا يُجْــزَى الذي جَدَّ جَدُّه   إلى القمةِ الشــمّاء، والقلبُ مُلْهَبُ

وخلّــفَ في ناءٍ من السَّــفْحِ زَادَه   وما عَــزَّه في ذلك الوعــرِ مَرْكبُ

رويــدكَ يا هــذا الزمــانُ فإنني   من الهوّةِ الجَرْداءِ أخْشَــى وأَرْهَبُ

وإن لا يكنْ بُدٌّ من الســير فانطلقْ   إلى الخلــفِ إنِّي عَاذِرٌ لــك مُعْتِبُ

تَأَلَّفْتُــه يومــاً فإنْ عُــدتُ لم أَعُدْ   إلى غربــةٍ تخفُــو علــيَّ وتَنْكبُ

ولكنّــه لم يُصْــغِ لي في ضَرَاعتِي   ومــازال يَهْــوِي بي ولا يَنْكُــبُ

إلى الهوةِ الجــرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ   إلى الهــوةِ الجرداءِ فالدَّهْــرِ يَلْعبُ

* * *

١- تَنكب: تميل عني. والمراد تبتعد

مصرع قصيدة*

أحسسْتُ مَصْرَعَها بنَفْسِي بينَ التأوُّهِ والتأسِّي
وسمعت حشرجة الجريح تئنُّ في أطواء حسِّي
هي من بنات الشّعر لم تُولَدْ، ولم تُوأَدْ لوَكْسِ[1]
جاشت لفاتنةٍ على الشُّطآنِ ذاتِ رضًا وأُنْسِ
نضِجَت محاسُنها كما نضجت قطوفُ جنًى بغَرْسِ
وحسبتها صينت على ال أنظار من قطفٍ ومسِّ
فهممتُ أدعوها دعاءَ الفَنِّ في خطراتِ همسِ
شعراً يسِّجلُ حسْنَها للكون في أحناءِ طِرْسِ
وإذا الأيادي القاطفات تجول في عَبَثٍ وبخس!
يا ويل قُطَّاف الجمال بغير ما وَرَعٍ وَنَطْسِ[2]
بَيْنا نَحُومُ عليه في تَقْوى كما نَرْنُو لِقُدْسِ!

* * *

وإذا التي جَاشَتْ بِنَفْسِي تُتَوّى مُضَرَّجَةً بحِسّي!

* * *

* نشرت في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٨

١- الوكس: العيب والنقص.

٢- النطس: من نطِسَ أي دقق النظر في الأمور واستقصاها.

وجوه طريفة*

طَالِعيني في كلِّ يومٍ بِوَجْهٍ   فلديكِ الوجوهُ شتَّى طريفَهْ
وَافْجَئيني لديكِ بالخَطْرِ المَحبوبِ يُجَدِّدْ حياتَنا المَأْلوفَهْ
بتُّ أَشْتَاقُهُ وأرقُبُ مَاذَا   يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ!
كلَّ سَمْتٍ أراكِ فيه جميلٌ   كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شَفيفَه
أنتِ ما أنتِ؟ عَالَمٌ مُترامٍ   أبْدَعَ الفنُّ والمُنَى تأليفَهْ
أنتِ كُثْرٌ فَفيكِ تَحْيا طُيُوفٌ   كلُّ طيفٍ له رُؤاهُ المُطيفَهْ
تارَةً أنتِ حرَّةٌ أصْطَليهَا   وإذَا أنتِ كالرِّياضِ الوَريفَهْ
وَتلوحِينَ قطْعَةً من حَنانٍ   وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حينٍ مُخيفَهْ!
وأرى فيكِ طِفْلَةً لم تبارحْ   مَلْعَبَ الطِّفْلةِ. اللَّعوبِ الخَفيفَهْ
وإذَا أنتِ قَهْرَمَانَةُ دَهْرٍ   مُوْغِلٍ في المَسَاربِ المَلْفُوفَهْ(١)
وإذا ما انْطويتِ أمسيتِ سِرًّا   صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكِماً تغليفَه
وإذَا ما انطلَقْتِ مثلَ شُعَاعٍ   كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لَطيفَهْ
لكِ طَعْمٌ أذوقُهُ بل طُعُومٌ   كُلُّهَا نَاضِجٌ هَويتُ قُطوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ في فَوْرَةِ النُّضْجِ   شَهِيُّ الْجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفَهْ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس) عام ١٩٤٢

١ - قهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه ويقال: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة.

إلى الظلام*

إلى الظَّلام الأمين تَحدَّري يَا سَفيني
وَجَانيِ كلَّ نورٍ النُّورُ يُؤذِي جُفُونيِ
لَقَدْ حَطمْتُ شِرَاعيِ ومِجْدَفيِ ويَميني
وهَدَّ عَزْميَ مَوجٌ يَثُورُ كالمَجْنُونِ
أخْشَاه أخْشَاه جُهدِي فَحَاذِري يا سَفيني!

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَاءتْ نَفْسِي بِعبْءِ السِّنينِ
أُريدُ وَقْفَةَ أمْنٍ في مَجْهَلٍ مَأمُونِ
أُزيحُ فيهِ قَليلاً عَن عَاتقي المَوْهُونِ
وأستريحُ رُويداً من الصِّراع الحَرُونِ(١)
وقد أُعاوِدُ سَيْرى في اللُّج أزجي سفيني

* * *

إلى الظلام الأمين إلى مَلاذِ السُّكونِ
طَالَ التيَقُّظُ حتَّى أعْشَى السُّهادُ عُيونيِ(٢)
إلى المَسَارِبِ فَامْضي لأنْزَوِي عن شُجُوني
وعَنْ رَجائي ويأسي وكلِّ ما يَعْنيني
الانْزِوَاءُ مُريحٌ فأوْغِلي يا سَفِيني

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- الحرون: المتمرد والمراد: الصراع المرير.

٢- أعشاها: أضعفها.

قافلة الرقيق *

قِــفْ بنا يا حَــادِي العمــر هُنا لَحْظَــةً تَنْظُــرُ مــاذَا حوْلَنــا
في طَرِيــقٍ قَــدْ نَثَرْنَــا عُمْرَنــا فيــه أشــلاءَ حيــاةٍ ومُنَــى

* * *

قــد نَثَرْناها على طَــولِ الطريقْ ومَضينا ضِمْــنَ قُطْعــانِ الرَّقيقْ!
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحيقْ مُغْمَــضَ العينين يَسْــرِى مَوْهِنا[1]

* * *

من ظَــلامِ الغَيبِ تَخطُــو قَدمَاه لظَــلامِ الغيــبِ تَنْسَــاقُ خُطَــاه
في طَريــقٍ غامــضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِــفُ الحَــادِي فيمضِــي مُذْعِنَا

* * *

لَهَفَــةً لو عُدتُ أرْعَــى خُطَواتِي في طَريــقٍ دَرَجْــتُ فيــه حَياتِي
فَتَطَلَّعــتُ إلى هــذا الشَّــتات وأنــا في الكَــرَّةِ الأخْــرى أنَــا!

* * *

لَتَمَلَّيــتُ شِــيَاتِي وسِــماتِي وأمَانِــيَّ ويأسِــي ورَجَاتِــي[2]
وحَمَاقَاتِــي ورُشْــدِي وهَنَاتِــي والهَــوى الحَانِــي الــذي ظَلَّلنــا

---

* نشرت في عام ١٩٤٦.

١- المَوهِنُ: نحوٌ من نِصف الليل أو بعد ساعة منه. والمراد ليلاً.

٢- شِياتي: مفردها الشِّية. العلامة.

* * *

كلُّها عَاهَــدتُ أن أقْضي عُمرِي وأنــا أُخْلِصُهــا سِــرِّى وجَهْرِي

وإذَا السّــوْطُ هَوى يُلْهِبُ ظَهَري حيثُ لا أسْــتطِيعُ رَيْثــاً أو وَنى[١]

* * *

وإذا الآمَــالُ والآلامُ خَلْفِــي سَــاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيــدي وخُلْفِي

مُلْقَيــاتٌ بــينَ إهمــالٍ مُســِفٍّ لم أُوَدِّعْهــا. فيــا وَاحَزَنَــا![٢]

* * *

أيُّهــا الحَــادِي ألا فامــضِ بِنَا قــد أثــارتْ ذِكْرَياتِي الشَّــجَنَا

لم نعُــدْ نَجــزعُ لو تَحْــدُو لَنَا: «نحــن لا نَرْجِــع يوماً هــا هُنا»

* * *

١- الريث: التمهُّل ، الونى: الضعف.٢- المُسِفّ: من أسَفّ إذا دنا إلى الطريق.

في مفرق الطريق *

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان. دار هذا الحوار... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه، وأما الأخرى فتترع إلى العزاء بالتطلّع إلى جديد:

أنْــتَ أوْغلتَ في الظـلامِ طويلاَ   فمتى يــا رفيــقُ تبغــى القُفولا؟
شـدَّ ما آدَنَا التخبُّـطُ في الليلِ   وخِفْنــا ظلامَــه المدخــولا![1]
ورأينَــا الأوهامَ تبدو شــخوصاً   ورأينا الشـخوصَ تبدو هَيُولَى[2]
وَخَبَرْنــا فلــم يُفِدْنــا اختبــارٌ   وسَــخِرْنَا مِمَّــا خَبَرْنَــا طَويــلاَ
يــا رفيقــي. إذا قَــدَرْتَ فأَوِّبْ   إن هــذا الظـلامَ يُضْنِــي العُقُولاَ

* * *

أنا أخشــى الضيــاءَ أُبْصِر فيها   ذكريــاتي تبدلــتْ تبديــلاَ
أنا أخْشــى النّهار يكشــفُ عني   كلَّ وَهْــمٍ أرُودُه تعليــلا
أنــا يا صاحــبي أُشـيحُ بوجهي   أنــا أرى عهْدنــا تَــرَدَّى قتيلا
أنا يَــا صَاحِــبي أُدافِــع عَقْلِي   أنْ يَــرُودَ الْيَقــين جهمــاً ثَقيلاً
الظَّــلامُ الظّــلام أرْوَحُ للقلبِ   ولــو كان لا يُريــح العقــولا!

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) عام ١٩٤١

١- آدنا: أتعبنا وأهرقنا.

١- الهيُلى: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور.

يَا رَفيــقُ. الحَيَاةُ أسْــمى وَأغْلى   أن تُقَضّــى كــذاك وهمــاً ضئيلاً

يــا رفيــقُ. الحياةُ أقصــرُ عهداً   أن تُضحّــى ســاعتها تخْييــلا

أُبْ مــن الظُّلمــةِ الحبيبة واهجُرْ   كلّ مــا كان في الحيــاةِ الأولى

وتطلّــعْ إلى جَمــالٍ جَديــدٍ   أفلــم تَلْــقَ في الحيــاةِ جميــلاَ؟

عِــشْ بما قــد وُهِبْتَهُ مــن حياةٍ   مُسْــتثارَ الإحســاسِ نَهِماً عجُولا

* * *

آه يــا صاحــبي أتجهــلُ أنّــي   أفقــدُ الــدّارَ إنْ فقــدتُ الطُّلولاَ

ذاك عهــدٌ أنفقتُ فيــه رَصيدي   كلّــهُ لم أُبْــقِ منــه قليــلاَ

أتُراني أُجــدّدُ الذُّخــر والعُمــ   ـرمُــوَلٍ والجَهْــدُ أمســى هَزيلاَ؟

أنــا باقٍ هُنــا فإن شــئتَ دَعْني   ورُدِ الْكــونَ حافــلاً مَأهُــولا

أنــا بــاقٍ هُنــا أرُودُ طُلُــولي   لَم أعُدْ بَعــدُ أســتطيبُ القُفُولا!

* * *

أقدام في الرمال *

نحنُ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ؟ وخيالٌ سَارِبٌ إثْرَ خيالْ
في متاهاتِ وجودِ لزوالْ كبقايا الخطو في وجه الرِّمالْ

زُمَرٌ تَدْلفُ في إثْرِ زمَرْ وَيْحَ نفسي ! إنه ركبُ البشر
مغمضُ العَيْنَيْن في كَفِّ القدَرْ كلَّما أوْغَلَ في التِّيه انْدَثَرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الركْبِ أم أيَّانَ سَارَا؟ ما أرى في إثْره حتّى غُبَارَا
ما أرى قبراً وما أُبْصِرُ دَارَا ضَلّةً لي! ذاكَ ظِلٌّ وتَوَارَى(١)

* * *

مِنْ ظَلامِ الغيبِ في التيهِ البعيدْ لظلامِ الغيبِ في التيهِ المديدْ
وَمْضَةٌ كالبرق تجتازُ الوجودْ ويُسَمِّيها بنُو الأرضِ الخُلُودْ!

* * *

خُدْعَةٌ رَاقتْ لأبناءِ الفَنَاءْ حينما أعْيا على الأرضِ البَقَاءْ
المساكينُ هَبَاءٌ في فَضَاءْ رَحْمَةً للذرِّ في مَسْرَى الهواءْ!

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٦

١ - الضَلّة: الحيرة

ما أرى الأرضَ تَحِـسُّ الوافدين أو أرى الأرضَ تَحـسُّ الرَّاحلينْ
كلُّ مَـا كَانَ وما سـوف يَكُونْ نَأمَةٌ تَهْجِسُ في جَوْفِ السُّـكُونْ

* * *

خَطَـواتٌ ذاهبـاتٌ في الرِّمَالْ وخيـالاتٌ تَـرَاءَتْ لخيـالْ
وشُـخَوصٌ تتـوارى كظـلالْ للزوالِ... كلُّ شـيءٍ للـزوالْ!

* * *

خدعة الخلود*

لا أنتِ سَـالَمك الزمانُ ولا أنَا   لا أنْـت داعيةٌ ولا أنا مُسْـتَجيبْ
هـذي مَياسـمُه على قَسَـمَاتنا   قَـرَّتْ أمانينا على الأُفـقِ القَريبْ
ودَبيبُـه ينسـابُ في خَطَرَاتنـا   ويَكْشفُ الوهمَ المُغَلْغلَ في الغيوبْ
ويَدَاه تَنْسـلُ من خيـوطِ حَياتنا   وبدوتِ عاريةً مـن الألَقِ العجيبْ
ويَـدُ البِلى تَطوي الرغائبَ والمُنى   وبدوتُ عَاديَّ المحاسنِ والعُيوبْ!

* * *

ما الفجرُ؟ ما الأحلام؟ ما الشوقُ الدفينُ   ألقـاكَ كالذكرى تَمـرُّ بخَاطرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكرات؟ ما حَرْقُ الحنينِ؟   كالخَطْرَةِ الوَسْنَى بفكرةِ شَاعرِ[1]
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّـحِ بالفتونِ؟   كالرسـمِ يَبْهتُ لا يَبِـيْنُ لناظرِ
ما اللهفـةُ الكبرى تُراودُ في جنونٍ؟   كبصيـصِ نارٍ في الرمـادِ الفَاترِ
مـرَّتْ عليها كُلِّها كَفُّ السـنينَ!   وَيْحي وويحُك نحنُ ذِكْرى عَابرِ!

* * *

خَطَوتُك النَّشْوى التي كادتْ تَطيرُ   وَيَحْي وويحُك ما الحياةُ وما الخُلُودْ؟
وتوَفُّـزُ النَظَـراتِ في ألَـقٍ مُثيرِ   خُـدَعٌ تُهَدْهِدُنا بهـا الأُمُّ الوَلودْ
وتَوثُّـبُ اللفتـاتِ في لَهَفٍ حَرورِ   ويدُ البلى تَطْوي القديمَ على الجديدْ
وتُقَلُّـبُ الرَّغَباتِ في قَلَـقٍ غريرِ   والدَّهرُ ماضٍ لا يكلُّ ولا يَحيدْ[2]
ويَحْي وويحُكِ قـدْ تَعاوَرَها الفُتُورُ   والنـاسُ والأيـامُ والدُّنيـا عَبيدْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٤٨.

١- الوسنى: الناعسة.

٢- الغرير: الساذج، عديم الخبرة.

الغزل

هي أَنْتِ التي خُلِقَتْ لِنَحْيا

في ظلالٍ من الوفاءِ الرَّشيدِ

كحياةِ الأَرْواحِ تُضْفِي حناناً

وهي تهفُو في ظِلِّها المَمْدُودِ

ليلة؟! *

يا ليلةَ الأمسِ والليــلاتُ ذاهبةٌ كغمْضَةِ العــينِ في أضْغَاثِ أحْلامِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفةً تجيشُ بالحـبّ عَن وَحْـيٍ وإلهامِ
يَرْعَاكِ مَنْ خَلقَ الأرواحَ شَاعرةً دقيقــةَ الحـسّ في رِفْـقٍ وإحكامِ
لأنتِ أقصــرُ ليلاتــي وأخْلَدُها وأنــتِ أَزْهَــرُ سَــاعَاتِيَ وأيامي
فيــكِ التقينا فــلا إثمٌ ولا حَرَجٌ في ظلِّ طيفٍ من الإخلاصِ بَسَّــامِ
ورُوحٌ من الحبِّ خَفّاقٌ يَحفُّ بنا حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النّامي
ويُنْشِــدُ الحــبُّ أنغامــاً يُلحّنُها لحنَ الطبيعةِ ذاتِ المنطقِ السّــامي
بالليــلِ يَتلو على الأكــوانِ آيتَه ما أبدعَ الليــلَ في شَــدْوٍ وأنْغامِ

* * *

يــا ليلةَ الأمس هَــلا أنتِ عائدةٌ إلى الزمــانِ فَأنْسَــى كل آلامــي
إنّــي لألْمَحُ طيفاً منْك يُؤْنسُــني في وَحْشَــتي بَــيْنَ أيقــاظٍ ونُوّامِ
ذكــراكِ باقيةٌ مهمــا يَطُلْ زَمني فأنــت زهــرةُ أيامــي وأعْوَامي
فيــكِ أوَّلُ آمَــالي وآخرهــا وأنــتِ مَنْبَــعُ إمــدَادي وإلهامي

* * *

* نشرت في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩.

نظرة موحشة *

أهو حظي منك تلك النظرات كلما جادت بمرآك الصُّدَفُ؟
وخيالاتٌ تراءى في سُباتٍ مُذْ كيات ما بنفسي من شَغَفِ؟
أكذا تمضي بقيّاتُ الحياة ليتَ شعري وكذا يُقضي العُمُرْ؟
آهٍ . ما أشجى وما آلمَ . آهٍ إن يكن هذا فما أقسى القَدْرِ!
أين ساعاتٌ مضت قبل الفِراق ملؤها العطف وريّاها الوفاءْ؟[1]
هكذا الدنيا اجتماع وافتراق وهي آهات وذكرى وشقاءْ!
شد ما ألقاه في هذا النّوى من عذاب ينكأُ القلب أليم[2]
شَدَّ ما تَسْتشعرُ النفسُ الجوى فتلظّى في شُعورٍ كالجحيمْ
ليتني أدْرِي – وإن لم يُشْفِنِي – كيفَ أُبْدِي مَا بِنَفْسِي مِنْ ألَمْ!
ربَّ إحساسٍ أليمٍ شَفَّني لم أصورْهُ بلفظٍ فاضطرم[3]
آلمَ الإحساسَ إحساسٌ دفينٌ وشعورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِرْ
لم يَجِدْ لفظاً فأدّاه الأنينُ ودموعٌ ساكباتٌ تَنْهَمِرْ
أتَرى آلمُ للقلبِ الكَليمِ مِنْ رَجاءٍ كان يَزْهُو فَخَبَا؟
وانطوى يَغْمرُه يأسٌ عَقيمٌ يتركُ القلبَ قِفاراً مُجْدِبا؟
أتُرى أوْحَشَ مِنْ ديرٍ كئيبٍ في فَلاةٍ لا يُدانيها البَشَرْ

* نشرت في نيسان (إبريل) عام ١٩٢٩.

١- ريّاها الوفاء: ملؤها الوفاء.

٢- ينكأ: يفتح الجرح من جديد.

٣- شَفَّني: أنحلني، أذهب عقلي.

وتكادُ الرِّيـــحُ تَحميــه الهبوبَ دَقَّ نَاقــوسٌ بــه عندَ السَّـــحَرْ؟
ذَاك قَلْــبي بعــدَ فُقْــدان الأملِ مُوحِــشٌ يَطْرقُــه صوتٌ سَــحيقْ
تبعــثُ الذكرى صَــدَاه إذْ تُطلُّ مُشْــجياً يُوغلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الــذي كانَ وماذَا سَــيكُونْ؟ لســتُ أدْري مَا جَوابي، لا جَوابْ!
لَيتــني أدري خَبيئــاتِ الســنينْ إن فِراقــاً أو يَكُــن بعــدُ اقترابْ
إيــه يــا مِــلءَ فُــرادي ومُنَاهْ إيــه يــا رمــزَ الأمَــاني والأمــلْ
يا نســيماً ضَــمَّ أنْفَــاسَ الحياةْ نَفْحَــةٌ تُهْــدِي إلى مَيْــتٍ أجَــلْ
أنــا إذ ألْقَــاكَ عَفْــواً لا أُحسُّ فيــك جســمْاً كبقيات الجسُــومْ
إنمــا ألقــاكَ طَيفــاً لا يُحَــسّ طائفــاً يَهفُو كمــا يَهفُو النَّســيمْ
في خَيــالي أنــتَ أنْقَــي وأرقُّ أنــتَ رُوحُ فيــه أو طيــفُ مَلَكْ
بجناحَيــه تَــراءى فخفــقَ بســناءٍ هــادئٍ يُغْــري الحَلَــكْ
أفَــلا لُقْيــا بثغــرٍ بَاســمٍ؟ أفــلا قلــبٌ أُناجيــه سَــميعْ؟
أفــلا شَــكْوى فــؤادٍ هائــمٍ؟ أفلا نَجْــوى بِصَمتٍ وخُشُــوعْ؟
«بِحَياتِــي أفْتَدي هــذا اللقاءَ» وأمانِــيَّ ومــا ضَمَّــتْ يَــدَاي
وبِنَفْسِــي لو دَنا عهــدُ الرِّضَاء فَمَحــا بُؤسِــي وأوْدَى بجَــواي
وأوَى قلبــين في بُــرْدِ الوَفــاءِ مثــل مــا كانَــا شَــقيقَيْ مَوْلِد
ليتَ. لكن «ليتَ» لا تُدني رَجاءَ فَلأمُــتْ أو أبــقَ حِلْــفَ الكَمَد

* * *

طيف!!*

هو هـــذا أنتَ يا طيــفُ؟ فَأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَـــهْلاً

* * *

هَـــوَّمَ النَّـــومُ وأرْخَـــى رِيشَـــه واحتـــواني بِجَنـــاحٍ قَـــد تَدلَّـــى
وانـــزوى العَـــالمُ عنّـــي وخَبَتْ ضَجَّـــةُ الكـــونِ وما فيـــه وَوَلّى
ها هُنـــا في النـــومِ ألْقَـــي عَالَمَاً هَادِئـــاً رَحْبـــاً وبَسّـــاماً مُظـــلاً
وتَراءى الطيفُ سَـــمْحاً رَاضِياً بَاسِمـــاً كالأمـــلِ الحُلـــو وأحْلَـــى
هُو هـــذا أنتَ يا طيـــفُ؟ فأهلاً مرحباً يا طيفَ مَنْ أهوى وسَـــهْلاً

* * *

أدْنُ مِنّي فاســـتمعْ لَحْنَ فُؤادِي إنّـــه لَحْـــنٌ يُغَنّيـــه بَدِيـــعْ

* * *

إنَّـــه عنـــوانُ حُـــبٍّ وَوِدَادٍ وهَيـــام بين أحْنـــاء الضُّلُـــوعْ[1]
إنَّـــه أُنْشُـــودَتي أخْلُـــو إليهـــا بـــيَنَ صَمْـــتٍ وهَيـــامٍ وخُشُـــوعْ
إنـــه لَحْـــنٌ أُغَنّيـــهِ وَقلْبِـــي خَافِقٌ والعـــينُ تَهْمِـــي بالدّمُوعْ[2]
أدْنُ مِني فاســـتمع لَحْـــنَ فُؤادي إنّـــه لَحـــنٌ يُغَنّيـــه بَديـــعْ

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٩.

١- أحناء: الأضلاع

هـــاك قَلْبِـــي فتســـمَّعْ خفَقاتِـــه   فهـــو قَلْـــبٌ مُسْـــتثارُ الخَفَقـــاتِ

***

بَلَّـــلِ الْوَجْـــدَ وهَـــدَّىء زَفَرَاتِه   فهـــو قَلْـــبٌ ضَيـــقٌ بالزَّفَـــراتِ

أنتَ يا طيفُ الذي يرجُو فُؤادِي   بعد ما قَـــدْ ضَاقَ ذَرْعاً بالشَـــكاةِ

هـــاكَ قَلْبِـــي فتســـمَّعْ خَفَقَاته   فهـــو قَلْـــبٌ مُسْـــتَثارُ الخَفَقَـــاتِ

***

أنْـــتَ يا طيـــفُ ويا رَيَّـــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ أو رَمْـــزُ السَّـــلامِ

***

لـــك منِّـــي كُلُّ مَعْـــنى قُدْسِـــيٌّ   يَهْمِـــسُ الحـــبُّ بِـــه بـــينَ الأنامِ

أنـــتَ يا طيـــفُ ويا رَيَّـــا حبيبي   أنـــتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّـــلامِ

***

صوت؟!*

تُذَكِّــرُنِي الماضِي فآســى لِذْكْرِه   وتُوقظُ أشْــجَانِي وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إحسَاســي بأنغامكَ التي   تحــدِّثُ عــن قلــبي إذَا أنَّ باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه الأسى   فخلَّفَــه نضْــواً من الهــمِّ واهيَا[1]
تُهيــجُ بِــه الأنغــامُ آلامَه التي   تحمّلَهـــا بالرغــم أسْــوانَ رَاضيًا!
تحمَّلها لم يَشْــكُ للنــاسِ ثِقْلَها   وقد كان معذوراً لو آلتاعَ شــاكيًا

* * *

تُذَكِّــرُنِي حُبًّــا قديمــاً دفنتُــه   ونفضتُ كَفِّي يائســاً منه آســيَا
ورحـــتُ أواري كلَّ آثــارِه التي   تَراءى فَتُذْكي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا
بعثـــتُ به حيّــاً يُطِــلُّ وينْزَوي   ويفتـــحُ أجْفَانـــاً مراضاً سَـــواهيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها   تُمَــزِّقُ أشْــتاتاً وتبــدُو بَواليَــا
هو اليَــومَ ذِكْرى لا تُرْجَى حياتُه   فلا هـــو مَعْدومـــاً ولا هُـــو باقيَا
هو اليـــومَ آلامٌ وقـــد كان مُتْعةً   ورُوحـــاً ورَيْحاناً وطَيْفـــاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما   بعثتُ بــه صوتاً من الثغرِ شَــاجيَا
وجَاشَ به صدرُ الحيـــاةِ فرجَّعَتْ   أغاريدَه كالنُّـــوحِ أسْـــوَانَ دَاويَا
وحدَّثْتَنَـــا عَما أكَنَّتْ نُفُوسُـــنا   فأيقظت فيها كلَّ ما كانَ سَـــاهيًا[2]
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا   ونُمْســـكُ أكبـــاداً تَنْـــزَّى دَواميَا

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٠، والمراد بالصوت : محمد بخيت.

١- آده: أتعبه وأرهقه، النضو: الهزيل.

٢-أكنَّت: أخفت.

هي أنت *

هـــي أنتِ الـــتي خُلِقَـــتْ لِنحيَا   في ظـــلالٍ مِـــنَ الوفاءِ الرشـــيدِ؟
كحيـــاةِ الأرواحِ تُضْفِـــي حنانـاً   وهـــي تَهفُـــو في ظلِّها الممـــدودِ؟
حيثُمـــا الحـــبُّ طائـــفٌ يَتراءى   كالمـــلاكِ المهـــوِّمِ المَكْـــدُودِ
حَانـــي العِطْفِ إذ يَضـــمُّ علينا   ضمـــةَ الأمِّ رَحْمَـــةً بالوليـــدِ
فـــإذا الكـــونُ والحيـــاةُ جمـــالٌ   وإذَا العيـــشُ فُسْـــحَةٌ في الخُلُودِ؟

* * *

هي أنْـــتِ التي أطافتْ بنفســـي   وتـــراءتْ في خَاطِري مـــن بعيدِ؟
حينمـــا كنـــتُ هائمـــاً أتلقـــى   أغنيـــاتِ الآمالِ شَـــتَّى النشـــيدِ؟
في ظِـــلالٍ مـــن الأمانـــي تَتْرى   بـــين وادي التعِلَّـــة المعهـــودِ![1]
إذْ تَراءَيْـــتِ هَالَـــةً مِـــنْ رجاءٍ   هَـــادئٍ لَيِّـــنٍ رفيـــقٍ وَئيـــدِ[2]
ثم دَانَيْـــتِ في دَلالٍ وديـــعٍ   ثم باعـــدتِ في دلالٍ شَـــرودٍ؟

* * *

هي أنـــتِ التي تلاقيـــتِ رُوحاً   مع روحِـــي فَهَامَتَـــا في الوجودِ؟
هـــي أنتِ الـــتي تُحَـــدِّثُ عنها   خَطَـــراتي، في يقظـــتي وهُجُودي؟

---

* نشرت عام ١٩٣٠
١- التعلة: ما يُتعلل به.
٢- وئيد: متمهل.

إن تَكُـوني! إذْنْ فهـاك فؤادي كلّـه خالصـاً نقـيَّ العهـودِ

وتعالَـىْ نَبْـغِ الحيـاةَ جِهـاداً عبقـريَّ التصويـبِ والتَّصعْيـدِ!

شَـجِّعيني علـى الجهـادِ طويلاً فجهـادُ الحيـاةِ جِـدٌّ شَـديدِ

أشْـعريني بـأن قلبـاً نقيًّـا يَرتَجى سَـاعِدي ويهوى وُجُودِي

ثم سِـيري معـي نَخُـطُّ طريقاً كمهـادٍ في الصَّخـرِةِ الجُلْمُـودِ

نظـرةٌ منـكِ وابتسـامةُ حُبٍّ تتـركُ الصَّعْـبَ لَيِّنـاً كالمُهـودِ

لك منِـي عَواطِفـي وعُهودِي لـك مـني رعايـتي وجُهـودِي

* **

أحبك *

أُحبــكِ كالآمالِ إذْ أنــتِ مثْلُها تُذَكّين في نفســي أعــزَّ مَواهبِي[1]
ومــا هِــي إلا نظــرةٌ شــاعريَّةٌ تعبّــرُ عمــا شــئتُه مِــنْ رَغائبِ
فَتَسْرِي إلى نَفْســي مَضَاءً وجَرْأَةً ووثبَةَ حسَّــاسٍ. وَعزْمَــةَ راغبِ
ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْــرِي كأنَّه نشــيدُ مَــلاكٍ هَائــمٍ مُتَقَــارِبِ
يعيــدُ إلى المكدودِ راحة نفســه ويبعثُــه خَلْقــاً جديــدَ المطالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبي الــذي أنْتِ ملْؤُه ومِنْ كلِّ إحســاسٍ بِنفْســي ذَائبِ
فُؤادي الذي فتَّحْتِ فيه مشــاعراً من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ به حــتى تكشّــفَ دونَهُ عــوالمُ أقــرى تائهــاتِ الجوانبِ
عــوالمُ لاتعــد ولقلــبٍ منصَّبٍ بلا ذلك القلــب الرفيق المصاحب
بهــا كلُّ لــذاتِ الحيــاةِ ودونَها لذائــذُ أُخرى كاذبــاتِ العَواقبِ

* * *

أُحبُّــك إذ تَرجــين مــنِّ رعايةً وتَهْوِينَ ســاعاتِ الحيــاةِ بِجَانبي
هنالك نَسْــمُو بالحيــاةِ فنَرْتقي إلى كَنَــفٍ بينَ الســمواتِ ضَارِبِ
هنالــك نَحيــا والأمــانيُّ حَوْلَنا تُغَــرِّدُ ألحــانَ المُــنى والرغَائــبِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٠.

١- تّذكين: من ذكت النار: اشتدد لهيبها

تواردُ خواطر!*

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه...!

أفأنتِ ذي ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ؟ إني أراكِ كطائــفِ الأحــلامِ !
لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطري ألفيتُ شَــخْصَك كالمــلاكِ أمَامي
فَدُهِشْتُ أو فارتعْتُ أو فتضَرَّمَتْ خَفقَــاتُ قلبي المُنْتَشِــي البَسَّــامِ
عجباً! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خاطري بكِ؟ أم سريت على جناحِ غرامي
إنَــي لأ ومِــنُ بالغــرام وإنّــه يَقْــوي علــى مُتَعَــذِّر الأوهام!

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِــي وخَواطِري لَمَّــا لَقِيتُك كالخيالِ السَّــامِي ؟
أفَأنْتِ سَــاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً، وتبعـُـث في الحياةِ حُطامي ؟
وتُحيلُ صُــمَّ القافــراتِ نَوابضاً بالزهــرِ ، والآمــالِ والإلهَامِ ؟![1]
وتُجمِّــلُ الدُّنيــا وتَخْلُــقُ عَالَماً للخُلْــدِ فيه مَــدارِجٌ ومَسَــامِ ؟
الله ! . أو فالحــُـبُّ . فهــو ظِلالهُ في عــالمِ الأوهــامِ و الأفْهــامِ !

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١- صم القافرات: الأرض الصّماء المجدبة.

ياللقـــاءِ ! فكيــفَ قــد حَجّبتِــه عن نفسٍ منهـوم العواطفِ ظَامِ؟
هو هــذه الدُّنيا وعَالمُ ســحرِها ؟ هو ذلكَ النبعُ الجميلُ الطَّامي؟[1]
حَجَّبتِــه عنّــي، فأســفَر بغتــةً بيــدٍ تجــيء بمُعْجــزِ الأيــامِ !
الحــبُّ ؛ ياللحــبِّ ! يرْتَجلُ المُنى مــن غــيرِ تدبــيرٍ وغــيرِ نظَامِ!
إنّي وَثِقْــتُ بــه ومــا هُــو باخلٌ بــكِ يا ســعادُ بيقظــتي وَمَنامي

* * *

١- الطامي: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

عينان*

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرهما، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار، وعجب أي مدى يستنفذ طاقة هذه النظرة حتى ما وراء الكون، وهذه الطاقة في تصوره لا يستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل:

إلى أيِّ سِـــرٍّ بَـــلْ إلى أيِّ طَلْسَـــمِ   تَوَجَّه مِنْ عينك شُـــعَاعُ مُلْهِم ؟
إلى مَخْبأ الأسْـــرارِ في نفـــسِ كَاهِنٍ   تُحجِّبُها أســـتارُ دُجْوان مُظْلم[1]
إلى الغابرِ الماضِي الذي ضَاعَ رَسْـــمُه   وغيَّبه النِّســـيانُ في تِيه عَيْلَم[2]
إلى القابـــلِ الآتِي الـــذي نَـــدَّ طيفهُ   عن الوهمِ بل ضَلَّتْه رُؤيا المُنَجِّم
إلى حَيثُمـــا الأقدارُ تُمضـــي أمورَها   على خِفْيـــةٍ من وهمِـــه المُتوهِّم
إلى مـــاوراءَ الكـــونِ والعـــالمِ الذي   تُحيـــطُ به رُؤيا السَّـــحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لَأَحْسَسْـــتُ فيها رِعدةً[3] إذْ توجَّهتْ   وَدَبَّ لهـــا قلْـــبي وأَنكَرَها دَمِي
وأَحْسَـــبُها قد جـــاوزتْ في عُبورِها   عَوالِـــمَ لم تُخْلَـــقْ ولم تُتَوهَّـــم

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٣٤.

١- دجوان مظلم: المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو: تمّ وكمُل.

٢- عيلم: بحر.

حدثيني*

رأى الشاعر سحابة من الأسى على جبينها لا يعلم لها سبباً:

حدثيــني بمســتشار شُــجُونكْ واكْشفي لي عما اخْتَفَى مِنْ شُؤونكْ
حَدِّثيــني بمــا تُكنّــينَ إني أنــا أولى بعبئــه مــنْ دُونــكْ
أنــا أقْوى على الحياة إذا عشْــتُ حَياتــي مُــزَوَّداً مِــنْ يقينــكْ
ولقــد عِشْــتُ للمآسي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّــرورَ مِــنْ تَلْقينكْ
ولقــد عشْــتُ للبــكاءِ إلى أنْ قد سَــمِعْتُ الغنَــاء في تَلْحينكْ
ولَقَــدْ عِشْــتُ للظــلامِ إلى أنْ قَدْ لَمحْــتُ الّضَياءَ بــينَ عُيونكْ

* * *

حَدِّثيــني عَــنْ سِــرِّهَا نَظَرَاتٌ أو دُمــوعٌ تَجُــولُ بــينَ جُفُونكْ
حَدِّثيــني عــن الأســى يَتَرَاءى كأســيفِ الرَّجَاءِ فــوقَ جَبينكْ(١)
أو تَعالَــيْ لذلــك الكَنَــف الحا نــي عليــك وارْكَني لِســكُونكْ
هُو أَحْنَى عليكِ مِــنْ قَلْبِها الأمِّ وَأَدْرَى مــن قَلْبِهــا بحَنينــكْ
فَاغْمُــري في عُبَابِــه المُترامــي ما مَضَى عَنْك أو أَتَى مِنْ شُجُونكْ
وَابْعثيهــا ابتســامةً وحيــاةً مِلْؤُها السِّــحْرُ والهوى مِنْ فُتُونكْ

* * *

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٤.

١- كأسيف: رقيق القلب.

خصام *

تَخاصَمْنـــا. تخاصمْنـــا ! كذلــك يعبــثُ الحـــبُّ !
أليـــسَ الطِّفــلُ إذْ تَنْــزُو قُـــواه يَهُـــمُّ أو يَكْبُـــر؟[1]
أَلَيْـــسَ يُحطِّـــمُ اللُّعَـــبَ الـــــتي كانَ لَهَـــا يَصْبُـــو؟
أليـــسَ يَهـــزُّه الصَّخَـــبُ ويَحْلُـــو عِنْـــدَه الوثْـــبُ؟
كذلـــكَ حُبُّنَـــا يَحيَـــا وَليـــداً جَـــدُّه لعِـــبُ!

* * *

تَخاصَمْنـــا. تخاصمْنـــا وإِنْ لَـــم يَسْـــمَعْ القلـــبُ!
أليســـتْ لا تُحَيِّينـــي ولا يســـلينيَ القُـــرْبُ؟
ألســـنَا إِنَ تَلاقَيْنَـــا نَغُـــضُّ وتُسْـــدَلُ الحُجْـــبُ؟
وَمـــا قُبلاتُنـــا تَتَـــرى ولا الرُّسُـــلُ ولا الكُتُـــب
كـــذاكَ نَعِيـــشُ في صَمْـــتٍ فـــلا غَـــزَلٌ و لا عَتْـــبُ

* * *

تخاصمْنـــا. خُصُومَتُنـــا ســـلامٌ ثَوبُـــه حَـــرْبُ!
ســـلامٌ بـــينَ قَلْبيْنـــا فـــكلٌ هَائِـــمٌ صَـــبُّ

---

* نشرت في تشرين (أكتوبر) ١٩٣٤.

١ - تنزو: يثب بنشاط.

وَنَخْسِـــرُ   فِي   مَظاهِرِنـــا ومِـــلْءُ وِطَابِنـــا كَسْـــبُ !

ونَظْمَـــأُ   إِن   تَنَاءيْنَـــا فَيحلُـــو الْـــوِردُ والشُّـــرْبُ

وتَذْكُـــو   للهَـــوى   شُـــعَلٌ فـــلا تخنـــو ولا تخبـــو

كذلـــك   حُبُّنَـــا   يَحيَـــا كذلـــك يَعْبَـــثُ الحُـــبُّ

* * *

بيانو وقلب *

هُـو قلـبٌ لَمَسْـتـه، أَمْ(بيَانُه)؟ فَتَنَـادتْ مِـنْ جَوْفِـه ألحَانُـهُ
هو قلـبي أجَـلْ فَهـذِي الأغاني هُـو يَشْـدُو بهـا، وذا تَحْنَانه
أم تُـراه – كمـا أرْجـو– فؤادٌ بَـينَ جنبيـك مُلْهَـمٌ خَفَقَانُـه
فتلاقـى القلبانِ في ذلـك اللحن وحَاكَـتْ خفقاتهمـا أوزانُـه
وتَـراءى في اللحن طيـفُ الأمَاني مُطْبَقَـاتٌ على الـرؤى أَجْفَانُه

* * *

لَحْـني أنتِ خَفَـقَ قَلْبي نشـيداً أنْتِ أدْرَى بِما حَـوى وِجْدَانُه
والْمَسِـي بالحنـانِ قَلْبي فَيشـدُو مِثْلَمَـا تَلْمَـسُ البنـانُ البَيَانُـه
بَـلْ فَـؤادِي مُلَحِّـنٌ عَبْقَـرِيٌّ ! لَحْنُـهُ مِنْـه قِطْعَـةُ وَبَنَانُـه
ألْهِمِيـه النشـيدَ وهـو يُغَنِّـي لَـكِ وادِي الخلودِ سَـامٍ حَنَانُهُ
ألْهِميـه النشـيدَ وهـو يُجَلِّـي لَـك وادي الخلودِ زُهْـرٌ جِنَانُهُ
أطلقيـه مِـنَ القيـودِ بِلَحْـنٍ قَدْ تَسَـامى على القيـودِ افْتِنَانُهُ
ودِّعيـه يَطِـرْ دونَ جَنَـاحٍ غـيرَ حـبٍّ يَزِيـدُه طَيَرَانُـه

* * *

---

* نشرت في تشرين الأول(اكتوبر) ١٩٣٤

١– البنانُ: أطراف الأصابع.

الظامئة *

بعَيْنَيْكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّماءِ   وبالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففي الخَطَرَاتِ، وفي اللَّفَتَاتِ   وفي النَظَرَاتِ، وبينَ الحَدَقِ
يُطِلُّ التلهفُ في وَثْبَةٍ   وتَعْصِفُ ريحُ اللّظَى المُحْتَرِقِ
لأيِّ من الأمرِ هذا التَطلُّع   هذا التوثُّبِ، هذا الحَرَقِ
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ؟   من الحبِّ محمرةٌ كالشَّفَقِ؟

* * *

أُحِسُّ بأنّكِ مَلْهُوفَةٌ   لأن تَنْهلي كلَّ مَعْنَى الغَرَامِ
وأن تَنْهبي النورَ من فجرِهِ   وأن تَسْلُبي زَفَرَاتِ الظَّلامِ!
وأن تَقْطفي كلَّ زَهرِ الحياةِ   من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسام
تَفَتَّحَ فيكِ شُعورُ الحياةِ   فَشَفَّكِ منهَا الهوى والأُوَامِ[1]

* * *

إليَّ إليَّ؛ ولا تَجْفَلي   فإني ظمئتُ لما تَظْمَئِيْنْ
و أحسبُني كنتُ أهفُو إليك   كما كنتِ لي في المُنى ترقُبينْ
وشَطَّتْ بنا بدواتُ اللّقاءِ   وضَلَّتْ بنَا خُطواتُ السّنينْ
إلى أَنْ لقيتُكِ فَتانةً   فحرّكْتِ مني اشتياقي الدَّفينْ
تَعالَيْ نروّ ظِمَاءَ السنينِ   تعالَي نَعِشْ للمُنى والفتونْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١-الأوام: حرارة العطش.

لماذا أحبك!؟*

أُحِبُّكِ حُبَّ الهوى والجُنونِ أحبُّكِ حبَّ الرَّشَادِ الرَّزينْ
أحبك بالقلبِ في وَقْدَةٍ أحبكِ بالعقلِ جَمِّ السُّكُونْ
وتَبدينَ في قلبِيَ المستطارِ كمَا تُسْفرينَ بفكرِي الرَّصينْ[١]
ففيكِ تَلاقَى الهوَى والهُدى وشَابَه فيكِ الرشادُ الجنونْ
فأما ازْدَهانِي بحبِي الفتون رَكَنْتُ بِهِ للحِجَا واليقينْ

* * *

لماذا أحبكِ؟ هل تَفكرينَ؟ وما السرُّ في الأمرِ؟ هل تَعلمينْ؟
أللحُسْنِ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَانَ فَما هِجْنَ بِي وَمْضَةً من حنينْ
أللعطفِ؟ إنِي القَويُّ العطوفُ فما أرْتَجِي رحمةَ العاطفينْ
أللنظراتِ وللّفتاتِ وللسِّحرِ في مُهْجَتِي تَسْكُبِينْ
وشتى الخلالِ وشتى السِّماتِ؟ لقد طالَما اجتمعتْ للمئينْ[٢]
إذَنْ فلأيِّ المزايا يكونُ هَواي وحُبِّي؟ هَلْ تُدْرِكينْ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- المستطار: المفزوع . تسفرين: تشرقين وتضيئين .

٢- للمئين: للمئات.

ألا فاعلمـــي الآنَ عِلْـــمَ اليقـــين   سأكْشــفُ عن سِـــرِّ حُبِّي الدَّفينْ

لقد لَـــجَّ بي قبل هذا، الســـكونِ   وقد آدني الصمتُ، صمتُ الحَزِينْ[1]

وقد عِشْـــتُ للجِدِّ، جِدِّ الرصينِ   أهُـــمُّ وأكبُـــو بعـــبءِ السِّـــنين

إلى أنْ لَقيتُـــكِ خَفَّاقَـــةً   تَوَقَّـــدَ فيـــكِ الهَـــوى والفُتُـــونْ

فأنـــتِ هُنـــا جمـــرةٌ كاللّظـــى   وأنـــتِ هُنـــا شُـــعْلَةٌ تُومضِـــينْ

فأكمَـــلَ هـــذا المـــراحُ الطروبُ   هـــدوءَ الحزيـــنِ وجـــدَّ الرَّصينْ

وأعجبَـــني حُسْـــنُ هـــذا الكمالِ   وإني عليـــه الحفيـــظُ الأمـــينْ

* * *

هـــذا أُحبُّـــكِ: هـــل تَفْكِريـــنَ؟   وهذا هو الســـرُّ. هـــل تَعْلَمِينْ؟

* * *

١- آدني: أجهدني

رسول الحياة*

أفي كلِّ لُقْيَا شُعورٌ جَديدٌ؟ وفي كلِّ قُرْب ظَمَاءٌ يَزيدْ؟
وفي كلِّ يوم أرى عَالَماً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ؟
وألقاك والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياة وتَشْدُو هَواتفُها بالنَّشيدْ
كَأنَّ الحياةَ وآمالَها إِذا مَالقيتُك خَلْقٌ جديدْ
هو الحبُّ لا القَدَرُ المستطيلُ يُقَسِّمُ في الكون شَتى الجُدودْ[1]
فيمنعُ فالكونُ شاكٍ شَقيٌّ ويمنحُ فالكونُ راضٍ سَعيدْ !
ويَنْبضُ فالكونُ في نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكونُ جاثٍ بَليدْ

* * *

لَقيتك خَفّاقَةً كالرجاء فذكّرْتني أنني بَعْدُ حَيْ
وجَاشَ بنفْسي شعورُ الحياة وفتّحتُ في رَجْفَةٍ مُقْلَتَيْ
أُقلِّبُ عيني بهذا الوجود وترتادُ رُوحي منه الخَفيْ
فيا للجمال، و يا للغَناء ويا للخواطر تَهفُو إليْ!
ويالي مِنْ ظَامِىءٍ لاهف! ويالي مِنْ عَاشق عَبْقَريْ!
يحيلُ الحياةَ إلى فتنةٍ وأصداءَها لنشيدٍ شَجي
ويُطْربُ بالشعرِ قَلْبَ الحياةِ وَيَنْفَحُها بالرِّضا القُدْسيْ
وما أنتِ إلا رسولُ الحياةِ وحبُّكِ مُعْجِزةٌ مِنْ نَبيْ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤.

١- المستطيل: المُترفع أو المُتفضل، الجدود : الحظوظ.

سر انتصار الحياة *

أَطلِّــي بِطَلْعَتــكِ السَّــاحرهْ وحَيِّــي بنظرتــكِ الشَّــاعرهْ
أَفيضِي على الكــونِ فيضَ المِراحِ وغَذِّيــه بالقــوةِ الطَّافــرةِ(١)
ومالــك أنــتِ؛ وما للسُّــكُون؟ ومــا أنــتِ إلا القُــوى الثائرهْ
قُــوى الحبِّ تَنْبِــضُ بــينَ القِفَارِ فتغــدُو القِفَــارُ بهــا ناضــرهْ
وتنفــخُ في ســاكناتِ القُلــوب فتغــدُو سَــواكنُها نَافِــرهْ
وتهتــفُ للصُّــمِّ بالأغنيــاتِ فَيَصْغُــون للنَغْمَــةِ السَّــاحِرهْ

* * *

ألســتِ التي نَبَضَــتْ (بالوجودِ) فشــقَّ قُوى العَــدَمِ السَّــاخرهْ
بلــى ! أنتِ ســرُّ انتصــارِ الحياةِ على المــوتِ في الوقعــةِ الظافرهْ
هُنالــك مــن قبــلِ ميلادِهــا وكانــتْ مغيبــةً حائــرهْ
وكنــتِ نــواةً بهــا ضَامــرةً فعــدتِ حيــاةً بِهــا سَــافرهْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الطافرة: الواثبة.

المعجزة
أو
السهم الأخير *

مَنَحتِني اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ عـــن منحه، وَتَنَاهـــي دونَه أملِي
منحتِني الحـــبّ للدُّنيا التي جَهِدَتْ في أن تُميـــلَ لها قلبي فلـــمْ يَملِ
وكلمـــا قرّبْتِني، قلـــتُ: خادعةٌ! وكلّما طمأنْتِنِي؛ قلت واوَجَلي[١]
ويغمرُ الشّكُّ نَفْسِي كلما كَشَفَتْ عن فاتنٍ من حُلاهَـــا غيرِ مبتذَلِ
حتى خَســِرْتُ من الأيّامِ ما غبرتْ به السُّـــنون، وحتَّى عقَّنِي أجَلِي

* * *

واســـتَلْهَمَتْ هذه الدنيـــا طبيعَتها في مُعْجـــزٍ مِنْ قُواهـــا قاهرٍ حانِ
فأبدعتْـــكِ جَمـــالاً كلُّـــه ثقـــةٌ يؤلِّـــفُ الحبَّ من وَحـــيٍ وإيمانِ
وأودعتْـــكِ رَحيقاً مـــن خُلاصتِها ومنبعُ السِّـــحرِ فيها جَـــدّ فتّانِ
وأرســـلتْكِ يقينـــاً في طَلائعهـــا منيرةً في دُجى عَقْلِـــي ووجْدَاني
فكنـــتِ آخـــرَ ســـهمٍ في كِنَانتِهَا وكنتِ معجزةً مـــن خَلْقِ فنانِ[٢]

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- واوجلي: وأخوفي أو افزعي.

٢- الكنانة: الجعبة، تحفظ فيها السّهام.

والآن أُخْلِـصُ للدنيـا وأمنَحُهـا حبّي، وأُدْرِكُ ما فيهـا من الفتَنِ

والآن أنظـر للدُّنيـا وأنـتِ بها كعاشـقٍ بهواهـا جِـدّ مُفْتَتـنِ

والآنَ أعْمَـلُ للدُّنيـا علـى ثقةٍ بأنـني قَلْبُها الخفّـاق في الزمنِ!

والآن أنصـتُ للدُّنيـا فَيُطْرِبُـني من صوتِها العذب لَحْنٌ ساحِرُ اللَّحَنِ

لـكِ الحيـاةَ إذنْ ما دمـتِ مانحةً لـيَ الحياةَ بـلا أجـرٍ ولا ثمنِ!

* * *

اللحن الحزين*

أسى الألحان أمْ هذا؟ أساك يسيلُ في اللّحْنِ؟
وإلا هذه نَفْسي هَيمُ بِعَالَمِ الحُزنِ
فَتُوحِي النفسُ للأذنِ؟

وأينَ نشيدُك الراضي؟ وأينَ نشيدُك العَذْبُ؟
وأينَ الفَرْحَةُ النَّشْوى؟ وأينَ القفزُ والوثْبُ
فيُذْكي وَقْدَةَ الحبِّ؟

سَمِعْتُكِ أمسِ لم أسْمَعْ سِوى نبراتِ أسْفَانِ
وغنوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَاه من الهوى الفَانِي
فَأنَّ فؤادُه الحاني

هي الأوتارُ عالمةٌ بما في قلبكِ المُفْعَمِ؟
وإلاَّ أنتِ مُوحِيةٌ لها تَرنيمةَ المؤلمِ
تَمسُّ القلبَ كالبَلْسَم

بربكِ عَلِّمي اللحْنَا يُرجِّعُ غنْوةَ الأملِ
ويُبْهِجُ هذه الدُّنيا ويبعثُ نشوةَ الجَذِلِ
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجلْ يا خطرةَ الفَنِّ برأسٍ مُفكِّرٍ سَامِ
وغايةَ كلِّ فَنّانِ يُنَاجِي حُسْنَ أوهامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامِي

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

الغيرة*

إذا كان الشاعر صادقاً في شعوره. صادقا في التعبير عنه؛ كان في الشعر مجال للدراسة السيكلوجية؛ فوق الدراسة الفنية.

وفيما يلي مقطوعتان من الشعر في موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد. ولكن الفرق بين روحيهما بعيد!

ولا يهمني أن أدرسهما من الناحية الفنية. فذلك شأن القراء. إنما يهمني أن أدرسهما من الوجهة النفسية، ذلك أن مبعثهما هو(الغيرة) وهي عامل نفساني بحت.

* * *

فَهمتْ هي! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه. في حين لم تكن إلا مجاملةَ. فآلمها ذلك ، ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم؛ لِدقة الموقف؛ وإن أشارت إليه من بعيد.

وبدت كاسفةَ البال واجمةً، يتراءى في عينيها الرجاء الأسيف؛ والأمل المكلوم؛ والريبة التي تَهرب منها فتلاحقها.

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول:

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادِكِ تلكَ الرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ في نفسها؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها. فكانت المقطوعة الثانية، وكان ما يشبه التَبرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر للشك!.

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب، ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها، لأنها تكون طعنة للحب!

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غَاضِبَةْ! وأرْسَلتِها نَظْرةً عاتبةْ

يُتَمْتِمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ وتجأرُ فيها المُنى الوَاثِبَةْ![1]

وفيها هُدوءُ الرّضا المُطْمَئنّ تُمازِجُه الغَيْرةُ الصَّاخبةْ!

تُطِلُّ بِها الذكرياتُ العِذابُ وتَرْجِعُ مُجْهَدةً لاَغِبَةْ

وفيها فُتُورٌ ولكنّه فُتورٌ به قوةٌ غَالِبةْ

* * *

ولكن بِها بعدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوى والجمالِ العفيفْ

وفيها من السِّحْرِ أطيافُه بعينيك ألْمَحُها إذا تطيفْ

لألهمتني السرّ لما نظرْتِ إليَّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[2]

وحدثْتني في خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ

ولولا شعوري بحبِّي العطوف لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ!

* * *

قد انتصرَ الحبُّ. يا للانتصار بهذا العتاب وهذا الغضبْ

وَثِقْتُ من اليومِ في حُبِّنَا وأنك تَرْعينَهِ في حَدَبْ

فلولا اعتزازُك بالحبِّ لم تَثُرْ في فؤادك تلك الرِّيَبْ

إذَنْ فاطمئنِّي فهذا الفؤادُ يحبُّك في وَقْدةٍ كاللهبْ

يحبُّك إي وجمال الغضب يحبُّك إي والهوى المُلْتَهِبْ

١- تجأر: تتضرّع

٢- الشفوف:من شَفَّ يَشِفُّ شُفوفاً: رقَّ حتى يُرى ما خلفه.

٢

حَدِّثِيـني أمـا تَزالـين غَضْبـي؟ أوَ مَـا زَالَ مِـلءْ نَفْسِـكِ رَيْبَا

ولِمـاذ الوقـارُ والصمـتُ يُضْفِي بعدمَا كنـتِ لِي مَراحـاً وَوَثْبَا

كانَ بالأمـسِ كالعِتَـابِ جميـلاً ما له اليـومَ لَمْ يَعُدْ منْـكِ عتْبَا

صَمَتَ الكونُ مُـذْ صَمَتِّ ونَامَتْ صادِحاتٌ تُـرَدِّد اللحـنَ عَذْبا

أنـا أخْشَـى ولا أُصـرِّحُ مَـاذا أنـا أخْشَـى؛ فمـا أزال مُحِبّا

ابْسُـمِي تَبْسُـمُ الحيـاةُ وتَرْضَى وامْنَحيـني اليقِـينَ. أمْنَحْكِ حُبّا

* * *

مصرع حب!*

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضي فقال:(ب) وبات هذه الليلة في الجحيم حتى لقد فضل اليقين، ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية.

أنــا أشْــرِى اليقــينَ بالفُقْــدَانِ مُؤثــراً فيــه وَاضــحَ الآلامِ

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة.

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب (الجنة الضائعة) فيها ألم؛ ولكن بها عفة عن جنة (تَجُوسُ فيها الذئاب) وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهي (مؤمنة عَامرة) حتى لا يفقد ذاكراها كذلك. فيتضاعف الفقدان، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئاً أن يفقدوه محطماً لا قيمة له، على عكس ما يريد الشاعر.

* * *

المرأة سريعة التشكك؛ ثائرة الغَيْرة؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنح لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها في الحب، بل ربما هربت من اليقين، وتعلقت بالأوهام.

والرجل بطيء التشكُّك؛ هادىء الغَيْرة، ولكن الشك الذي يداخل نفسه، بطيُء الزوال، وقد يفضل اليقين المؤلم، على التعلل بالخيال.

---

* نشرت عام ١٩٣٤

ليلة الشك

ليلـةُ الشـكِّ والأسَـى والظَّلام   وجحيـمَ الإقـدامِ والإحجـامِ
والعـذابِ المُمـضِّ لم يُتصـوَّرْ   في وعيـدٍ أو خَطْـرَةِ الأوهامِ(١)
قد تركتُ الماضي حَصِيداً هَشِـيمَا   ونَضِـيرَ الآمـالِ مثـلَ الحُطَامِ
عـنِ عذابِ الآمـالِ قَـدْ أتعزَّى   وما عَزَائي عَمَّا مَضَى مِنْ غَرامي؟
ليتـني أسـتطيعُ أنْ أُرجِـعَ المـا   ضي فأُحيي ما ضَـاعَ مِنْ أيامي
ليلـةَ الشَّـكِّ هل مضيـتِ؟ فإني   لم أزلْ بَعـدُ غارقـاً في الظَّـلامِ
والهـوى المُشْـرِقُ المنـيرُ تَهاوَى   في خِضَـمِّ الدُّجى العميق الطَّامي
والحيـاةُ الـتي تفيـضُ مِراحـاً   قـد تَبـدَّتْ في ذِلَّـةِ الأيتـامِ
وَمَشـى الحـبُّ مُطْرِقـاً يَتوارَى   كَحَيـيٍّ يَنُـوءُ تحـتَ اتِّهامي(٢)
ليلـةَ الشَّـكِّ قَدْ طَمَسْـتِ حياةً   مِـنْ رَجاءٍ صِيغَـتْ ومِنْ إلهامي
لَهفَـتي لليقـينِ يَغْمُـرُ نَفْسِـي   لَهفَتي للهـدوءِ بعـدَ اضطرامِ
أنـا أشْـرِي اليقـينَ بالفُقْـدانِ   مُوثِـراً فيـه واضِـحَ الآلامِ

* * *

١- الممض: المؤلم.
٢- المطرق: من أطرق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما. ينوء: يعجز.

اليقين

اليقـــينَ اليقـــينَ بعـــدَ ارتيـــابِ الهـــدوءَ الهدوءَ بعـــدَ اصطخابِ
اليقـــينَ اليقـــينَ أطلـــبُ فيـــه راحةَ اليأسِ من جحيم اضطرابِ
أيهـــذا اليقـــينُ إنّـــك قـــاسٍ ما تَطلبـــتُ كلَّ هَـــذا المُصابِ!
أيهـــا الشـــكُّ رُبّما كنـــتَ خيراً من يقـــينٍ كالجَذْبِ بـــينَ اليبابِ
حَيْرَةَ الشـــك، هَـــدْأةَ اليأسِ، هَلا لحظـــةً تتـــركانِ نَفْســـي لِما بِي
لحظـــةً تُخْلِيـــانَ فيهـــا فـــؤاداً مَـــلَّ وقـــعَ اليقـــينِ أو الارتيابِ
ثم مـــاذا؟ ومـــا الهـــروبُ؟ وهذا واقعُ الأمـــرِ، ما لهـــذا التَّغَابي؟
يـــا يقيـــني إلىّ. إن حَفِـــيٌّ بيقـــينٍ شَـــرَيْتُه بِلُبَابِـــي[1]
بِدمائـــي الـــتي بُذلَـــتْ، بِدَمْعِـــي برجائـــي المُنـــوّرِ الوَثّـــابِ
أنـــتَ أغلى عَلـــيّ مِـــنْ كلِّ هذا يَـــا يَقِيني، ومُرْشِـــدي للصوابِ

١- الحفيُّ: المهتم.

الجنة الضائعة

فَقَدْتُكِ يا جَنَّتي السَّاحرةْ وغادرتُ أفياءَكِ العاطره
وهِمْتُ تُشَرِّدُني المُقْفِراتُ وتَلْفَحني كاللظَّى الهاجِرةْ[1]
وتَعْصِفُ في نَفْسِي العاصفاتُ وتَنْهَشُها الوَحْشَةُ الظَّافِرَهْ
وقَدْ طَمَسَ اليأسُ نَهْجَ الرَّجاءِ وغَشَّ البصيرةَ والبَاصِرهْ
فلا الظَّنُّ يَلْمَعُ مِثْلَ السَّرابِ ولاَ العِلْمُ يُرْضِي المُنَى الحَائرهْ
هو اليأسُ أو اليقينُ الأليمُ وبعضُ الحقائقِ كالكَافِرهْ
فيا لليقينِ المُمِضِّ اللَّجوُجِ ويَا لَحَقيقتِه الجَائِرهْ
فَقَدْتُكِ ياليتي إذ فقدتُكِ كنتِ مؤمنةً عَامِرهْ
لَعزَّيْتُ نَفْسِي بالذكرياتِ وأودعتُ فِرْدَوسِي الذَّاكرهْ
ولكن فَقَدتُكِ نَهْبَ الذئابِ تجوسُ خلالَكِ كالآسِرهْ
ونَهْبَ القَشَاعِمِ والجارحاتُ تخطفُ أثمارك النَّاضِرهْ[2]
ونَهْبَ المطامِعِ والمغرياتُ تُدَنِّسُ نِيَّتَكِ الطَّاهِرهْ
فقدتُكِ في النفسِ أنْشُودةً ومعنى من الفتنةِ السَّاحرهْ
فقدتُكِ ذِكْرى فوا حسرتَاه لِفَقْدٍ منِ العينِ والخاطِرهْ

1- الهاجرة: القيلولة: شدة الحر.
2- القشاعم: النسور الذكور الضخمة.

الحنين والدموع

جَفَّ قَلْبِـي منَ الحنـينِ فَغَاضَتْ عَبَراتـي وأقفـرتْ مُنْـذ حِينِ
وحسـبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ بـينَ ماضـي حياتـي المَكنُونِ!
وإِذا بي أُودِّعُ اليـومَ عَهْـدَاً فتفيـضُ الدموعُ مِـلْءَ الجفوُنِ
في انسـكابٍ يَغُضُّ مـن كِبْرِيَائي واضطرابٍ يرتاعُ منهُ سُكُوني
يـا دمـوعَ الوفـاءِ أَنْتُـنَّ أَغْلَى أن تُرَقْرَقْـنَ للوفـاءِ الغَبـينِ[1]

* * *

١- الغبين : الناقص: الضعيف: الخادع وهو المراد.

اللغز*

خَفَــقَ القلبُ الذي مَسَّـــتَ يَداكِ جانبيـــهَ؛ في جنـــونٍ واضطرابِ
أكـــذا يَهْتَاجُنِـــي مَـــسُّ هـــواكِ وأنا الهادِئُ في مَورِ العُبابِ؟![1]

* * *

عجباً ! مــا السّـــرُّ في خفقتهِ.. ؟ إنــني أسْــأَلُكِ السّـــرَّ الدفــينْ
أنـــتِ أدْرَى بالـــذي أودَعتِـــهِ فيـــه من حبٍّ، ووَجْـــدٍ، وحَنِينْ!

* * *

إن قلـــبي لم يكـــنْ يَنْــزُو ، فماذَا سَالَ في كفِّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ؟
أهـــو اللُّغْـــزُ الذي تَحْويـــنَ هذا؟ أم هي الفتنـــةُ في مِفْتَاحِ القُلُوبِ؟

* * *

إيه !. إني في اضطرابي قَدْ نَسـيتُ مَبْعـــثَ الفتنـــةِ عينيـــكِ تْـــينِ!
تُضْمِرَانِ السِّـــحْرَ يُحيي ويُميتُ ؟ وهمـــا سِـــرُّ اتصـــالِ المُهْجَتَيْـــنِ

* * *

سِـــحْرُكِ المجهولُ أَمْسَكْتُ عَصَاه! فـــإذا شـــئتُ اتقـــاءً أَتَّقيـــه!
لكن السِّـــحْرَ الذي تَاهـــتْ رُقَاه إنـــني أهفُـــو إلى الإخـــلادِ فيهِ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣٤

١- مور العباب: تحرُّك الأمواج.

قبلة*

أهــي النَّشْــوةُ أم وَقْــدةُ جَمْــرٍ ... إنني أحســســتُها تذكُو بِصَدْرِي[1]
وبِرُوحــي لَهْفَــةٌ تبعثُهــا ... هذه القبلــةُ من أعــذبِ ثَغْــرِ
قُبْلَــةٌ ! مــا هــذه القُبْلَــة إذ ... تنقــلُ الدُّنيــا إلى عــالمِ سِــحْرِ
وتُحيــلُ الجســمَ والــرُّوحَ معــاً ... شــعلةً طائفــةً لم تَسْــتَقِرِ
بل تُحيلُ الجســمَ والرُّوحَ شَــذىً ... من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْــكَةِ طُهْــرِ

* * *

لم أُحِــسّ الــرُّوحَ مــنى مُثْقَــلاً ... بهمومِ الجســمِ إِذ هَوَّمَ يَسْــرِى
لم أُحِــسَّ العُمْــرَ إلا خَفْقَــةً ... في فُؤادِ الدَهرِ قد فَاضتْ ببشرى
وأرى الماضِــى أَضْحَــى لحظَــةً ... بعد ما قَــدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِي
وتطلَّعْــتُ بعــينِ المُنْتَشِــى ... لجمالِ الكونِ في نَشْــوةِ سُــكْرِ

* * *

أهــي القُبْلَــةُ مــن ثَغْــرٍ لِثغرِ ؟ ... أم هــي الخَطْرةُ مِــنْ وَحِي لِفكْرِ
أم تُراهــا قُبْلَــةَ النــورِ الــتي ... فاضَ منهــا النــورُ في أولِ فَجْرِ
حينمــا رفــرفَ والكــونُ دُجَىً ... رُوحُ ربّ الكــونِ في لُجَّــةِ غَمْرِ
فتجلّــى النــورُ في بَــرٍّ وبَحْــرٍ ... وتَراءى الحُسْــنُ في طيرٍ وزَهْــرِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- تذكو: تنمو وتلتهب.

داعي الحياة*

يَخفُــقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّــفاه مُنــذُ أن ضَمَّتْك في شَــوْقٍ يَداه
مُنــذُ أن رَنَّ صدَاهـــا ، قُبْلَــةً نَهلَــتْ منهــا وعَلَّــتْ شَــفتَاه
وارتــوتْ رُوحَاكُما بَــلْ ظمِئت برحيــقِ القُبُــلاتِ المشــتهاه
بَلْ رحيــقُ الخُلْدِ قَدْ طَــابَ جَنَاه وسَــرَى فيــه حُــلاه وشَــذَاه

* * *

يَخفُــقُ القلبانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفاه حــينَ يَلْقَــى ناظرَيــك نَاظِرَاه
حينمــا يَسْــتَعِرُ الحــبُّ جَــوىً يَكْتَوِى القلبــانِ منْ حَــرِّ لَظَاه
فَيُرجــي كلُّ ثغْــرٍ قُبْلَــةً هــي بــردٌ للحنَايــا والشِّــفَاه
مثلمــا يَطْلُــبُ رَيًّــا ظَامِــئٌ ينظــرُ المــاءَ ولا يَبْلُــغُ فَــاه

* * *

يخفُقُ القَلْبــانِ؛ بل تَهفُو الشِّــفَاه كلمــا بَشَّــرَ بالحــبِّ الهُــدَاه
كلَّمــا نَــادَى حَــيْ هَــلا يَقْطِــفُ المحرومُ ما طَــابَ جَنَاه
مَــا لِمَحْرومَيْــن لم يَسْــتَمِعَا ذلك الصــوتَ الذي دوَّى صَدَاه
إِيه هيــا؛ فَلْنُجِبْ دَاعِي الشِّــفَاه فهوَ داعِى الحبِّ؛ أو دَاعِى الحَيَاهْ

---

* نشرت في ١٩٣٤

تحية الحياة*

شَــفَتَاي تَخْتَلِجَــانِ للتقبيــلِ؟ في كلِّ مُطَّلــعٍ لديــكِ جميــلِ
ظَمَـــأُ الشِّــفاهِ طبيعــةٌ أُلْهِمْنَهــا منــذ ارْتَوَيْــنَ بثغركِ المَعْسُــولِ
ظَمَـــأٌ تُؤَجِّجُــه القلــوبُ خَوافقاً تَنْــزُو بعــارمِ لهفــةٍ وغليــلِ
من يومِ ما التقَت الشِّــفَاهُ فَحدَّثَتْ عـــن حُبِّنــا بســواحرِ الترتيلِ!
أفتذكرينَ وقــد ضَمَمْتُك والهوى يُغْــرى ويُوقظُ خَاطــرَ التقبيلِ؟
والكــونُ يُمْســكُ خَفْقَــه مُنْتظراً قبلاتنــا في لَهْفَــةٍ وذُهــولِ
هُــو عاشــقُ القُبــلاتِ! إنّ رَنينَها لَحْــنٌ يُنَبِّــهُ فيــه كلَّ خُمُــولِ
وهـــي الحيــاةُ إذا تُحيِّــى قُبْلَــةٌ رَمْزاً علــى الترحيــبِ والتأهيل
أفــلا نَــردُّ علــى الحيــاةِ تحيــةً مَا عقّهــا في الكــونِ أيُّ بخيلِ؟
أفــلا نُرَجِّــعُ غِنْــوةَ التقبيــلِ! وتحيــةَ الدُّنيــا لخــيرِ نَزيــلِ؟(1)

---

* نشرت ١٩٣٤.

١- النزيل: الضيف

الخطر

بينَ التلفُّتِ والحَذَرِ خَطَرتْ تُبَشِّرُ بالخَطَرْ!
بُشْرَى! فما دامتْ هُنَا فعلامَ تَقْرُبُنا النُّذُرْ!
وتشيرُ للمتنظِّرينَ إِشَارةَ اللَّبِقِ الحَذِرْ!
لتضيعَ مني قُبْلَةٌ لبثتْ بِفيها تَنْتَظِر!
ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها من بَعْدِ ما نَضَجَ الثَّمَرْ
هو ذاك يا قلبُ الخَطَر لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه والحُبُّ في الحُسْنِ النَّضِرْ
فمضَى يَتِيهُ تخايلاً فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ!
ويَلُوحُ حتى ننتَشِي ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ
ويروقُ حتى لا نَرى شمساً سِواه ولا قمَرْ
ويَرِقُّ حتى لا نَرى طيراً سِواه ولا زَهَرْ
ونَطِيرُ في نَشَوَاتِنا نَهْفُو إليه وننتظِرْ
فَإِذاهُ آناً يعتذرْ عَنّا وآناً يستترْ!
هو ذاك يا قلبُ الخَطَرْ لا الناظرونَ ولا النَظَرْ!

* * *

تِــه أيُّهــا الحُسْــنُ الأغَــرُّ وامــرحْ بِنَفْسِــك وازْدَهِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا شُــعْلةٌ تَخْبــو إذا هِــي لم تُثَــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا طَائــرٌ يَهــوِى إذا هُــو لم يَطِــرْ

مــا الحُسْــنُ إلا قُــوةٌ تَعْيَــا إذَا لم تَقْتَــدِي

أمّــا الذيــن أسَــرْتَهم بــينَ التــبرُّجِ والخَفَــرْ[1]

فعليهــمُ أن يَعْلَمُــوا يــا حُســنُ مــن أيــن المَفَــرْ

أو يَســتَنِيُموا للخَطَــر وبحســبِهم مِنــكِ النَظَــرْ

* * *

١- الخفر : الحياء.

يقظة*

سَـــهِرْتِ؟ إذنْ تَعَالَــيْ حَدِّثيـــني بما أحْسَسْـــتِ من حَـــرَقِ الحنينِ
فقـــد جربتُــه ســـهرَ الليـــالي وقـــد خَبَـــرْتُ تســـهيدَ الجفونِ
وأعْلَـــمُ أن مبعثَـــه غَـــرامٌ يَـــؤُزُّ جوانبَ القلـــبِ الحَنُونِ[1]
ويَقْظَـــةُ حـــالمٍ تَسْـــمُو مُنَـــاه عـــن النُّـــوامِ في دُنيا الســـكُونِ
فَهـــلْ أحْسســـتِه حُبًّـــا كهـــذا فبـــتِّ الليـــلِ سَـــاهِدةَ العُيونِ؟

* * *

ومـــا أبْغِـــى لـــك السّـــهدَ المُعَنّى ولا الحُرُقَاتِ سَـــاعرةَ الشُّـــجُونِ
ولكنّـــي أريـــدُ نشـــاطَ حُـــبٍّ ويقظـــةَ عاشـــقٍ جَمِّ الفُتـــونِ[2]
فنوقـــظُ هـــذه الدُّنيـــا خلـــوداً ونَسْـــمُو عـــن تقاليدِ الســـنينِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- يؤز: يزلزل.

٢- الجمّ: الكثير.

رقية الحب*

خَيَّمَ الليلُ فَنامي في هُدوءٍ وسَلامِ
رَفَّ مِنْ حولك قَلبٌ عَلّم الحبَّ التَسامي
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّاهُ بوحِيٍ مِنْه سَامِ
فهو يَحْيَا في سماءٍ مِن أمَانٍ ومَرَامٍ
وهو يَسْرِي في وَسِيعٍ من رجاءٍ مُتَرَامِ
يَشْمَلُ الدُّنْيا بعطفٍ ورِضَاءٍ وابتسامِ

* * *

خَيَّمَ الليلُ فَنامي في هدوءٍ وسَلامِ
رَتَّلَ الحبُّ رُقَاه في سُكُونٍ لِتَنامي
رُقْيَةُ النومِ وأُخْرى للرُّؤى بعدَ المَنامِ
ودُعَاءٌ لكِ بالبِشْرِ غَداً عندَ القيامِ
وتَعَاويذُ مِن الشَّرِّ لعامٍ بعدَ عَامِ
رُقْيَةٌ في إثْرِ أُخْرَى مُشْرِقَاتٌ في الظَّلامِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

أيُّهـــا الحـــبُّ فَـــلا تَنْـــسَ دُعـــاءً بالـــدوامِ

وتعاويـــذٌ لقلبينـــا لِصَـــدٍ أوْ سَـــآمِ

أو فَعَوِّذْهـــا ودَعْنِـــي لِتَعاويـــذِ غَرامِـــي

وإذِا شـــئتَ فَعَـــوِّذْ بي مِـــن فَـــرْطِ هُيامِـــي

ومِـــنَ اللهفـــةِ تَطْغَـــى في فـــؤادي كالضِّـــرَامِ![1]

واجعـــلْ الدُّنْيَـــا ســـلاماً وارْوِ يـــا حُـــبُّ أُوَامِـــي[2]

* * *

١- الضِّرام: النار الملتهبة.

٢- أوامي: الأوام: حرارة العطش.

الحياة الغالية*

بالأمسِ كنتُ أعيــُش نِضْو تَرقُّبِ　　أُزْجى حَياتي كالأجــيرِ المُتْعب[1]
أرنُــو إلى الإِصْبَــاحِ ثم تَمُجُّــه　　نَفْســي وأنظرُ كارِهاً للمَغْيب[2]
وأُحــسُّ بالقفــرِ الجديــبِ يَلُفُّني　　ويَجُوسُ في نفــسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ
ولو أنمــا اختصرت حيــاتي لم أبل　　بَــلْ لم أحسُّ بنقصهــا أو أعْيب
وإِذا تَشَــابَهتِ الحيــاة وأقفرتْ　　مُجَّــتْ برُمَّتِهــا، ولَــمْ تُتَطَيب

* * *

واليومَ. آسَــفُ للدقائــقِ تَنْطَوي　　من عُمْرِي الغَــالي الثمينِ الطَّيب
واليــومَ أرْقُبُهــا وأرْقُــبُ خَطْوَها　　فأعيشُــها مثْلَينِ بَعــدَ تَرَقبذث
وهــي العميقــةُ كالخلــودِ وإنما　　تَمْضــي حَثيثاً في خُطَــا المُتوثب
وأودُّ لــو هــي أبْطَــأتْ وتَلبَّثَتْ　　في خَطْوِها لَيْثَ الوَئيــدِ المُكْثب
تَغْلُــو الدقائــقُ في حيــاةٍ خِصْبَةِ　　وتهُــونُ أعْــوامٌ بعُمْــرٍ مُجْدِب

* * *

الحبُّ فَــاضَ على الحيــاةِ بخصَبه　　وأجَــدَّ عُمْراناً بِــكلِّ مُخرَّب[3]
وأزَاحَ أسْــتَارَ الدُّجَى فتكشَّــفَتْ　　ظُلُمَاتُــه عــن كلِّ زَاه مُعْجِــب
وكذلك تَحْلُو لِيَ الحيــاةُ وتَجْتَلي　　وتَعِزُّ ســاعاتُ الغَــرامِ المُخْصِب

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النضو: هزيل والمراد: هزيل من الترقب والانتظار.

٢- تمجه: تلفظه كارهة.

٣- أجَدّ: استحدث.

الكون الجديد*

تَغَنَّــي وامْلئــي الدُّنيــا نشــيدًا وحَيِّـــي ذلــك الكــونَ الجديدَا
فــإنَّ الحــبَّ أبْدَعَــه؛ وإنِي نَظمْتُ علــى بَدَائعــه القَصيدَا
أجَــلْ حبّيــه فهــو لنــا، وإنّــا لَنعْمُــرُ كَوْنَنَــا عُمْــراً سَــعيدَا
نعيــشُ مَعيشَــةَ الطُّلَقَــاءِ فيــه وكَــونُ النــاسِ يُثْقلُهــم قُيودَا
وَنَمْلكُــه وَمــا الأحيــاءُ إلاَّ أجِــيرِي هــذه الدُّنيــا عبيــدَا
وَنَبْــذُرُ فيــه آمــالاً وضَــاءً فَيُنْبِتُ غَرْسُــها الطَّلْــعَ النَّضيدَا

* * *

تَغَنِّــى بالرجــاءِ وبالأمَانــي وبالنُعْمَــى تَــدومُ لَنــا خُلُــودَا
ومِنْ فِتَــنِ الحياةِ خُــذِي الأغَانِي ومِــنْ خَفَقَاتها صُوغِي النَّشــيدَا
ومِــنْ شِــعْرِي؛ فقد نظّمْــتُ فيه أهازيــجَ الهَــوى لَحْنــاً فرِيدَا
فمــا أحْلَى الغِنَــاءِ بِعَذْبِ شِــعْرٍ نُحَيِّــي فيــه عَالَمَنَــا الوَليــدَا

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

حب الشكور*

إنْ لَـمْ أُحِبُّـكِ للسَّـنَا والنُّـور وَلِحُسْـنِ وجه في الحيـاة نَضِير
ولِسِحْرِ رُوحِكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى منّـي فَأتْبَعُـه اتِّبَـاعَ سَـحِير[1]
ولِمَّـا تَضَمَّنْتِ الجمـالَ فأفصحتْ بِكِ منـه سَـاحِرة مِـنَ التعبير
ولما مُنِحْـتِ، وما مَنحت من الهوى للكـونِ؛ أو أحييْتِ مِـنْ مَقبورِ
إنْ لَـم أُحِبُّـكِ حُـبَّ مفتونٍ ولا حُبَّ الأسـيرِ؛ إذَنْ فَحُبُّ شَكُور

* * *

حُـبَّ الذي أحييْـتِ فيـه حَيَاتَه مما لديـك مِـن الحَيـا المَذْخُورِ
ووهبتِـه مُلْـكَ الحيـاة وطَالَمـا قَـدْ عَاشَـها كالعَامِـلِ المَأْجُور
ومَنَحْتِـه مَاضِيـه بعـدَ ضَيَاعِـه وأعَـذْتِ قَابلَـهُ مِـنَ المَحْظُورِ
حُبَّ الـذي أشْـرَقْتِ في وِجْدَانه فجلـوتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْـتُورِ
ونَفَخْـتِ في عَزمَاتِـه فتوهَّجَـتْ وسَـمَتْ لـكلِّ مُمَنَّـعٍ وخَطير

* * *

أوْ فَلأُحِبُّـكِ حُـبَّ مَـنْ ألهمته شِـعْراً يُضِيءُ سَـنَاه كلَّ شُعور
شِـعْراً جمعتِ من الحيـاةِ زُهُورَه ومِـنَ الجمـالِ نَفَحْتِـه بعبـير
ومِـنَ الضيـاءِ وهبتِـه آمالَـه ومن النَّدَى حِلْمـاً كَوجه غَرِيرِ
وبعثتِـه وَحـيَ الحيـاةِ وفَنَّهـا تجلُـوه ضِمْـنَ جمالِهـا المَأثُورِ

* * *

أفـلا أُحِبُّـكِ؟ إنّهـا لَفَرِيضَـةٌ حُبَّ الشَّـكُورِ لواهبٍ مَشْكُورِ

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- النهى : العقل.

عصمة الحب*

عِصْمَــةُ الحبِّ من صنيعِ السَّــماءِ وهي صِنْــوٌ لعِصْمَــةِ الأنبياء[1]
يُخْطِــىءُ الناسُ في الحياة اسْــتبَاقاً للــذَاذَاتِ قبــلَ يــومِ الفَنَــاء
وصِرَاعــاً مــا بينَ جســمٍ ورُوحٍ في شَــتيتِ الآمــالِ والأهــواء
وَلَــوَ انَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُــوا الخُلْدَ أوَ انَّ الأرْواحَ مَحْــضُ صَفَــاء
لَتَســامَوْا عَــنِ الخَطيئــةِ كالقَيْدِ وعَاشُــوا مَعيشــةَ الطُّلَقَــاء

* * *

وغَنَــاءٌ عــن الخُلُــودِ غَــرَامٌ هــو رَمْــزٌ وَوَصْلَــةٌ للبقــاء
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ الجِسْمِ ويُضْفِــي عليه ثَــوْبَ الضِّيَاء[2]
هُــو نــورٌ ومــا الخطيئَــةُ إلاَّ ظُلْمَــةٌ أو حَليفَــةُ الظَّلْمَــاء
وهُو يَسْــمُو عن الزمــانِ ومَا قَدْ يَقْتَضِيــه الزمــانُ مــنْ أخْطَاء
هُــو خُلْــدٌ، ومــا الخطيئَــةُ إلاّ بعــضُ وَحْــيِ الفَنَــاءِ للأحْياء

* * *

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- الصنو: المثيل والنظير.

٢- خَطَل: فساد: الكلام الفاسد الكثير المضطرب: المنطق الفاسدز

الانتظار الخالد*

أنـــا بانتظـــارِك مـــا أُبالـــي رِضَـــي الهـــوى حُكْـــمَ الجَمالِ!
غيـــبي إِذَنْ أو فَاحْضُـــرِي أنـــا قَانِـــعٌ في كلِّ حَـــالِ!
رَاضٍ بأحلامِـــي الـــتي تُضْفِـــي عليـــك حَلْـــيَ الجلالِ
لســـتِ الملومَـــة إنـــني أنا رشْـــتُ أجْنحَةَ الـــدَّلالِ![1]
مَـــا للجَمَـــالِ مَتَـــى بَـــدَا إلا التَّخَشُّـــعُ في ابتهـــالِ

* * *

أنـــا بانتظـــارِك في الشُّـــروقِ وفي الغـــروبِ وفي الـــزَّوالِ
أنـــا بانتظـــارِك حِـــين أصْحُـــو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ اللآلِـــي
أنَـــا بانتظـــارِك حِـــينَ أغْـــــــفـــو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربـــت تَطلَّعَـــتْ نَفشـــي إلى القُـــرْبِ المُوالِـــي!
وإلى التَّمـــازُجِ بيننـــا حَنْـــيَ النحـــور إلى كَمَـــالِ
هـــو ذاك سِـــرُّ تَنَظُّـــري أبـــدا إليـــك؛ فمـــا احتيالِـــي؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤.

١- رشتُ: السهم، جعل له الريش.

الحب المكروه!*

كَرِهْتُـك أيُّهـا الحـبُّ كراهـةَ مُحْنَـقٍ غاضِـبْ
وضَـجَّ بِهَوْلِـكَ القلـبُ ومـا تَبْلُـوه مِـنْ وَاصِـبْ(١)

* * *

كَرِهْتُـك حَيْـرةً كُبْـرى جحيمـاً كَلُّـه حَـرَقْ
كَرِهْتُـك لهفـةً حَـرَّى وشـوقاً كلُّـه نَـزَقْ

* * *

كَرِهْتُـك ريبـةً فينـا وفي الدُّنيا وفي النَّاسِ
نُكَـذِّبُ مَـا بأيدينـا ونَسْمَع هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتـك غُلَّـةً[٣٨] ظَمِئـتْ ولا رِيٌّ ولا مَـاءْ
وَوَقْدَتُهـا قـد اشـتعلتْ وفي التلطيـفِ إذْكَاءْ

* * *

كرهتـك سَـهدَ أجفـانٍ وصَحْـواً في الدُّجـى المُبْهَـمْ
كرهتـك مَهـدَ أشْـجَانٍ ومُذْكِـي وَقْدِهـا المُضْـرَمْ

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.
واصب: من وَصَبَ: مرض.

كرهتك شُغْلِيَ الشَّاغِلْ وآمَالِي وآلامِي
وماضِي العُمْر والآجِلِ ولَيْلاَتِي وأيَّامِي

* * *

كرهتُك دورةَ الزّمَنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ بإحساسٍ لَنا شَاغِلْ

* * *

كرهتُك لستُ موقوفاً على حُبٍّ يُقيّدُنِي
كَرِهْتُ العيشَ مَلْهُوفاً على أملٍ يُسوّفُنِي

* * *

وداعاً أيُّها الحُبّ كرهتك فارتحلْ قُدُمَا
كرهتك لم يَعُدْ قَلبٌ بصدري يَحْمِلُ الألَما

* * *

سَأحيا خَامِدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أملُ
سَتخْبُو شُعْلَةُ النفسِ ويَمضِي ذلك الأجِلُ

* * *

نكسة!*

خَفَقْــتَ يــا قلــبُ ! . مــاذَا أَنكْسَــةٌ مِــنْ جَديــدْ؟[1]
تَوثُّــب الحــبّ هَــذَا ؟ بعــدَ الهــدوءِ المَديــدْ
وبعد فَكِّ القيودْ

* * *

يــا قلــبُ مــاذَا أَثَــارَكْ ؟ وهَــاجَ فيــك الحَنينَــا؟
وقــد خَلَعْــتَ إِســارَك وعِشْــتَ كالنــاسِ حِينــا[2]
أو عشتَ كالهادئينا !

* * *

لَقِيتَهــا يــا فُــؤادِي أَنكْسَــةُ الحــبّ لَقْيَــا؟
كالنــارِ تحــتَ الرّمــادِ مــا يلبــثُ الحــبُّ حَيَّــا
ما أعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

يــا قلــبُ فَاذكــرْ عَذَابَــك في الشكّ أو في اليقينِ
فهــل نَسِــيتَ اضطرابَــكَ؟ بين القَلَى والحنينِ[3]
وبين سُودِ الشُّجُونِ؟

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٤

١- النكسة: العودة رأساً على عقب. والمراد العودة إلى المرض بعد العافية.

٢- إسارك: قيدك.

٣- القلى: البغض والهجر.

وبـــينَ إنْ قِيـــلَ غَابَـــتْ أو قِيـــلَ الآن تَأتِـــى!
وبـــينَ فَـــوزٍ مُبَاغِـــتْ أو حســـرةٍ بعـــدَ فَـــوْتِ
وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

* * *

أراكَ يـــا قلـــبُ لَمَّـــا تَســـمَّعْ، ولم تَتَذَكـــرْ
ومـــا تحـــاوُل كَظْمـــاً لِخَفقِـــكَ المُتَســـعّرْ
وما تريدُ التدبُّرْ

* * *

عَلَيْـــكَ يَـــا قلـــبُ وِزْرَكَ فاخفـــقْ إذَنْ بَـــلْ فَخَاطِـــرْ؟
فليـــس يُجْدِيـــك حَـــذَرُكَ إذَا هَمَمْـــتَ تُحَـــاذِرْ
خاطِرْ بنفسِك خَاطِرْ؟

* * *

على أطلال الحب *

تَفَـرَّدَ ذلـك الطَّلـلُ وطـافَ بركنـه الوَجَـلُ
يُغَشّـى اليـأسُ صَفْحَتَـه ويُبْـرِقُ تحتَـه الأمـلُ
وتَهْمِـسُ حولَـه الذّكْـرَى فتلمـعُ بينهـا الشُّـعَلُ
جَفَـاه أهلُـه مَلَـلاً فَخَّيـمَ فوقَـه المَلَـلُ
عَزيـزٌ عَهْدُهـم فيـه عزيـزٌ أَنْـتَ يَـا طَلَـلُ

* * *

بَنَـاه خَيـرُ بَنَّـاءٍ بَنَـاه الحـبُّ مُبْتَدِعـا
وبَـثَّ عَلـى جَوانِبِـه مَفَاتِـنَ تَفْتِـنُ الوَرِعَـا
وأطْلَـقَ حولَـه سِـحْراً يَبُـثُّ الشَّـوقَ والوَلَعَـا
وأَنْشِـدَ باسمِـه شِـعْراً مِـنَ الآمـالِ مُنتَزِعَـا
وظَلّـلَ أَهْلَـه الأمـلُ فمـاذا جَـدَّ يـا طَلَـلُ ؟

* * *

---

* نشرت ١٩٣٤.

خريـفٌ بَاكِـرٌ حَـلاَّ خريـفَّ الحُـبّ والعُمْـرِ
فَحَطّـمَ كُلَّ شَـامِخَةٍ علـى الأحـداثِ والدَّهْـرِ
وعَطّـلَ كُلَّ فاتِنَـةٍ مِـن الإغْـرَاءِ والسّـحْرِ
وأبْطَـلَ كلّ سَـاحِرةٍ وأسْـكَتَ نَغْمَـةَ . الشّـعْرِ
فَعَـادَ بِنَـاؤُه طَلَـلاً فَويْحَـك أيُّهـا الطَلَـلُ
دَلَفْـتُ إليـه مَلْهُوفـاً تحُـثُّ حَنيـني الذّكْـرَى
فَأطْـرَقَ لا يُحَدّثُـني وأرْسَـلَ زَفْـرةً حَـرَّى
وَجَـدْتُ لِوَقْدِهـا لَذْعـاً كَأنِي أَلْمَـسُ الجَمْـرَا
وتاهـتْ نَفْسـي الوَلْهَـي وأَسْـرَتْ رُوحِـي السَّـكْرَي
وقُلْـتُ وقَـدْ نَـزَا أَلَمِـي «فِـداكَ الكـونُ يَـا طَلَـلُ» ؟

* * *

صدى قبلة*

حرارتُهـا لم تَـزلْ فَائِـرَه ونكهَتهَتُـا لم تَـزالْ عَاطِـرهْ
أُحِـسُّ حرارتَهـا في دَمِـي كمـا تَصْـرُخُ الشعلةَ الثَّائرهْ
أنْشَـقُ نَكْهَتَهـا كالشَّـذَى يفـوحُ مـن الزهـرةِ النَّاضِـرهْ
وتخطـرُ رَيَّانَـةً في فَمِـي كمـا يَخْطُـر الحُلْـمُ بالذَّاكرة
وبـينَ يَـديَّ صَـدَى ضَمَّـةٍ تَـردَّدُ كالنَغْمَـة السَّـائرةْ[1]
أجَلْ! لَيْسَ هَذا الذي قد ضَمَمْتُ سِـوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عابِـرَة
أذلِـك جِسـمٌ ! فأيـنَ الخيالُ وأيـنَ عَرَائسُـه النَّافِـرةْ؟
تَقَدَّسْـت مِـنْ قُبْلَـةٍ قَدَّسَـتْ مُنَـاي وأوْهَامِـي الحائِـرهْ
وأَزْكَـتْ حَياتِـي وإنَّ الحيـاةَ هِـي الفتنـةُ الحيّـةُ الطَّائِـرهْ
أجلْ هِـي أطْهَرُ ما فِـي الوجودِ فمـا الرِّجْسُ إلاّ القُـوى الخَائرةْ
لجَسَّـمْتِ مـا كانَ في خَاطِرِي خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِـرهْ
وقَرّبْـتِ لِلّمْـسِ مـا لم تَكُـنْ تُقَرِّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطِـرهْ
وَأسْـرَيْتِ بالـرُّوحِ في لَثْمَـةٍ تَحُـسُّ بِهـا الشَّـفَةُ الشَّـاعِرهْ
أَمُعْجِزَةٌ أَنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسْـم وبَـينَ القُـوى الطَّافِـرهْ ؟[2]
قُـوى كلِّ هَيْكلِ هـذا الوجودِ كذلـك قَـدرتْ يـا قَـادِرَهْ !

---

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٧.

١- السائرة: المنتشرة.

٢- الطافرة: من طفَرَ: وثب: أسرع.

وإنّـــي لأغْمِــضُ فِــي نَشْــوةٍ وأُمْسِــكُ أَنْفَاسِــي السَّــاعِره

وأَخْطَرُهَــا قُبلَــةً فِي فَمِــي فَأسْــمَعُ أَصداءَهــا السَّــاحِرهْ

وأسْــتَرْجِعُ اللحظــاتِ القِصَارِ فَأُلْفِــي بهــا صُــوراً وَافِــرهْ

وأَعْرِضُهــا مَنْظَــراً مَنْظَــراً كمــا عُرِضَــتْ قبــلُ لِلبَاصِرهْ

ثَــوانٍ تَرَكَّــزَ فيهــا الزمــانُ تُبَــارِكُ دُنيــاي والآخــرهْ

* * *

غني... ؟!*

غنيّةٌ أنـتِ بالتعبيرِ قـد ذَخَرَتْ   أطـواءُ نفسِـكِ منـه زادَ أَحْقَابِ
وهَبتِـني مِنْـه أشـتاتاً منوّعـةً   وزدتِـني منـه في وجودٍ وإسـهابِ
في كل جَارحـةٍ عُنـوانُ مَلْحَمَةٍ   مـن الحديثِ ، وسـرٌّ جِـدٌّ جذّابِ
تقـصُّ تاريخَهـا في فـنّ راويةٍ   منسّـق النَّبْرِ ذي لحـنٍ وإطرابِ[1]
وإنَّ تاريخَهـا أُقْصُوصـةُ جمعتْ   تجـاربَ الكـونِ في أحـلامِ أربابِ
تجاربُ الكونِ في سـحْرٍ وفي فِتَنٍ   من نُضْرِةِ الرَّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَابِ
ومِنْ سَـناءِ الـدَّراري في تألُّقِها   ورهبةِ الكونِ في جُنْحِ الدُّجى الخَابي[2]
ومِنْ غُموضِ الصَّحارِى في مَجاهِلِها   والعيلمُ الرَّحـبُ يَطْغَى جِدُّ صَخَّابِ
ومن صِيـالِ الضَّواري في تَقحُّمِها   ومن أغاريـدِ أطيـارٍ وتَنْعـابِ[3]
وفرحـةُ الظَافِرِ النَّشـوانِ خَافِقَةٌ   تختـالُ مُعْجَبـةً في خَطـوٍ وثّـابِ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٧

١- النبر: إبراز النطق والصوت.

٢- الدّراري: مفردها دُرِيٌّ: وهو كوكب لامع.

٣- التنعاب والنعيب: صوت البوم.

هـــذا حديثُــك بينَا أنــتِ صَامتةٌ   وَعَيْتُــهُ كلّه في صَمْــتِ مِحْرابِ
فهلْ بلغتُ مدَى مــا أنتِ زَاخرةٌ   من التجاربِ في خَلْــقٍ وإنْجابِ ؟
لا . لا وحقكِ لم أبلغْ سوى طَرْفٌ   من الحديــث على وَفْــرٍ وإطنابِ
وخَلْفَ ذلــك كَنْزٌ كُلُّــه طُرَفٌ   يزيــدُ مَذْخُــورُة في كــفّ وهّابِ
وإنَّ عِنْــدك مــا تُعطِينــه أبــداً   للســائلينَ بإفْصَــاحٍ وإغْــرابِ

* * *

العينُ . ماذا تَقصُّ العينُ مِنْ خَبرٍ   مُسَلْسَــلٍ في حَنايا النفسِ مُنْسَابِ؟
وما الذي أبْدعتِ للفنِ إذ هَمَست   للأمْنيــاتِ فلبَّتْ بِضْعُ أسْــرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنينٍ كامنٍ وهَوى   يَسْــرِى الهوينى شَفُوفاً بينَ أَهْدابِ ؟
والثغــرُ ماذا يبثُّ الثغرُ من قُبَلٍ   في صمتهِ العَذْبِ، بل في سحْرِه السَّابِي[1]
وإِن فيه لقُبلاتٍ قد ارتَســمتْ   من بعد ما نَضَجَت ، لِلاَّثِمِ الصَّابي[2]

* * *

والجسمُ. ماذا يقولُ الجسمُ قد خَفَقَتْ   فيه الحياةُ ، وتَاهــتْ تيهَ غَلاَّبِ ؟
يقولُ مــا تعْجَــزُ الدُّنيــا بِرُمَّتِها   عــن أن تقولَ بتصويــرٍ وإعرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَــنّ الحياةِ حَوتْ   جَميعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيا لإعْجَابِ
غنيــةٌ أنــتِ بالتعبير قَــد ذخرتْ   أطواءُ نَفْســك منــه زادَ أحقابِ

* * *

وحي جديد *

فِــي خِفّــةِ الطيْــرِ في نُضْــرَةِ الزّهْــرِ
لا قيتُهــا عَرَضــاً بَسّــامةَ الثّغــرِ
فتّانــةٌ تُغــرِي بالسّــحرِ والطُّهْــرِ
تَهْفُــو فَتَحْسَــبُها لحنــاً هَفَــا يَسْــرِى
في لَفْتــةِ الجيــدِ في خَفْقــةِ الصَّــدْرِ
«تَقْسِــيمُ» موسيقــــا أَمْنُغُومــةِ النّبْــرِ

* * *

يــا بَسْــمَةَ الفَجْــرِ يــا نَفْحَــةَ العِطْــرِ
أسْــكَرْتِ وِجْــدَانِي مِــنْ لَوْنِــكِ الخَمْــرِي
ألْهَبْــتِ إِحْسَاســي بالشّــوقِ كالجمــرِ
وَهَمسْــتِ في قَلْــبي وهَتَفْــتِ في صَــدْرِي
وبَعَثْتِنــي أَشْــدُو للحُــبّ بالشّــعْرِ
وكأنّــني رُوحٌ تَقْفُــو خُطــا سِــحْرِ
مَفْتُونَــةً ترنُــو للكــونِ في سُــكْرِ
والكــونُ يَشْــمَلُها بالأنْــسِ والبِشْــرِ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٧

عَجَبى لِمَا أَلْقى مِنْ لُغْزِكِ السِّحرى!
وَحْيٌ يُوسْوِسُ لي في السِّرَّ والجَهْرِ
حوَّلتِ عُمْري من شَطْرٍ إلى شَطْرِ
حبَّبْتني، عَجَبَا! في عيشَة الوَكْرِ
قد كنتُ أَرْهَبُها كالنَّابِ والظُّفْرِ!
وإِخَالُها شَرَكاً في البَرِّ والبَحْرِ!
إذ كنتُ أدْمَغُها بالشَكِّ والغَدْرِ
فملأْتني ثِقَةً بِجَمالِها المُغْري
ورسمتِ لي صُوراً لفراخِها الخُضْرِ
تَزْقُو فَنُطْعِمُها بِحَنَانِنا النَّضْرِ
ونَريشُ أَجْنحَةً مِنْ ريشِها النَّزرِ
فَتَطيرُ هَازِجَةً في جَوِّنا الشِّعرى
وتؤوبُ وَادعةً للعُشِّ كالطَّيرِ!

* * *

يَا فتْنَتي، هَذَا طيفٌ مِنَ السِّحْرِ
إِنْ تَأذَني أَضْحَى شَطراً مِنَ العُمْرِ
فَهَبي لي رُوحاً مِن رُقْيةِ الثُّغْرِ
هي قُبْلةٌ تُمْضي مَا شئتِ مِنْ أمْرِ
وكَأنَّها قَدَرٌ بسعَادتي يَجْري

* * *

أكذوبة أسوان*

بعد عام أحس في نفسه بالسُّلوان، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال. ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شبهٌ أو سمَةٌ من الجمال الذي حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاه وإذا هو يَهْفُو إلى المَاضي، والماضي وحْدَه دونَ سِواه.

الآن أعْلَمُ أنّ كلَّ خَواطِري ... تَهْفُو إليكَ كَرَقْرَقاتِ الطَّائرِ[1]
ما كان سُلْواني سِوى أُكْذُوبَةٍ ... خُدِعَتْ بِها نَفْسي خَديعَةَ شاعِرِ
بَيْنَ الشَّغافِ وفي مُنَاي وفي دَمي ... ألقاكِ هَاجَّةً وبَيْنَ سَرائِري
أنْسَاكِ؟! كيفَ وأنتِ بينَ جَوانِحِي ... شَطْرِي الجَميلُ وأنْتِ وَحْيُ خَواطِري؟
أنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْرى معاً ... مَوْصُولةٌ بكِ في صَميمِ مَشَاعِري؟
وإذَا هَفَوتُ إلى الجمالِ فإنّما ... أهْوى مِثَالَكِ في الجَمَالِ العَابِرِ
أنْسَاكِ إذْ أنْسَى حَياتي كلَّها ... فإذا حَيِيتُ فأنْتِ أولُ خاطِرِ
نَبضَ الربيعُ فكُنْتِ أولَ نابضٍ ... في خَاطِري يهفُو وأوَلَ زائِرِ
وهفوتُ للماضي الذي قد أوْدَعَتْ ... نَفْسي لديه رَغَائِبي وذَخائِري
أنا ذلك الماضي الذي لا يَنْقَضي ... أنا ذلك الماضي يعيشُ بِخَاطِري!

* * *

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٣

١- الرقرقة: التحرك والارتجاج.

حلم الحياة*

«وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَديٍّ في صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشعَّةٍ في ظلامِ الحياة؟».

أيُّها الحُلُمُ الذي كَانَتْ حَيَاتي ... مِنْ حَوالَيه دُعاءً وصَلاهْ
وتَسابيحَ وَعَتْهَا أُغْنياتي ... وانْتِشَاءً بأفَاويقِ الحياهْ[1]

أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَقَني ... مِنْ قُيودي نَحو آفَاقٍ عَجيبَهْ
والَّذي في الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَني ... بتَهاويلَ مِن الوَهْمِ حَبيبَهْ

أيُّها الحُلْمُ الذي طَهَّرَ نَفْسي ... بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والذي أفْعَمَ بالآمَالِ كَأْسي ... وحَبَاني بعدَ رُشْدِي بالغُرورْ!

أيُّها الحُلْمُ الذي رَدَّ عَليَّا ... نَزَقَ الطِّفْلِ وأهْواءَ الغُلامْ[2]
والذي نَدَّى بِدَمْعِي مُقْلَتَيَّا ... وعلى إِثْرِ بُكَائِي الابتِسَامْ!

أيُّها الحُلْمُ الذي جَسَّمَ وَهْمي ... فإذَا الأوْهَامُ في الدُّنيا حَقيقَهْ
تَتَجَلَّى في أحَاسِيسي وَهَمِّي ... صِلَةٌ بالرُّوحِ والجسمِ وَثيقَهْ

أيُّها الحُلْمُ الذي أطْلَعَها ... في حَيَاتي مِثْلَمَا تَطْلُعُ نَجْمَهْ
وأرَانِيهَا كَمَا أبْدَعَها ... فِتْنَةً تَشْقَى بِهَا الدُّنْيا وَنِعْمَهْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤١م

١- أفاويق: ما اجتمع مرة بعد مرة، من حليبٍ أو سحابٍ.

٢- نزق: خَفَّ وطاش.

أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي هَيَّــأ لِــي   أنَّهــا في ذلــك الكــونِ فَريدَهْ
والــذي جَسَّــمَ فيهــا أمَلِــي   وأمانــيَّ اللَّهيفَــاتِ الشَّــرِيدَهْ
أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي ظَلَّلَهــا   في خَيالــي بِأعَاجيــبِ الظِّــلالْ
فبــدتْ   حُوريَّــةً   جَلَّلَهَــا   ألَــقُ الطُّهْــرِ وإشْــرَاقُ الجَمَالْ
أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي صَوَّرَهَــا   كُلَّ يــوم صُــورَةً منْهــا طَريفَهْ
كلُّهــا تَبْــدُو – ومَــا أكْثرَها –   عَذْبَــةً جَذَّابَــةَ اللَّمْحِ شَــفيفهْ
أيُّهــا الحُلْمُ الــذي جَمَّــلَ عِنْدي   كلَّ ماعَــنَّ لَهــا مِنْ نَــزَواتْ!
والذي عَلَّــقَ وِجْدانــي وَجَهْدِي   بالــذي يَبْــدُو لها منْ بَــدَواتْ!
أيّهــا الحُلْــمُ الــذي أوْقَدَهــا   شُــعْلَةً هَوْجَــاء تَذْكُــو في دَمي
كلّمــا تَلْمَــسُ كَفِّــي يَدهَــا   تَلْمَــسُ النَّشْــوةُ قَلْبــي وفَمِي!
أيُّهــا الحُلْــمُ الــذي كَانَ وكَانْ   أينَ نَحْنُ الآنَ مِــن هذَا الزَّمَانْ؟
أيْــنَ أنْــتَ الآنَ يَــا سِــرَّ حَياتِي   أينَ أنْــتَ الآنَ يَا مَعْنَى وُجُودي!
أينَ يَــا وَحْيَ نَشِــيدِي وصَلاتِي؟   أيــنَ؟ في وَادٍ مِــنَ الصَّمْت بَعيد
بيننَــا وَادٍ مِــنَ البُعْــدِ سَــحِيقْ   بَيْنَمــا أنْــتَ هُنا مِــلءُ فُؤادي
كَإلــهٍ حَوْلَــه الصَّمْــتُ العَميقْ   وهُــو في كلِّ شُــعُورٍ وفُــؤَاد
لِــمَ يَــا حُلْــمُ قَــدْ أيْقَظْتَنــي   فإذَا الصَّحْو خَــواءٌ[43] في خَواءْ
لِــمَ يَــا حُلْــمُ قَــد فَارَقْتَنــي   فــإذَا الكَــونُ هَبَــاءٌ فــي هَبَاءْ
أيُّهــا الحُلْمُ تُــرى كُنْــتَ خِدَاعاً   إيــه مَــا أصْدَقَه هَــذَا الخِدَاعْ!
أيُّهــا الحُلْمُ الــذي فَــاتَ وَدَاعاً   ما الــذي نَمْلِكُه غيرَ الــوَدَاعْ؟

* * *

الكأس المسمومة*

أقْلاك أقْــلاك كالشــيطان أقْلاك   أقْلاك كالسُّم يَسْري جَدّ فَتَّاك[١]
أقْــلاك: إنّك في نَفْســي وفي زَمَني   وفي حياتــي أفعًى ذاتُ أشْــواك
سَمّمْت عَيْشــي وأحْلامي وَأخيلَتي   وأنت شــيطانة في سمــت أملاك
وعشْــتُ أرْعَاك في قَلْبي وأنْت بلا   قلب يُحِــسُّ ويَرْعَى كيفَ أرْعَاك
مَنْ أنتِ؟ مَا أنــتِ؟ إنّي حَائرٌ قَلقٌ   أأنْت أُسْــطُورةٌ في سِفْرِ أفّاك؟[٢]

* * *

أنْسَــى اللَّيالي الــتي قَضيَّتُها قَلقاً   وأنــت سَــاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيّــاك
أنْسَــى الدُّمُوعَ التي أرسلتُها غَدقاً   ولســتُ لولا هَواك المُرُّ بالبَاكي
وكبْريائي التي مَــا كُنْتُ أخْفضُهَا   منْ قبلُ أو بَعــدُ في دُنْيَاي لولاَك
أنْسَــى. وأذْكُرُ أحْلاَمي وأخْيلَتي   كَأنَّهُــن نجــومٌ بــينَ أحْــلاَك
وكلُّهن نَســيجُ الوَهْــمِ في خَلَدي   ولَسْــنَ غــيرَ أحابيلٍ وأشْــواك

* * *

أقْــلاك؟ لَيْتَ! فإني لَسْــتُ أقلاك   أهواك؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْــتُ أهْواك
أهــوَى وأقْلَــى وأيامــي مُوزَّعَةٌ   بينَ الهوى والقلى كالضّاحك البَاكي
هذا الرّحيقُ وهذا السُّــمّ قد مُزجَا   ولســتُ أرْوَى بكأسٍ غَــيرَ رَيَّاك
هَاتي لِيَ السُّــمّ صِرْفاً لا يُمَازجُه   هذا الرحيقُ فإنّي لســتُ بالشّاكي
مَللتُ كَأسَــكِ لا ألتذّ نَشْــوَتَها   ولا أُحطِّمُهــا تَحْطيــمَ سَــفّاك

---

* نشرت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣.

١- أقلاك: أكرهك.

٢- أفاك: الكذاب، المفتري.

وحي لقاء*

هَــذَا اللِّقَــاءِ كَأنَّــه ذِكْــرَى مَكْنُونَــةٌ في عالَــم النَّفْــسِ
وكأنَّــه وَهْــمٌ أَجَسِّــمُه لا حَــادِثٌ في عَالَــم الحِــسِّ

* * *

هَــذا اللِّقَــاءُ الخَاطِــفُ الوَاجِفْ وَتَلَفُّــفُ الأَنْظَــار في حَــذَرِ
كثُمالَــةُ الأَحْــلَامِ، كالذِّكْــرَى في رِعْشَــةِ اللفَتَــاتِ والصُّــورِ

* * *

أُخْتَــاه. وَاعجبــاً لَنــا! عُدْنَــا في هــذه الدُّنْيَــا غَرِيبَيْــن
عُدْنَــا إذا مَــا خِلْسَــةٌ سَــنَحَتْ نَمْضــي علــى حَــذَرٍ كَلِصَّيْنِ!

* * *

أَلقــاك مثْــلَ الطيــف عَابِــرَةً وكأنَّ مَــا قَــدْ كَانَ مَــا كَانَــا
وكأنّمَــا الأيــامُ مــا شَــعرَتْ أَنَّــا عَمَرْنــا قَــطُّ دُنْيانَــا!

* * *

وتُفكِّريــنَ كَأنَّمَــا افْتَرَقَــتْ مِــن مَطْلَــعِ الدُّنيــا طَرِيقَانَــا
وتذكِّريــنَ كأنّمــا اجْتَمَعَــتْ في خَاطِــرِ الأيــامِ ذِكْرَانَــا!

* * *

مــا أنــت؟ إني لَــمْ أجــدْ أبداً أني كَشَــفتُك قَــطُّ في النُّــورِ
مــا أنــتِ إلا فكــرةٌ شَــردَتْ مــا أنــتِ إلا طيــفُ مذعورِ!

* * *

وشَــقيَّةُ الخُطُــوات عَاثِــرةٌ في حَيثُمــا اتَّجَهَــتْ لمَأْمُــولِ
وكأنّمــا تَمْضِــي مُرَوَّعَــةً وضميرُهــا يُضْفِــي لِمَجْهُــولِ!

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٤٤.

حلم الفجر*

عجبـــاً! أنت مـــا تزالـــين حُلْمي   وَمِثالــي وَفكْرَتــي ونشــيدي
مـــا تزالـــينَ في خيالــي رَمْــزاً   لِرَجــاء مُنــوَّرٍ مــنْ بعيــد
مـــا تزالـــينَ حافــزاً لِجُهــودي   مـــا تزالـــينَ غايــةً لوجــودي
أتحاشَـــاكِ بالجَفَـــاءِ وبالبَـــأ   سِ فأرتدُّ سَـــاخراً مــنْ جُهُودي
أتحاشَـــاكِ كالجحيـــمِ وكالسُّـــمّ   ولكن إليــكِ يُفْضي شُــرودي

* * *

عَجَبـــاً! تَرْكُـــدُ الحَيَاةُ فَأنْسَـــاكِ   قليـــلاً في غَمْرَتــي ورُكُــودي
فـــإذا دَبَّـــتْ الحيـــاةُ تَـــراءَى   كطيـــفٌ مُسْـــتَيْقظٌ مـــنْ هُجُود
وتَـــراءتْ تَـــرِقُّ حَولَـــكِ أطْيَافٌ   لِمَـــا كَانَ بَيْنَنَـــا مـــنْ عُهــود
كلّ مالا مســـت يـــداكِ ومامـــــ   ـــسَ هوانا مـــن قيمٍ وزهيد
أتمـــلاّهُ   بالخيـــال   وبالحْـــــ   ـــسِ كهـــاوٍ من عـــالمٍ موعود

* * *

عجبـــاً! بعـــدَ كلِّ مَـــا كَانَ منّا   مِـــنْ صِـــراعٍ دَامٍ وجُهــدٍ جَهَيدِ
أتمَنّـــاكِ في المَنَـــامِ وفي الصَّحْـــ   ـــوِ تمنّـــي العَقيمِ وَجْــهَ الوليدِ
وإذا ســـرْتُ في الزِّحَـــامِ فَعَيْني   لخيـــالٍ مُسْتَشْـــرِفٍ مـــنْ بعيـــد!
لهفـــةٌ تَمْـــلأ الحَنَايـــا حَنينـــاً   لرجـــاء مُجَسَّـــم مَفْقُــود
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ في صَحْوةِ الفجـــ   ـــرِ فَأنّـــى[٤٥] لِحُلْمِنَـــا من مُعيد

* * *

---

* نشرت: في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤.

انتهينا*

انْتَهَيْنَا قد مَضَى المَاضي جميعاً ومَضَيْنَا
انتهينَا لم نَعُدْ نسألُ أيَّانَ وأيْنا؟!
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلام والأوْهَام عَيْنا
انْطَوى الحُلْمُ الذي لاَحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبلُ السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اضْربي في زَحْمَةِ الأرضِ على غيرِ طَريقي
فكرَةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرهُ الفَنُّ، على عَينِ الصَّديقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنَا المَكْدُودُ فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَدِ أن تَسْكُنَ في الأرضِ خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لا تَهْتِفُ شَوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغمِضَ لا تُوقظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

* نشرت عام ١٩٤٥

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ في النَّفْس عَيَانَا
ومَضينا في طريقِ الوَهْم تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدمُ الأيامُ مَا نَبْني فَتَبْنيه رُؤانَا!
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمينا فتَمْضي قَدَمَانا
تتبعَ الوَهْمَ الذي صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جنَانَا

* * *

يَا لهذا الحُلْم والأيامُ تَمضي والليَالي
عَابثَاتٌ بالأَماني وهو يَمْضي لا يُبَالي
يَغْلبُ الوَاقعَ في الأرضِ بتَحْليق الخَيال
ويَرَى خَلْفَ الرَّوَابي والصَحَارَى طيفَ آلِ[١]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضي وَالأَمَاني وَالزَّمَان
وانْتَهَيْنا. وصَحا بَعْد الأوَان الحالمان
عَجَباً. قد كان حُلماً. لَيْتَ شعْري كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيَوم كالحُلم وحُلْمي كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان

* * *

١- الآل: السراب

الوصف

وادعاً كالزَّهر حَيَّاه النَّسيمْ
ساهياً كالصَّمْت في ظلّ الوُجُومْ
حَالماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بينَ أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

وردة ذابلة*

قد تولَّتْ وَذَوَتْ نُضْرتُها وبدت كالميِّتِ المُحْتَضِرِ
تَفْتَحُ الأجفانَ أو تَغْمِضُها فتحةَ الضَّعْفِ وغَمْضَ الخَوَرِ
وشَذَاهَا لَم يَزَلْ يُفْعِمُني فيعيدُ الشَّجْوَ لي بالذِّكْرِ

* * *

العود*

مُحَلِّلُ القَلبِ أنْغاماً وألْحاناً ومُلْهِمُ الوَحْي إسراراً وإعلانا
ومُوقِظُ النَّفسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِنَةٌ وأنْتَ تَهْمِسُ بَالأنْغَام وَسْنَانا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو في معارِجِها[46] وتطرقُ العالَم العُلْوِيّ أحْياناً
وباعثُ الذِّكَرِ اللائي إذا اشتجرتْ أثْرْنَ في النَّفْسِ آلاماً وأشْجاناً
وواهبُ الحِسّ لُطْفاً في مَدَارِكِه ومُوحِي الشِّعرِ إحْساساً وأوْزاناً
أسَلْتَ نَفْسي بالألحان تُنْشِدُها إنشادَ ذي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْناناً[1]
كأنَّ ألْحانَك اللائي تُرَدِّدُها أطيافُ ذِكْرى؛ توارتْ؛ تَرْجِعُ الآنا
كأنّها هَمْسُ جِنٍّ أو ملائكةٍ أسرَّ عن عالمِ الإنسانِ كِتمانا

---

*نشرت عام ١٩٢٥

* نشرت عام ١٩٢٧.

١- أسلت: أسأل النفس: حرّكها.

تسـيلُ في النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ   وإنَّ للنفـسِ مِثْلَ الجسـمِ آذانَا

وتسـتحثُّ خَيـالاً كان في دَعَـةٍ   فيذرِعُ الكـونَ آفاقـاً وأزماناً

وتمـلأُ النفـسَ باطمئنانِهـا ثِقَةً   وتغمـرُ القلبَ إخْلاصـاً وإيمانا

* * *

حديـثُ أيِّ فـؤادٍ أنـتَ تَذْكُرُه   أَبَاسِـمٌ فَـرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَـا

وأيُّ وَحْـيٍ لَنـا تَرْوِي رسَـالتَه   فيؤمِـنُ الناسُ أفْـكاراً وَوِجْدَاناَ

عَنِ القُلـوبِ جميعاً أنـتَ تُخْبِرُنَا   عنِ الأنَاسِـيِّ ما خَصَّصتَ إنساناً

عـنِ الحيـاةِ ومـا فِيهـا تحدِّثُنا   فكلُّنـا مُؤمِـنٌ يـزدادُ إيقانَا[1]

عن الطبيعـةِ ترِوى وهـي تُلْهِمُنَا   هذا الحديثَ، فمـا نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

* * *

١- إيقاناً: الإيمان والتسليم.

بريشة الشعر*
أو
صورة صادقة

كانَ الأمــسِ، وبالأمسِ القريبْ يَتَــراءى كالأمانــي هَــا هُنــا
هائماً كالــرُّوحِ يغـدُو وَيئُوبْ والرجــاءُ العَــذْبُ في وَادي المُنــا
وَادعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهيا كالصمتِ في ظلّ الوُجُومْ[١]
حَالما يصحُو قليلاً ويَهيمْ
بين أطيافِ الأماني
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهــرةٌ قــد كَادَ يَعْرُوهــا الذُّبُولْ ثم حَيَّتْهــا تباشــيرُ الربيــع[٢]
فهــي تَرْنُو بــين صَحــوٍ وذُهولْ مثلما تحْتــارُ في العــينِ الدُّمُوعْ
وهو لَحْنُ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه في تضاعيفِ الضيّاءْ
فوَعَاه كلُّ ذي حِسٍّ بَراءْ
وشعورٌ كالنسيمْ
في الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

دُميــةٌ تُوحِي بأشــتاتِ المَعَانِي وهي سَكْرَى في حَمى الصمتِ العميقْ

هادئــاتٍ مثْلَ أطيــافِ الأمانِي ســامياتِ الوَحْيِ كالعطفِ الرِّفِيقْ
وهو مَا أدْرِي مَلاكٌ أمْ بَشَرْ؟
فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ
وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ
والأناسِيُّ لِئامْ
مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمــسِ ولَكن قــد تولّى ذلــك الأمْــسُ فَخــلاّني وغَــابْ
وإذَا بِــي مُوحِــشٌ لا أتَسَــلّى والخصيبُ النَّضْــرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ
أذكر الساعات ومضاً ينقضين(١)
ثم يَعْرُوني لِذاكَرَاها الحنينْ
فيهيجُ الوجدُ والشَّوقُ الدَّفِينْ
إيه ساعاتِ الأمانِي
أتُرى قَدْ تَرجعينْ؟

* * *

١- الومض: بريق سريع الإنطفاء

هدأة الليل*

هَدَأ الليلُ وهَاجتْ بيَ الشَّجُونُ   وصَحَـا جَفْني لَدى غَفْـوِ الجفُونْ
وتـوارتْ ضَجَّـةُ العَالَـمِ في   هَـدْأة الليلِ يُغَشِّـيها السُّـكُونْ
حَنَّتْ. الـوُرْقُ فلمَّـا هَجَعَتْ   بَعـدَ لأي هَيجَتْ عنْـدي الحنينْ[1]
ذكريـاتٌ مَـا لَهـا تَتْبعُـني   حيثمـا سِـرْتُ وأيـانَ أكُـونْ
صُـورٌ شـتى إذا مـا عَرضَتْ   صَـوّرَتْ لي واضحاً طيفَ السـنينْ
وأرَتْنِـي كيفَ يمضِـي العُمْرُ لا   يشـعرُ المـرءُ بـه حـتى يَحِـينْ
يَتقضَّـى العُمْـرُ في أحلامنـا   وإذا نَصْحُـو صَحَتْ غُـولُ المَنُونْ
وأرتْنِـي شَـبَحاً مِـنْ عَـدمٍ   يتبـعُ الأحيـاءَ أنّـى يَترِلُـونْ
يَبْلَـغُ المَاضِـي مِـنْ آثارِهـم   فَاغِـراً فَـاهُ لِمَـا يَسْـتَقْبلونْ

* * *

إيـه يـا ليـلُ أرانِـي مُغْرَمـاً   بحديـثٍ منْكَ يُشْـجِي السَّـامعينْ
هـاتِ مـا عِنْـدَكَ لا تبخلْ به   بلسـانِ الصَّمْـتِ والوَحْـيِ المُبينْ
أوْحِ للأنْفُـسِ مـا حُمِّلْتَـه   مِـن جـلالٍ وخُشُـوعٍ ويَقِـيْنْ
هـاتِ يا ليـلُ أحَاديـثَ الهوى   واتلُ يـا ليلُ شُـجُونَ العاشِـقينْ

---

* نشرت في حزيران (يونيو) ١٩٢٨

١- الوُرق: جمع الورقاء: الحمامة.

وادَّخـــرْ فيـــك صَـــدى أنّاتِهم   لا تُضِـــعْ يـــا ليـــلُ أصْـــدَاءَ الأنينْ
إنَّهـــا ذوبُ قلـــوبٍ فُطِـــرَتْ   ونفـــوسٌ داميـــاتٌ وعُيـــونْ
كَم ســـلاماً فيـــك قـــد حُمِّلْتَه   من مُحـــبٍّ وامقِ القلـــبِ حَزينْ[1]
رُبَّ سِـــرٍّ غامـــضٍ أُودِعْتَـــه   في حَنايـــا الصَّـــدْرِ مَخْبـــوءٌ دفينْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّـــبِّ عن كتمانه   فـــأراكَ السِّـــرَّ دون العالمـــينْ

* * *

مُـــرْ يا ليـــلُ فقـــد أشْـــجَيتَني   عَلَّ في الصبُّحِ هدوءاً أو سُـــكونْ
إنّ لي فِيـــكَ لَشَـــجْواً وأسَـــىً   ومُنَاجَـــاةً وشَـــكوى وحنـــينْ
عبَثـــاً أنْجُو بروحِي مِـــنْ حنينٍ   هُو أصلُ الوَجْدِ عِنْدي والشُّجُونْ
إنـــني أهْـــواكَ يـــا ليـــلُ ولكنْ   أنْتَ بالإشـــفاقِ والعطـــفِ ضَنينْ
تبعثُ الأشـــجانُ مِـــنْ مَكْمَنِها   رحمـــةً يـــا ليـــلُ بالمســـتيقظينْ

* * *

١- وامق: محب ودود

الصبح يتنفس*

نَسَمَاتٌ زَفَّهَا الفجرُ الوليدُ   بعد ما جَاشَ بها صَدْرُ الحَياةْ
ناعماً مِثْلَ أنفاسِ الورود   بَلّلَ الطلِّ شَذّاها بِنَداهْ

* * *

كانت الدُّنيا يُغَشّيها السكونُ   وظلامُ الليلِ والنومُ العَميق
طِفْلةٌ قد ضمَّها الليلُ الحَنونُ   ضَمَّةَ الرحمةِ كالأمِّ الشَّفُوقْ

* * *

وتراءى الصُّبْحُ في سَمتٍ بديعٍ   فإذا الطِفْلةُ تَصْحُو من سُبَات
تُرْسِلُ الأنفاسَ في رِفْقٍ وديعٍ   وإذا الأنفاسُ تلك النَّسَمات

* * *

وإذا الزهرُ يُحَيِّي في ابتسامٍ   ذلك الصبحَ ويرنُو في هُدوء
كابتسامِ الطفلِ في عهدِ الفِطام   حينما يَحْلُمُ بالشَّذْي المَليء

* * *

وإذا الطيرُ وقَد رَانَ النُّعاسُ   فوقَ عينيه تنَزَّي فَصَحَا
يرمقُ النورَ همسٍ واختلاسِ   فَيُحَيِّيه طَرُوباً مَرِحَا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُدْفِ الظلامِ   مثلما يَبْسَمُ للغانِي الأمل[1]
يَلْثُمُ الكونَ ببشرٍ وابتسام   ويُحييه برفقٍ في القُبَل

* * *

١- سدف: سواد

وترى الأنفسَ في هذا الحَنانِ ساكناتٍ بينَ أحضانِ الطَّبيعه
ساهياتٍ راضياتٍ في أمانٍ تُرْسِلُ الطرْفَ بنَظَراتٍ وَديعه

* * *

عَالِماتٍ في كَراها يَقظاتِ! سابحاتٍ في التَّعلاّتِ الوِضَاءْ[1]
تُنْشِدُ الآمالَ عَذْبَ الأغْنياتِ بينَ سَمْعِها ويحدُوها الرَّجَاءْ

* * *

فترةٌ في مَطْلِعِ الفجرِ تَمرّ هي حُلْمٌ مثلَ أيامِ الطُّفُولَه
فإذا مَرَّتْ فجوٌّ مُكْفَهِرٌّ هو في الطِّفْل شَبابٌ وكُهُولَه

* * *

ليتني عِشْتُ بأحضَانِ الصبّاحِ أو قضيتُ العُمْرَ أستمتعُ طِفْلاَ!
لا ولا هذا من الدَّهْرِ يُتاحُ لا ولا قد عُدتُ أستمتعُ كَلاَّ!

* * *

١- كراها: نومها

عبث الجمال*

غَادةٌ ممراحٌ طروبْ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح، فعمدتْ إلى جماعة من الطير، اتخذن لَهن عُشّاً بين أحضان شجرة، تذودُهن عن عشهِن الهادئ في عبث قاسٍ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ، عادتْ هي إلى الذود!

دَعِيهــا تُغَــرِّدْ لَحنهــا وتُرَجِّــعْ وتمرحْ ما شــاءت وتَلهُو وتَرتَع
دَعيهــا تُنَمِّــقْ للحيــاةِ تحيــةً وتبعثُهــا لحنــاً يَلَــذُّ ويُمْتِــع
دَعيهــا تُعَبِّــرْ عن مَشــوقٍ مُتيمٍ تَلِجُّ به الذِّكرى؛ فيهفُو ويَنْزَع[1]
دَعيهــا فَفي ألحانهــا، الحبُّ ناطقٌ ومن وَحْيه تَشــدُو مَليًّا وتَسْجَع
دَعيهــا فقــدْ رَوَّعْتِهــا وتَرَكْتِها مُشــتّتةً حَيْــرى تُطِــلُّ وتَرجِعُ

* * *

عزيــزٌ عليها عُشُّــها دَرَجَــتْ بِهِ فِراخــاً نَحيــلاتٍ تَهُــمُّ فَتَقْعُدُ
يُطالِعُهــا رُوحُ الربيــعِ فتَنْتَشِــي ويَدْهَمُهــا قَــرُّ الشِّــتاء فَتَجْمُدُ
وتَنْشَــقُ أنفــاسَ الصبّــاحِ نَديةً فَتَنْدَى؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَدُ
وظَلَّلَها في عشِّــها الحــبُّ حَانياً عَلَيهــا قويًّــاً مُنْعشــاً يَتَجَــدَّدْ

* * *

فَــكانَ لهــا زاداً إذا قَــلَّ زَادُها ورَوحــاً ورَيْحَاناً ولَحنــاً يُرَدَّدْ

* * *

* نشرت عام ١٩٢٩

١- تلج: ألحَّ عليه.

وَيَا طالَمَـــا غَنَّتْ ويا طالمـــا بَكَتْ سُروراً بقربٍ أو حَنيناً إلى ذِكْرى

ويا طالَمـــا ارتاعتْ لِخَطْبٍ مُدَاهِمٍ فكانَ لها مَنْجَى وكَانَ لَها سِتْراً(٥)

وكَم ليلةٍ مَرّتْ وكَم أَشْرَقَ الضُّحى وكم أمَّلَتْ خيراً؛ وكَم حَذَّرَتْ شَرّاً

دَعيهـــا. بمهـــدِ الذكريـــاتِ أمينةً تَطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَى(٦)

دَعيها أجَـــلْ لا تَعْبَثِي بشـــعورِها ولا تَحْرِميها خيرَ ما حَفِظَتْ ذُخْرَا

* * *

وإن لا يكنْ بُدٌّ مـــن اللهوِ فاعبثِي بألبابِنـــا لا بالطيـــورِ الهَوائمِ!(٧)

وَهَبْتُكِ إحسَاسِي فما شئتِ فاصنعِي أمينـــاً لعهدِي مُخْلصاً غـــيرَ نَادمِ

وقَاكِ الجمالُ السَّـــمْحُ كلَّ مَلامَةٍ وعَتْبٍ فَلا تَخْشَـــى مَقالَةَ لائمِ(٨)

ولكنَّهـــا الأطيـــارُ تَلْهُـــو بريئـــةً فما بالهـــا تُدْهَـــى بِفَعْلَـــةِ ظَالمِ!؟

دَعيها – فَدَتْكِ النفسُ – لا تعبثِي بها فمـــا كان أوْلاَها بِرَحْمَـــةِ رَاحِمِ!

* * *

يوم خريف*

وَقفَ الكونُ شَاخِصاً في سُكونٍ وتَراءى لِخَاطِري كالحزينِ
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبدُو كَبَاهِتَاتِ الظُّنُونْ
وكأنَّ الزّمانَ سَاوره الحُزْنُ فأغْفى إغفاءةَ المُسْتكينِ[1]
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيْرُ فناءتْ بحمْلِ عِبْءِ القُرونِ
وكأنّ الأقدارَ أرْخَتْ يَدَيْها وتَراختْ عَنْ صَرْفِها للشؤون

* * *

وقفَ الكونُ سَاهماً ليس يَدْري أين يَمْضي؛ وأينَ لَو شَاءَ يَمْضي
طَالَما دَارَ بالأنامِ ودَارُوا بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذا؟ تَساءَل الكونُ: ماذا؟ أحياةٌ ما بينَ غَزْلٍ ونَقْضِ
أيّما غَايةٍ نَؤمُ إليها أيُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِ
تَعَبٌ ضَائِعٌ وجُهْدٌ غَبِينُ ومَصيرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضي

* * *

وسَرى اليأسُ والخُمولُ إليه فتَرَاخَى في سَيْرِه كالبليدِ
وتَمَشى الهُمُودُ في كلِّ شيءٍ مِشيةَ الدَّاءِ بالأسى والكُنُودِ[2]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- ساروه: واثبه

٢- الهمود: السكون.

فـإذا الـدَّوحُ في وجُـومٍ كئيبٍ   وإذا الطـيرُ في ذُهُـولٍ شَـريد
وإذا الزَهْـرُ في الريـاضِ أسـيفٌ   كصغـارِ الأيتـامِ في يـومِ عيد
وإذا بالزمـانِ يعطُـو كَسـيحاً   كأسـيرٍ يُسـاقُ نِضْـو القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّـماءَ والأرضَ، مَرْضَى   بَرِمَـاتٌ بِثقلـةِ العُـوَّادِ! [1]
وترى السُّـحب في السماءِ تغشّى   ناظرَيهـا كَصَفْحَـةٍ مِـنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيمِ منَ الحُزْنِ   ثَكُـولا تَسْـربَلَتْ بالحِـدادِ
والفَنَـاءُ المريـضُ، طَـافَ عليها   طائـفٌ مِنْـه في ثَنَايـا الرُّقَـادِ
كلُّ شَـيءٍ يرنُـو إلى كلِّ شـيءٍ!   كسـجينٍ يَرْنُـو إلى الجَـلَّادِ

* * *

مَأتَـمٌ صَامِـتٌ يُهـوِّمُ فيـه   شَـبَحُ اليأسِ والقُنُـوطِ العَقيمِ
ليـسَ مـوتٌ وليـسَ ثَـمَّ حَياةٌ   كُلُّ شـيءٍ في صمتِه كالسَّـقيمِ
والوُجُـومُ الـذي يُغشِّـى عليها   كاسِـفَ البالِ مُمْعِنٌ في الوُجومِ!
وخُفُـوقُ الأرواحِ أبْطَـأُ نَبْضـاً   كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّديمِ [2]
أسْـبَلَتْ عَينَهـا الحيـاةُ سَـآما   واسْـتَنَامتْ لليأسِ والتسـليمِ!

* * *

١- العوّاد: مفردها عائد: زائر المريض.
٢- السديم:الضباب الرقيق

الجبار العاجز*

على إفريز محطة القاهرة، أنزل قطار الصعيد، كتلة بشرية، تتنزى وتتلوى؛ وتصرخ في حشرجة مفزعة. هذه الكتلة هي بقايا رجل متحطم؛ صار أشل، يتنزى الصرع فيه، وتتلوى صرخاته؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَته أن هذا العجز ليس أصيلاً فيه، وأن له ماضياً جباراً؛ في ناحية من النواحي؛ وأنه يألم أكثر ما يألم؛ لهذا العجز الطارىء الجديد.

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ ... وتَنَزّي الداءُ فيه والألم

ودَوّتْ من فيه تعوي صَرْخَةٌ ... تَتَلَوّي فيه حتى تَحْتَدِمْ

صَرْخَةُ الجبارِ يَشكُو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشّكْوَى وإهوانَ الرَّغَمْ[1]

يَشْتكى العجزَ وما يُؤلمهُ ... فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرم

يَشْتكى العجزَ الذي أقعدَه ... عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يُقْتَحَمْ

تسمعُ القوةَ في صَرْخَتِه ... مِن وَراءِ العجزِ تَدْوِي فَتُصِمْ

ويَهمُّ البأسُ في أشلائِه ... ناهضاً؛ لكنما العجزُ جَثَم

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٣

١ – الرَّغم: الإلجاء.

أَيُّ معنى تَحتوِي صَرْخَتهُ ؟   أَيُّ ماضٍ في ثَنَاياها ارْتَسَمْ

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به   في عِنَادٍ شامخٍ حتى انحطم

هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه   جَلْجَلاتٌ، وهَزيمٌ؛ ورُجَمْ[١]

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِمٌ   لا يهابُ الموتَ فيما يَعْتَزِمْ

هو ماضٍ! أَيُّ ماضٍ ؟ يا لَه   مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ

* * *

١- الهزيم : صوت الرعد.

ناحت الصخر
أو
«الفاعل»*

لِمَنْ طَرْقَةٌ خرْسَاءُ صَمّاءُ تُعْوِلُ ... أَقضَّ بها النُّوَامَ في الفجرِ مِعْوَلُ؟(٢)

لذلكم الصَّخّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ... ولمّا يَزَلْ لليلِ في الصبْحِ مَدْخَلُ

أَكبَّ على تحطيمِه وانتحاتِه ... كَراجٍ له في ذلك الصَّلْدِ مَأمَلُ(٣)

يُطَوِّحُ في عُرْضِ الفَضاءِ ذِراعَه ... ويهوِي على الصَّمّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ

ولكنَّها تَلْقاه صَمّاءَ لَمْ تَلِنْ ... وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ

يدورُ حَوالَيها لِيُدْرِكَ مَقْتَلاً ... وهَيهاتَ في الصَّلدِ الأصَمّاءِ مَقْتَلُ

ويَغمِزُها غَمْزَ الخبيرِ ويَنْثَني ... يحاوِلُ ما أعياه، لا يَتَحَوَّلُ

وقد جاشَ في أعضائِه كلُّ نابضٍ ... وسالَ دَمٌ في صورةِ الماءِ يَهْطِلُ!

وحينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعدَ طَرْقَةٍ ... تَفتَّتَ تحتَ العَزْمِ ما كانَ يَصْمَلُ(٤)

فأرخي ذِراعَيْه، وأسْنَدَ جِسْمه ... إلى مِعْوَلٍ؛ نَضّاه للكدحِ مِعْوَلُ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٢٤.

١- الفاعِل: كلمة متداولة تعني (العامل)

٢- تُعول: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

٣- الصّلد: اللب الأملس الشديد.

٤- يصمل: ما يكون ضخماً صُلباً.

تَسيلُ جُهودٌ أو دِمَاءٌ نَقيةٌ ... لِيُنْصَبَ تِمْثَالٌ ؛ ويُرْفَعَ مَنْزِلُ

وما نَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشّقَيِّ ... وليسَ له في ذلك القصرِ مَوْئِلُ!

ولكن قُصارَاه شَرابٌ ولُقْمَةٌ ... ومَأمَلُه في ذلك الصَّلْدِ مأكلُ!

قِفَارٌ كمثلِ الصَّخْرِ أسودَ كالحٍ ... وأفراخُه كُثْرٌ؛ وأنْثَاه مُطْفِلُ[1]

فإن كانَ إكليلٌ فهذا جَبينُه ... وَإنْ كانَ تمثالٌ فهذا المُمَثَّلُ

ويا رحمةَ الإنسانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي ... أمامَ بني الإنسانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ!

* * *

١- أنثاه مطفل: لها طفل رضيع.

حلم النيل*

هَازَجَ بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهو يَمْضِي إلى مَدَاه البَعيدْ

ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نَشيداً، فيَا لَه مِنْ نَشيدْ!

يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ، ويَشْدُو بكلِّ هَذَا القَصيدْ

منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَديمٍ جَديدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَا نيلُ سَعيدٌ بِحُلمكَ المَعْهُودْ

يَنْبُتُ الزَّهرُ في خُطَاكَ بَهيجاً ذاك حُلْمٌ تَأويلُه في الوُرُودْ

* * *

* نشرت في تشرين الأول(أكتوبر) ١٩٣٨.

وداع الشاطئ
من الفردوس إلى الجحيم*

أُحْلُ يا شَــطُّ ما تَشَــاءُ فإنّي   رَغمَ ســحرِ الجمالِ والمــوجِ رَاحلْ
رَاحِلٌ حَشْــدٌ نفْســه لفَتَاتٌ   ليــسَ عــن فتنــةِ الجمــالِ بغافلْ
قــدْ دَعَتْــهُ إلى الرّحيــلِ ديارٌ   في صَميــمِ الجحيم تُدْعي الشَّــواغلْ
هي قبرُ الآمــالِ والفنِّ والحبِّـ   ــب وقَيدٌ عن كلّ ما شــاقَ شَاغلْ
وهي دَارى التي دَرَجْتُ عليها   وإليهــا المــآبُ مَهْمــا أُحــاوِل !

* * *

أُحْلُ يا شــطُّ بالجمــالِ طَليقاً   مــن قُيودِ الزمــانِ نَشْــوانَ واهلْ
أَسْــكَرَتْهُ الأمواجُ وهي تُزجّي   دَفَعــاتِ الحيــاةِ في كلِّ نــازلْ
فــيَرى نفْسَــهُ خفيفــاً غريراً   قاهــراً قــادراً يجــوزُ الحوائــلْ
دَفَعَاتُ الحياةِ في المَوْج أَسْــنَى   مــن بَريقِ الآمــالِ في نفْــسِ آملْ

* * *

أُحْــلُ ياشــطُّ بالعَرائسِ حُوراً   سَــابحاتٍ والمــوجُ ظمــآنُ نَاهــلْ
كانْفتَــالِ الحيتانِ في البحرِ وَثْباً   وانثنــاءِ الغــزْلانِ والشــطُّ ذَاهلْ
فتنــةٌ تَسْــكُبُ الحيــاةُ عليها   ســحْرَها والعيــونُ حُــورٌ قَواتِــلْ

* * *

واندفاعُ الأمواجِ يُوقظُ في النَّفْـ   ــس ظَمــاءً مُرَقْرَقــا في الدّخائل
وانطلاقــاً من التَّزَمُّــتِ والعُرْ   فِ وشَــوْقاً إلى المباهــجِ واغــلْ
أُحْلُ يا شــطَّ لن نُطيــقَ انفلاتاً   مــن رَحيــلٍ إلى جحيمِ الشّــواغلْ

* نشرت في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٠

الوادي المقدس*

علـى ضفـاف الخلـودْ وفي شـعاب الزمـنْ
والدهـر يحْبـو وليـدْ قـد كان هـذا الوطـنْ

* * *

يـا فجـرُ مَـنْ ذا رآكْ تجـولُ تلـكَ السـماءْ
وليـسَ حَـيٌّ سِـواكْ تُهـدى إليـه الضيـاءْ؟

* * *

رأتْـكِ تلـكِ الضِّفـافْ رأتـكَ تلـك البُـرورْ[1]
رأتْـك قبـلَ المطـاف وأنـتَ طفـلٌ غريـرْ

* * *

وشـبْتَ والدّهـرُ شَـابْ وحنّكتْـك الحيـاةْ
والنيـلُ بـادي الشـبابْ والزهـر يَقْفـو خُطـاهْ

* * *

يَنْسـابُ مثـل النّغَـمْ في عَـزف نـاي طـروبْ
وكانسـيابِ الحُلـْمْ تُضْفـي عليـه الغيـوبْ

* * *

خريـرةُ صِلَـواتْ مُعطَّـراتُ النشـيدْ
وموجُـهُ أغنيـاتْ مُرتّـلاتُ القصيـدْ

* * *

يـا نيـلُ كـم مـن شـراعْ يـا نيـل كـم مـن سَـفينْ
أسْـلَمْتَها للـوَداعْ علـى مَـدارِ السّـنيـن

* * *

---

* نشرت في أيار(مايو) ١٩٤٤.

١- البرور: مفردها البَرّ(الشاطئ)

يا نيلُ كَمْ من جُموعْ ماجَتْ بتلك الضفافْ
يا نيل كم من زروعْ وذي وذي للقطاف

* * *

وأنتَ صنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكلّ عَامِ تعودْ مُجدّدَ الأيام

* * *

تجرى فتجرى الحياة ويُمْرعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرَحُ القُطْعان

* * *

ويَنشطُ الزرزورْ يجمّع العيدان
لعشّه المعْمُورْ بفرخه الوَسنان

* * *

أكادُ خلفَ القرون أُحسُّ ركْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعينُ فيَ موكبٍ للربيع

* * *

قد شَمّروا للحصاد وخَلّفوا أمشير
في فرحةِ الأولادِ تسابقوا للبكور

* * *

وموكبٌ للرّواحْ في كلّ يوم يؤوب
يزفّه الفلاحْ على مَدارِ الغروب

* * *

من الحقول المّريعة إلى الحمى والدّيار
تضمُّ فيه الطَبيعةْ أبناءَها الأبرارْ

* * *

لُحُونُه من صياحْ ومن رُغاءِ النَّعَمْ(١)
ومن رجيع النُّباحْ ومن ثُغاءِ الغنمْ

* * *

على مَدارِ القرونْ يسيرُ فيه الرُّعاهْ
كأنهم خالدون ما بُدِّلُوا في الحياةْ

* * *

أُحبُّ فيك الخلودْ يا أيُّها الوادي
أحب فيك الصمودْ للقاهرِ العَادي

* * *

تَصبُّ فيكَ الوفودْ وأنت يقظانُ ساهرْ
تصوغُهم من جديدْ كأنما أنتَ ساحرْ

* * *

يا مَهبطَ الأسرارْ من الغيوب العميقَةْ
يا موطنَ الأسحارْ من القرونَ السحيقةْ

* * *

يَأوي إليك الزمانْ خوف البلَى والفَناءْ
يأوَي لحصن الأمانْ فيستمدُّ البَقاءْ

* * *

ووجهك الفَتَّانْ بلونه الأسمرْ
يا طالما يَزْدانْ بزرعك الأخضرْ

* **

ترنُو له عيناي في فتنة العاشقْ
يا أرضُ يا دنياي يا آيَةَ الخالقْ

* **

يا أرضُ كَم تَحْلُمين بالزهر أحلامَ شاعرْ
رُؤاكِ طول السنين يا أرَضُ ، تلك الأزاهرْ

***

وريحك المعروفْ يشمُّه أَنْفي
فيَ خاطِري مألوف مميز العَرْف

***

يا أرض، هذا الصعيدْ مقدسٌ في ضميري
سَرى عليه الجدودْ وأخلدوا للقبورِ

***

يكادُ فَرْطُ الحنينْ إليهمُ فِي شُعوري
يردّهم شاخصين إلى خلف الدهوَرِ

***

يا أرضُ سرٌّ دفينْ مُغيَّبُ في ثراك
يَرُدُّنا مُوثقين إليكِ أسرَى هواكَ

* **

هــذا الثــرى المنثــور في صفحــة الــوادي
عرفتــه في الضمــير رفــات أجــدادي

* * *

يِــا أرض. هــذا النشــيد مــن وحيــك العبقــريّ
فاقْضِــي لــه بالوجــود بســرّك القُدُسِــيِّ

* * *

في ليلة من ليالي الربيع*

فِي الجوّ رائحةٌ تُوسْوسُ فِي الحَنايا والصُّدُورْ
نَشْوانةً خَدرَتْ يُعاوِدُها التوثُّبُ والفُتُورْ
فَتهيمُ كالشَوقِ المجنَّح فِي مَتاهَاتِ الضَّميرْ
وكأنَّ رائحةَ الحياةِ تَدَبُّ فِي عَبَقٍ مُثيرْ

* * *

وأحسُّ بالنغماتِ سَاريةً تَرَقْرقُ فِي الدّمَاءْ
كهُتَافِ مشتاقٍ تَولّه لا يكفُّ عَن الدُّعَاءْ
الأرضُ تَفْتنُه ويَرْنُو فِي ابتهالٍ للسَّمَاءْ!
والصّمتُ يَغْمُرُه وفِي الأحْنَاءِ وسَوْسَةُ الغنَاءْ!

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمأ المُغَلْغَلُ للحياهْ
وهَواتفُ الدُّنيا إلى القُبَلِ المُليحةِ فِي الشّفَاهْ
وتَرَقْرُقُ الخُرّقَاتِ فِي شَغَفٍ يَهيمُ إلى مَدَاهْ[1]
وتطلُّع الصُّوفيّ فِي شوقٍ إلَى ذاتِ الإلَه!

* * *

هو ذا الربيعُ وإنّه لَهوُ الهَواتف والحَنينْ
أبَداً يَهيجُ إلَى عَوالِمَ تائهاتٍ لا تَبينْ
ويُهَدْهِدُ الأحلامَ والذّكرَاتُ شَتّى والفُنُونْ
فإذَا الحَياةُ هوىً يَرفُّ وفتنةٌ وشَجىً دفينْ

* * *

---

* نشرت في آب(أغسطس) ١٩٤٥

١- الخرقات : نوع من العصافير.

جمال حزين*

أجَلُّ من الحُزْنِ والمأتَمِ   جَمالُكِ. إنْ كُنْتِ لَمْ تَعْلَمي!

وَقَدْ دار حول الجبين الخمارُ   تَشَعْشَعَ°° كالليلِ بالأَنْجُمِ!

كما أَرْسَلَ الصبحُ لآلاءَهُ   بَريئاً من الصّبْغِ كالعَنْدمِ![1]

وفي شَفَتَيْكِ الجَنَي والرَّحيقُ   ولكن طَهُرْتِ فَلَمْ تأثَمي

وكَفَّكِ في الصمتِ حُزنٌ شَفيفُ   سِوى قُبْلةٍ وصْوصَتْ في الفَمِ![2]

وفِتْنَةُ هذا الجَمالِ العَميقِ   وطُهْرٌ نَماكِ إلى مَرْيَمِ

* * *

هُو الحِلْمُ بينَ ضِفافِ الجنَانِ   يَرِفُّ على ثَغْرِكِ المُلْهِمِ

ويَطْرُقُ عَيْنَيكِ في سَبْحَةٍ   إلى عالمٍ شَاعِريٍّ ظَمي

تَحجَّبَ بينَ شِعابِ الغُيوبِ   وأومَضَ في قلبكِ المُفْعَمِ

ضَميري يُحِسُّكِ أُغْرُودةً   على شَفَتَيْ خاطرٍ مُبْهَمِ

* * *

---

* نشرت في كانون الثاني(يناير) ١٩٤٨.

١- العندم: صبغ تختضب به الفتيات.

٢- وصوصت: ضيقت ويقال: وصوصت المرأة: ضيقت نقابها فلم ير منه إلا عيناها ، والمراد هنا قبلة سريعة خفيفة.

الرثاء

ودمُ المختار ما زالَ نديّا

يستحثُّ الخانعينَ الضُّعَفاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليوم

يدعو مَنْ يجيبونَ الدُّعاء

وحي الخلود*

المـوتُ مرحلـةُ الخلـودِ والذِّكْـرُ عُمْـرٌ لا يَبيـدْ
فـإذا انتهـى أجَـلُ العظيـم فَذِكْـرُه أجـلٌ جَديـدْ
مـاتَ الزعيـمُ ولم تـزلْ آثـارُه تُحْـيي الجنـودْ
وَمضَـى شـهيداً طاهـراً يـا نعْـمَ ذَيَّـاك الشـهيدْ
هـو عَلَـمَ الشـعب الجهـا دُوأيقـظَ القـومَ الرُّقُـودْ
هـو كانَ رَوحـاً بينَنـا يَحيَـا فُيُحْـيي مَـنْ يُريـدْ
هـو كانَ كالأمـلِ المُضـى ء وكانَ كالجـدِّ السـعيد
هـو قـد حَبَـا الأشـبالَ مِـنْ عَزَمَاتِـه بـأسَ الأسـودْ
فـإذَا مَضَـى الأسـدُ الهصـو رُ فَخَلْفَـه أَسـدٌ عَتيـدْ
وإذا خَبَـا الـرأيُ الرَّشـيـ ـدُ فَخَلْفَـه رأيٌ رشـيدْ
يـا سـعدُ أدْمنـتَ الجُهـو دُ فحسـبُنا تلـك الجُهودْ

* * *

نَـمْ مطمئنـاً بعدمَـا عَلَّمْتَنـا معـنى الوجـودْ
الشـعبُ بعـدَك لم يَعُـدْ يُثْنِيـه وَعـدٌ أو وَعيـدْ

---

* نشرت في نيسان (إبريل) ١٩٢٨.

الشعبُ لا يرضى القُيوَدُ ولم تنلْ منه القُيودْ
الشعبُ نَصَّبَ[٧٥] مصطفاكَ وكاتمَ السِّرِ الودُودْ
وهو الأمينُ على العهودِ فما يخُونَ وما يَحيدْ
يا أيُّها الخَلَفُ العظيمُ ويا أخا الرأي السديدْ
الشعبُ خَلْفَكَ كُتلةٌ في مَوقفِ الهولِ الشديدْ
أقْدِمْ على الخَصْمِ العَنيدِ يَحُوطُكَ الجيشُ العتيدْ
مُسْتَلْهِماً وَحْيَ الفقيدِ فإنه وَحيُ الخُلودْ
إنَّ الحياة لِمن صَحَا ليستْ لعُشّاقِ الهجُودْ

* * *

الذكرى الخالدة لسعد العظيم*

هـــي هذه الذكـــرى لثالــثِ عامِ حَثَّــتْ رَكائبَهــا يــدُ الأيــامِ؟
هي هذه ذكــرى الخُلُــودِ ورَمْزه وشــعارُه الباقي علــى الأعوامِ
ذكــرى البُطولةِ والزمــانُ يَحفُّها بجلالِــه فتجــلُّ في الأفهــامِ
جــاءتْ تُحَدِّثُ في جَــلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفــةً بمــرارةِ الآلامِ
بَيْنَــا تُذَكِّــرُ بالحيــاة إذا بهــا تَرْنُــو مُحَدِّثــةً بِطَــرْفٍ دَامِ[1]
مَمزُوجة الألــوانِ تعصِــفُ تَارةً وتعــودُ هَامِســةً بَوحْــي سَــامِ
هي كالخلــودِ المحض غــيرَ محددٍ وهــي اليقــينُ يَبُــضُّ بالأحلامِ
وهي النفــوسُ حَيالَهــا في رَوْعةٍ أخّــاذَةٍ مَســحورةِ الإلْهــامِ
مَشْــدُوهَةً مــا إنْ تَفيــقُ وحولَها زُمَــرٌ مــن الأشــباحِ والإلهــامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَــاعِرَةَ الحَشَا في غمــزةٍ تَطْغَــى وفيــضٍ طامِ
هي هــذه الذكــرى وذاكَ جَلالُها تَحْنــي لِرَوْعتِهــا أعــزَّ الهــامِ

* * *

أمْضَــتْ ثلاثــاً كالقــرومِ طويلةً سُــودَ المفارقِ جُلِّلَــتْ بقَتَامِ[2]
عَصَفَــتْ بمصرَ الحادثــاتُ كأنّها كانــتْ مُهيَّــأةً علــى الأقــدامِ

---

* نشرت في آب (أغسطس) ١٩٣٠

١- بطرف دام: طرف: نظر، دام: من الدم والمراد: نظرة أسى وحزن.

٢- القتام: الغبار الأسود.

ومَشَــتْ بها هُوجُ الرِّيــاحِ جريئةً تَجْــري لغايتهــا بغــيرِ زِمــامِ

وعَلَــتْ بؤوسٌ كــنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ مــن عــيرٍ بــكلِ مَقَــام

هم قَد دَعَا دَاعِي الغرورِ فأســرعُوا وهــم ارتضَوْا من دَهْرِهم بحُطَامِ

ودَعَاهُم الوطنُ الكــريمُ فأعْرَضُوا وتَســلَّلوا للخَصْــمِ غــيرَ كِرَامِ

هدمُــوا من الدســتورِ ركناً قائماً وتعلّلــوا بالــزُّورِ والأوْهَــام

وتَصيَّــدُوا للشــعبِ كلَّ مَســبَّةِ كيــدَ العــدوِّ وطعنــةَ الأخْصَام

لولا جــلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثَامِهــم مُستَبْشَــعَ الآثَــامِ!

***

يا ســعدُ والذكرى تُثِيُر شــجوننَا وتَهدُّنَــا بالعــزمِ والإقْــدامِ

وتُطِــلُّ روُحُكَ في جــلالٍ صامتٍ يُــزْرِي بــكلِّ إشــارةٍ وكلامِ

يا ســعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَــةَ مِنْهــا تقــومُ بواجــبِ الإكْرامِ

وتَــزُفُّ أنفــاسَ النَّســيمِ رقيقَةً تَسْــرِي مــزودةً بــكُلِّ سَــلامِ

يا سعدُ شخصُك في القلوبِ مُجَسَّمٌ في كلِّ تِمثــالٍ هنــاك مُقــامِ!

إنّ الــذي يحــيى مَشَــاعَر أُمَّــةٍ تحييــه بــالأرْواحِ لا الأجْســامِ

***

يــا أيُّهــا الثَــاوِي وفي تــذكارِه وَحْــي الخلــودِ وآيــةُ الإلْهامِ

اليــوم تُذْكَــرُ والجَــلالُ مُخيِّمٌ والصمتُ يبعث شَــاجِىَ الأنغامِ

وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغَيّبٌ عنا وذكرُك في المشاعرِ نامِ

إنَّا فَقَدْنَا بافتقادِك طلعةً وبَقِيتَ ذكرى خُلِّدَتْ بدِوامِ

في كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بَقيةٌ وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هَامِ[1]

هذا هُو الشعبُ الذي خَلّفَته وسطَ الطريق مُيمماً لأمامِ

هو لا يزالُ مُجاهداً كعهودِه هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعْلامِ

أمّا الألى نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا إلاَّ ولم يَسْتَمْسِكُوا بذِمامِ

فهم البُغَاثُ جَليلُهم وحقيرهُم وهُم الذِّئابُ تَفَجُّعٌ في الإجرامِ[2]

يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ أنتَ الخبيرُ بهذه الأقْزَامِ!

حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفى يقفُو خُطاكَ فكانَ أخْلصَ حَامِ

قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما تبقى الليوثُ عن العرينِ تُحامِي

* * *

١- هام: غزير.

٢- البغاث: ضعاف الطير

البطل*

في مثل هذه الغمرات القاسية، التي تعانيها الأمة المصرية الآن، يمر كثير من الحوادث الجسَام دون أن يثير انتباها؛ لأن الأمة في شغل عنه بما هي فيه؛ في شغل بالنَكبَةَ العامة عن النكبات الجزئية.

من ذلك وفاة السيد (العبيد) رئيس جمعية اللواء الأبيض في السودان؛ ذلك الشاب الجرىء الذي ألَّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصري من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صلة شطري الوطن المفدى، ووحدته المقدسة؛ في جُرْأة عجيبة؛ ورجولة كَاملة؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهِق شديد، ولا بتنكيل وحشي قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقَيد وهو «سياسي» في سجن رطب في بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأحْرَاجُ والمستنقعات، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب، وتحوم حواليها الحشرات القتالة. ثم لم يكتف الاستعمار بذلك «الاستعمار الذي يمثل المدنية!!!» بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه في قطع الأحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات في سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه، ولم يخضع للإذلال.

هذا هو (العبيد) الذي يموت دون أن يشّعر بموته في مصر أحد. والشباب المصري، الشباب التافه الناعم، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضيعة، الشباب الذي فقد رجولته ومميزاته؛ ونسي ماضيه ووقفاته. هذا الشباب في شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه، بل عن الانتباه لكل أمر ذي بال في الحياة!

وهذه القصيدة نفثةٌ من شاب يقضى بها حق الشباب، وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله؛ فإذا كان بالشبانً الآخرين حياة تعمل شيئاً للذكرى كان بها، وإلاّ فحسبي هذه النفثُة الحرّى.

* نشرت عام ١٩٣١.

سَـجِّلي يا أرضُ وارْعَـيْ يا سماءْ مَصْـرَعَ الجبـارِ بـينَ العُظَماءْ

مَصْـرَعُ الجَشَّـامِ مـا إن يَنْثَنـي أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوى السماءْ[1]

يقـفُ الهـولُ لديـه خَاشـعاً وهـو يَلْقَى الهولَ بَسَّـام الرِّضَاءْ

* * *

نـالَ منه المـوتُ ما لَمْ يسـتطعْ نَيْلَـه الغُصَّـابُ في سَـبْعٍ وِلاءْ

عَذّبُـوه ونَفَـوه ومَضَـوا في فنـونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَـاءْ!

أرسـلُوه حيثُ وادِي المـوتِ إذْ لا يَـرى الأحياءُ أطيـافَ الرَّجَاءْ

في مَبـاءاتِ تُـدوِّى بَيْنَهـا جَلْجَلاتُ الموتِ في هَولْ الوبَاءْ[2]

تَصْفُـرُ الرِّيـحُ بهـا مُعْوِلـةً تنـذرُ الأحيـاءَ فيهـا بالفنـاءْ

وأرادُوا والمَنَايـا حَوْلَـه أن يُذِلُّـوا فيـه تلـك الكِبْرِيَاءْ

فمضَـى يَأْنَـفُ في سُـخْريةٍ عيـشَ ذُلٍّ هُـو والموتُ سَـواءْ

لم يقلْهـا: لَفْظَـةٌ، لـو قالَهـا لَقِـيَ النَّعْمـاءَ منهـم والـوَلاَءْ

* * *

ليـتَ أهلَ الأرضِ يـدرونَ بما صنـعَ الغُصَّـابُ بالنفـسِ البَراءْ

أَتُـرى أنْعَتُهـا وَحْشـيةً في ظـلامِ الكهفِ لَمْ تـدرِ الضيّاءْ؟

أظْلِـمُ الوحـشَ إذا شَـبَّهتُه بوحـوشِ الغَـربِ تمتـصُّ الدِّمَاءْ!

١-الجشّام: المتقحّم.

٢- مباءات: الأماكن الموبوءة.

يَفْتِكُ الوحشُ لِيحيَا بينما يَفْتِكُ الغربيُّ حُبًّا في الثَّرَاءْ!
يا شبابَ الشرقِ هذا موقفٌ تَقْشعِرُّ الأرضُ منه والسماءْ
ودمُ المختارِ ما زالَ نَدِيّاً يستحثُّ الخانعينَ الضُّعفاءْ[1]
وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ اليومِ يدعُو مَنْ يجيبونَ الدُّعاءْ

* * *

يا شبابَ الشرقِ والشرقُ إذا لم تكونُوا جُنْدَه ضَاعَ هَبَاءْ
لا يردُّ الحقَّ قولٌ فَارِغٌ تَذْهَبُ الرِّيحُ به عَصْفَ الهواءْ
إنْما يُجْدِي جِهَادٌ عَارِمٌ وخِصَامٌ ونِضَالٌ وعَنَاءْ
إنما يُجْدِي إذا نَبْعَثُها كهزيم[95] الرعدِ تَدوي في الفَضَاءْ
إنما يُجْدِي إذا ما أيْقَنُوا أننا كالغَرْبِ قومٌ أقْوِياءْ

* * *

يا شبابَ النيلِ ماذا؟ وَيْحَكُم! أفأنتم حيثُ يُحييكُم دُعَاءْ؟
يا شباباً نَاعماً مُسْتَأنِثاً كَذواتِ الخِدرِ في ظِلِّ الخِبَاءْ![2]
يا شباباً تافهاً مُحْتَقَراً تأنفُ الأجيالُ منه في ازدرَاءْ
يا شباباً هَمُّه لَذّاتُه فهو يَحيا بينَ كأسٍ وخَنَاءْ

١- هو الشهيد البطل عمار المختار الزعيم الطرابلسي وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل، مخالفين في ذلك كل التقاليد المدنية.

٢- ذوات الخدر: الفتيات الأبكار .

يـــا شـــباباً قَصُــرَتْ آمالْــه كخَشَــاشِ الأرضِ مرمَــاه الغِــذاءْ

يـــا شـــباباً نُكِــبَ النيــلُ بِهِ في الأَمانـــي والتَّعــلاَّتِ الوضَـــاءْ

يا شـــبابَ النيلِ هَــلْ أبْصَرْتُمو في فَتى الســـودان كيفَ الشُّـــهداءْ؟

عُمْـــرُ الإيمـــانِ بالحـــقِ لـــه مهجةٌ حَـــرّى فجـــادتْ بالفِـــدَاءْ

يـــا شـــبابَ النيـــلِ هـــذا مَثَلٌ لجـــلالِ المـــوتِ في ظِـــلِّ الإبَـــاءْ

مـــا يقولُ الشِّـــعُر في هـــذَا ومَا حِيلَـــةُ الشِّـــعرِ؟ وما طَـــوْقُ الرثاءْ؟

موقفٌ جَـــلَّ عن الشـــعرِ فَهَلْ يُكْمِـــلُ التاريخُ بَـــدْءَ الشُّـــعَراءْ؟

* * *

ذكرى سعد*

خَمْــسٌ مَضَينَ تَجُنُّكَ الأســتارُ فيهــا. وقــبرُك كعبــةٌ ومَنَــارُ
في كلِّ مطّلــعٍ وكلِّ ثَنيــةٍ ذكــرى تَزاحَــمُ حولَهــا الأفْكَارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها مجــدٌ تَقَاصَــرَ دونَــه الأنظــارُ
تتصــرَّمُ[٦٠] الأيامُ وهــو مُوطَّدٌ يعنُوالخصــومُ لديــه والأنصــارُ
وكأنّــه عَلَم يُنيــفُ على الورَى ترنُــو إليــه وتَخْشَــعُ الأقــدارُ
وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى في ظلِّــه الأقــزامُ والجبــارُ!

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَــاه من ســعدٍ؟ وكلُّ عظيمــةٍ تَــذْكَارُ؟
هــل كانَ إلاّ في العظائِــم مَوْئلاً في يوم تَشْــخَصُ عنــدَه الأبصَارُ
تَــدْوِي حَواليه الخطــوبُ وتَنْثَني كأشــمَّ يَعْصِــفُ حَوْلَــه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهــولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ غمراتُــه وتَرَاخَــتْ الأخْطَــارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ راضٍ أشَــمَّ كأنّــه المِقْــدَارُ
رُوحٌ تَجِــلُّ عن الحيــاةِ وأهلِها وصروفِهــا، وتَحُفُّهــا الأســرارُ
رُوح البطولــةِ والبُطولةُ طَلْسَــمٌ كالســحر تَدْهَــشُ عِنْــدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْــدَها لمــا دَعَــا ســعدُ الجموعَ فَثَــارُوا

---

*نشرت عام ١٩٣٢

مــاذا أبــركانٌ تَفَجَّــرَ أم تُرى مــوجٌ أشــمُّ أحــمُّ؟ أمْ تَيــارُ

سِــحر البطولةِ أو شُــواظُ لَهيبها يُذْكِــي النفــوسَ فكلُّهــا مِغوارُ

ذكرى تُقدِّسُــها البــلادُ كريمةً وتصــوُن رَوْعــةَ مَجْدِهــا وتَغَارُ

هي بعضُ تاريــخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ تاريــخَ فــردٍ يَنْطِــوي ويُثــارُ!

ذكرى يَحُفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِي بإزائهــا الأحقــادُ والأوزَارُ

ذكــرى تُطِــلُّ كأنَهــا قُدْسِــيّةٌ فالــكلُّ تَحــتَ ظلالِهــا أبَــرارُ

فلتّعْــن للذكرى الجبــاهُ وتَنْحَنِ الهامــاتُ ولتتخَشَّــعُ الأبصــارُ

* * *

طليعة الضحايا*

سَـــجِّلي يا أرضُ وارعَيْ يا سماءْ   مَصرع النَّسْرينِ في جوفِ الفَضاءْ[1]
سَـــجِّليه بمـــدادِ الفخـــرِ لا   بلْ بفيـــضٍ مـــن دمَاءِ الشُّـــهداءْ
مَصْـــرعُ الآســـادِ في آجَامِهـــا   لا كمـــا تَلْقَـــى مَنايَاهـــا الظِّبَاءْ!
سَـــجِّليها رَوعـــةً قـــد مُزِجَتْ   من أسَـــى الحزنِ، ومنْ فَيْضِ العَزَاءْ
وضَحَايـــا المجـــدِ في مَذْبَحِـــه   يلتقـــي اليـــأسُ عليهـــا والرَّجاءْ!
وهـــي القُرْبـــانُ يَفْـــدِي أُمـــةً   إيـــه مـــا أكرَمـــه هـــذَا الفـــدَاءْ

* * *

دَوْمـــاً والريـــحُ في مُعْتَـــرَكٍ   صَاخِـــبِ الأنواءِ، مشـــؤوم العُواءْ
وظـــلامٌ في ظَـــلامٍ مُبْهَـــمٍ   يَخْشَـــعُ الهـــولُ لديـــه والفَنـــاءْ
طَامِـــسُ الآثـــارِ مجهـــولُ الخُطَا   لا دليـــلَ، لا شُـــعَاعَ؛ لا ضيـــاءْ
وهمـــا في جوْفِـــه تَحْدُوهُمـــا   همَّـــةٌ قَعْسَـــاءُ تَأبَـــى الانْـــزِوَاءْ
يَلْطُمـــانِ الريـــحَ إمّـــا لَطَمَتْ   ويَروغـــانِ كأطيـــافِ الهَـــواءْ
أُشْـــرِبَتْ نَفْسَـــاهُما حُبُّ العلاُ   وأرَادَهـــا حيـــاةً في الســـماءْ
قـــد أرادَا؛ وأرادَ اللهُ مـــا   كانَ؛ سُـــبحانَك تُمْضي ما تَشَـــاءْ

* * *

* نشرت عام ١٩٣٢.

١ - هذا البيت لمؤلف في قصيدة سابقة، والنسرين هما حجاج ودوس شهيدا الطيران.

إيهِ يا مِصْرُ عزاءً إنّما أنتِ أولَى بالتحياتِ الوِضاءْ

قد بذلتِ اليومَ ما تَبْذُلُه أمةٌ شَاءتْ حياةَ النُّبَلاءْ

أمةٌ قَدْ أعلنتْ قِسمتَها من صميمِ المجدِ بينَ القُسَمَاءْ!

ودمٌ يُهراقُ في تَضحيةٍ سوفَ يَسْرِي نخوةً بينَ الدِّمَاءْ

* * *

موت سوسو*

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدية، وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه:

لقد هَمَدَتْ في الضُّلوعِ الحياةُ   فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لألاؤهَا في العيونِ   فما ترْمُقُ الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأمَةٌ في حَشَاه   فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ
فَيَا قُرْبَها لَحْظَةٌ في الزَّمانِ   ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عالمٍ صَاخِبٍ   إلى عَالَمٍ صمتُه مُطْبِقُ

* * *

تُقيمِ الحياةَ هُنا مأتَماً   وما إنْ تَني جَزَعاً تَفْرَقُ[1]
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ   بأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ
فجيعتُها في صِغارِ الفراشِ   كموتِ الفتى حادثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ في كُنْهِه واحدٌ   ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد انْدَحَرتْ في صِراعِ الرَّدَى   فحقَّ لَها كلُّ مَا تَخْنَقُ!

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر)١٩٣٨.

١- تني: تضعف.

وتَرْجُــفُ في كلِّ حَــيٍّ إِذَا   أصَــابَ سِــواه الــرَّدَى المُزْهِــقُ
أشِــعَّتُها في جميــعِ النفــوسِ   يُرقْرِقُهــا   مَصْــدرٌ   يَألَــقُ
فــإن مَسَّــه مــا يَغُــضُّ الضياءَ   تَذَبْــذَبَ لألاؤُهــا المُشْــرِقُ[1]
فيــا دَمْعَــةً رَقْرَقَــتْ في العيون   لأنــتِ الحيــاةُ هَمَــتْ تَدْفُــقُ
يَعِــزُّ على النفــسِ فَقْــدُ الحياةِ   فَتَجْــزَعُ للمــوتِ إِذْ يَطْــرُقُ

* * *

١- الحياة وحدة في جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسَّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته.

الزاد الأخير*

زَوِّدِيــني مِــنَ الرَّجــاءِ الأصيلِ مُشْــرِقاً فيــكِ في المُحَيَّــا الجميلِ
أَنْــتِ كَنْزٌ من الطَّلاَقَةِ والبِشْــرِ ودُنْيــا مِــن السَّــنا المَعْسُــولِ
خِفَّــةُ الطَّيْرِ وانطِــلاقُ الأماني بعــضُ مَا فيكِ وانطلاقُ السُّــيولِ
وَهَــجٌ يُبْهِــرُ النُفُــوسَ ويُزْكِي خَفَقَــاتِ القُلــوبِ عِنــدَ المُثُولِ
ذَخَرَتْــكِ الحيــاةُ كَنْــزَ حَيَــاةٍ ورَصيــداً لِمَالِهــا المبْــذُولِ!

* * *

زَوِّدِيــني لَــكَادَ يَنْفَــدُ زَادِي في صِــرَاعٍ مِــنَ الحيــاةِ طَويــلِ
كادَ يَخْبُــو المِصْبَــاحُ إلاّ بَصيصاً فاسْــكُبِي الزيتَ في بَقَايــا الفَتيلِ
كُنْــتُ كالجَــذْوَةِ المُشِــعَّةِ نُوراً وهــي اليــومَ في طَريــقِ الأفُولِ
فيــكِ زَادٌ يَقُوتُنَــا ويَقِينَــا عَثَــرَاتِ الطريــقِ بــينَ التُّلُــولِ
أنْتِ لا غيرُكِ القَديــرةُ أنْ تُزْكِي حَيَــاةً بِخَاطِــرِي ومُيولــي

* * *

حينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْــرُ نَفْســي بِرَجَــاءٍ مُشَعْشَــعٍ مَوْصُــولِ
وأرَى عِبْئِــي الثقيــلَ خَفيفــاً وأرى نَاهِضــاً بِعِبْئِــي الثَّقيــلِ
وكَأنّي استَشْــعَرْتُ رُوحَ شَبابي وَرَجَّعْــتُ الزَّمَانَ صَعْــبَ القُفُولِ
فَأعيــدِي إلَيَّ مَاضِــيَ عُمْــري واغْمُرِيــهِ بالبِشْــرِ والتَأميــلِ
واطْلُعِــي في قِفَارِ نَفْســي حياةً وإذَا مَا دَجَــى عَالَمي أوَ مَضِي لِي

* * *

---

* نشرت في تموز (يوليو) ١٩٤١.

نوسة
أو
شطر من العمر*

نوسه قطة صحبتني اثني عشر عاماً، تحتل مكان الطفل الحبيب، وتشغل فراغه من نفسي وزمني، وتمنحني من الودّ والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة، ثم ماتت بين يدي...

أغْمضي عينيك قد آنَ الأوانُ ودَعيني نهبةً للشجَنِ
وَأمَنّي دُنياك في آتي الزمانِ ودَعيني لُعْبَةً للزَّمَنِ!

* * *

هذه كَفّي وقد مرّتْ عليكِ في حَنانٍ وارتياعٍ وولُوعِ
لمْ تحُسّيها ولم يَنبِضْ لديكِ قلبيَ النابضُ من بينِ الضُلوعِ

* * *

هذه الكفُّ التي كَمْ دَلّلَتْكِ وسَّدَتْكِ اليومَ أطباقَ الثّرى[1]
أيُّ حاليْها ترى أحنَى عليكِ؟ ليتني أدْري. ومن فينا دَرَى؟

* * *

ذلكَ الصّوتُ الذي تَرْتقبينَ قَدْ دَعاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجابْ
قد دعاكِ. إنّما لا تَسْمَعينَ أُسْدِلَ السّتْرُ وقد عَيَّ الجوابْ

* * *

---

* نشرت في تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩٤٢.

١- وسدتك: جعلت تحت رأسك الثرى.

أنَا يا «نُوسَــةُ» والعهــدُ قريبٌ   مُوحِــشُ النفسِ شَــجِيٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قــد خَلا في ذلكَ القلــبِ الغريبِ

* * *

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذي قد عِشْتِ فيه   مِــنْ حَياتــي مَوْضِعــاً للحَدَبِ
مَا مَضَى مِــنْ دونِــه أو مَا يَليه   غربــةٌ تَقْسُــو علــى مُغْتَــرِبِ

* * *

إنــني أبْكِيكِ يــا ظلَّ الشــبابِ   إنــني أبكيــكِ يــا طيــفَ البنينْ
رُفْقَةٌ طالــتْ على خيرِ اصطحابِ   لَــكِ عَطْفِــي ولَي الــودُّ المكينْ

* * *

لم يكــن ودٌّ بُطُــونٍ وطعــامِ   إنمــا وُدُّ اصطحــابٍ ووَفــاءِ
طَالَمَا آثَــرْتِ إنْ غِبْــتُ الصيامَ   أو تَلُوذِيــنَ بصَمْــتٍ وانْــزِوَاءِ

* * *

فــإذَا عُــدتُ فَوَثــبٌ ومُــواءٌ   نَاطِــقٌ بالشــوقِ أو بالفــرحِ
وألاَعِيــبٌ وخَمْــشٌ والْتِــوَاءٌ   وتَثَــنٍ   نَاطــقٌ   بالمَــرَحِ

* * *

طَالَمــا نَادَيْتِنــي عَــذْبَ النِّداءِ   في وَدَاعٍ حــينَ أمْضِــي أو لِقَــاءْ
في صبــاحٍ حينَ أصْحو أو مَسَــاءٍ   بوثُــوقٍ   واعتــدادٍ   وذَكَاءْ!

* * *

طَالَما أحْسَسْتُ أنّي لكِ وَحْدَكِ لا تطيقينَ شَريكاً أو شَبيهاً
طالما وَطَّأتِ في حِجْري مَهْدَكِ فَعْلَةُ الطفلةِ في حُضْنِ أبِيهَا

* * *

كنتِ لي كلّكِ في هذي الحياةْ أينَ مَنْ ألقَاه فيها لَي كُلُّهُ؟
كُلُّ مَنْ ألْقَى لهُ فيها هَواهُ ولهُ آمَالُهُ فيها وشُغْلُهُ!

* * *

قد خَلا حُضْنِي وكَفِّي وذِرَاعِي قد خَلا قَلْبِي مِنْ هَذا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعا الموتُ فأصْغَيْتِ لداعٍ مَنْ دعَاه لم يُعقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أنَا يا «نُوسَةُ» أمْضِي والليالي وخَواءُ الموتِ يَغْشَى عَالَمِي
رَسْمُكِ الشَّاخِصُ يبدُو كالخيالِ أو كَحُلْمٍ في ضميرِ الحَالِمِ

* * *

وخَيالاتُكِ في كلِّ مَكانٍ شَاخِصَاتٍ تتَراءى للعَيانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ على خَطْوِ الزمانِ هَاهُنا كنتِ وقَدْ كَانَ وكانْ

* * *

هذه أنْتِ إلى حُضْني أوِيْتِ هذه أنتِ أمامي قَدْ رَبَضْتِ
هذه أنتِ على صَدْري وَثبْتِ لهفَ نفسي! أينَ أنتِ أينَ أنتِ؟

* * *

ها هُــو الصبــحُ فأيــنَ الوَثَبَاتُ   هــذه كَفّي فأيــنَ اللّمسَــاتْ؟
ها هــو الأكلُ فأيــنَ الهَمْهَماتُ؟   أينَ أينَ؟ كلٌّ ما قَــد كَانَ فَاتْ!

* * *

أيــنَ قِطّاتُــكِ في الحِــرْزِ الأمينِ   مَــنْ دَنَــا منهــا عليــه تَثِبِــيْنْ
غــير أنّــي لِــيَ وَحْــدِي تأمنينَ   وإِذَا مُسّــتْ فَبِي تَســتَنْجِدين؟

* * *

سَــكَتَ الصوتُ وقــد كَان غِنَاءً!   سَــكَتَ الوَثْبُ وقَــدْ كَانَ مَضَاءْ
وامتــلاءُ البيتِ قد أمْسَــى خَواءَ   كلُّ مَــنْ فيه قــد اسْــتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هــا هُنا كنتِ؟ أمَــا هذا ضَلالٌ؟   وتهاويــلُ خَمَّــارٍ أو خَبَــالْ؟
لم يكــنْ شَــيءٌ ولم يَطْــرَأ زوالٌ   كلُّ مَــا كَانَ خيــالٌ في خيــالْ!

* * *

ضَلَّــةٌ للنــاسِ في آمالِهــا   والمَنَايــا رَابِضَــاتٌ بالوَصِيــد
زُمَــر تَمضِــي إلى أَجَالِهــا   والذي يَحيــا يُرَجَّــى في الخلود!

* * *

صدى الفاجعة *

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم. ثم هأنذا أعاني من الفجيعة فيه كأنها فجيعتي الخاصة... فيا ويحَ لأولئك الذين عاشروه، فأحبوه ووارتحتاه لهم كيف يعيشون...؟

جَفّ الرِّثاءُ بخاطري المَفْجوعِ   وَصَمَتُّ لا أفضي بغيرِ دُموعي
إني ذُهلتُ عنِ المُصابِ بوقعه   حِيناً، ذُهولَ الوَاهمِ المَخْدُوعِ
فظَللتُ أنْصتُ للرجاء، وأتّقي   صوتَ اليقينِ الفَاجعِ المَسْمُوعِ
أيَمُوتُ؟ كَلاّ! لا يموتُ وهذه   مصْرُ تُرجّي نَجْمَه لِسطُوعِ
أيموتُ والأحداث تَهْتِفُ باسمه   أتكونُ تلكَ هُتافَةَ التوديعِ؟
قُلْ أيُّها النّاعي سِواهُ؟ فما أرى   أنّي — وإنْ جاهَدْتَني — بسميعِ!

* * *

واويلتاه! أإنّها الحقيقةُ جلّتْ عن الإيجافِ والترويعِ؟[1]
صمَتَ الذي قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجّةً   وتحدَّثَتْ طعناتُه بنَجيعِ[2]
مُتفجّراتٍ بالدِّماءِ كأنّها   كلماتُه في قوةٍ ونُصوعِ
كلماتُه اللائي نَبَضْنَ بِقَلْبه   ودِماؤه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

---

* نشرت في آذار (مارس)١٩٤٥.

١- الإيجاف: من أوجف الشيء: حرّكه،وجف القلب: خفق،قال تعالى﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ والمراد خفقان القلب واضطرابه.

٢- النجيع: دم الجوفز

يا واهبَ الوادي مَريعَ حَياته ما بالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَريعِ؟

يا مانعَ الوادي العزيزِ بنَفْسِه ما بالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنيعِ؟

خَطَفَتْكَ عاديةُ المَنونِ وخَلَّفَتْ وَطَناً يُعالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ

لَهْفي مَكانُكَ ليس يَمْلأُ رَحْبَه إلا الأسى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ

تَخْلو مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأتْ تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسيعِ

وتَلَفَّتَتْ تُصْغي لِصَوْتِكَ هادياً في المُدْلَهِمِّ ورأيِكَ المَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ - يا للهولِ - صَمْتَةَ واجِمٍ ماضٍ لغيرِ تأوُّبٍ ورُجُوعِ

وَاهاً لِمَصْرَ ويا فَجيعةَ أهْلِها في الرائدِ المتفرِّدِ المَتْبُوعِ!

* * *

الوطنيات

تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلكَ طريقُهُ

ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيمّمُوا

وهو الجهادُ حَميّةٌ جَشّامَةٌ

ما إنْ تخافُ من الرَّدَى أو تَحْجُمُ

إلى البلاد الشقيقة*

عَهدٌ على الأيام ألا تُهْزَمُوا ... فالنصرُ يَنْبُتُ حيثُ يُهراقُ الدَّمُ
في حيثُ تعتبطُ الدِّماءُ فأيقنُوا ... أن سوف تَحيَوْا بالدِّماءِ وتَعْظُمُوا[1]
تبغُونَ الاستقلالَ؟ تلك طريقُهُ! ... ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيمِّمُوا
وهو الجهادُ حَميَّةٌ جشّامة ... ما إن تخافُ من الرَّدى أو تُحْجِمُ
إن الخلودَ لِمن يَطيقُ مُيَسَّرٌ ... فليمضِ طلابُ الخلودِ ويُقْدِمُوا
وطنٌ يُقَسَّمُ للدخيلِ هديةً ... فعلامَ يَحْجُمُ بعد هذا مُحْجِمُ؟
الشرقُ يا لَلشِّرقِ تلك دمَاؤُه ... والغربُ يا لَلغربِ يُضْريه الدَّمُ[2]
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا ... حرماته الكُبْرى وكيفَ تهجَّمُوا
غرتُهمُو سِنَةُ الكَرى فتوهَّمُوا ... يا للذكاءِ! فكيفَ قد غَرَّتْهُمُو؟
سِنَةٌ ومرت والنيامُ تيقظُوا ... فليعلمُوا مَنْ نَحنُ أو لا يَعْلَمُوا!
اليومَ فَلْيَلغُوا الدِّماءَ وفي غد ... فَلْينْدَمُوا عنها ولاتَ المَنْدَمُ[3]

* * *

أبطالَ الاستقلالِ تلكَ تحيةٌ ... مِنْ مصرَ يبعثُها فؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنا في الحالِ والعُقْبى معاً ... إخوانُنا فيما يَلَذُّ ويُؤْلِمُ
مِصْرُ الفتاة وما تَزالُ فَتيةً ... تَهْفو إليكُم بالقلوبِ وتَعْظُمُ
في كلِّ مُطّلعٍ وكُلِّ ثَنيّةٍ ... نارٌ من الشرقِ الفتيِّ سَتَضْرَمُ

* * *

---

* نشرت في ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية.

١- تعتبط: من عبطه الموت أي مات شابا صحيحا.

٢- يضريه: يجعله من الضواري .

٣- فليلغوا: من ولغ يلغ: شرب الدماء دون ارتواء. لات الندم: ليستالساعة ساعة اليوم.

مأساة البدارى*

ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالى البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة، وذلك الموقف العجيب الذي وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها.

ما ذلك، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ؟ ويَســيل مِنْ حَنَق حَواليــه الدَّمُ؟
ومن الذي سَــام النفوسَ مَهانةً يَأبَى ويأنَفُها الذلــولُ الأعْجَمُ؟[1]
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً ويُهــانُ منها مــا يُصــانُ ويُكْرَمُ
وكَرامَــةٍ يَشْــتطُّ في تحقيرهــا نَــذْلٌ حقَــيرُ القلــبِ لا يَتَأثَّــمُ
في أيِّمــا بلــد نعيــشُ؟ وأيمــا عهــد يمرُّ على الكَنَانــة مُظْلمُ؟[2]
عهدٌ نُسامُ الخَسْــفَ فيه ونُبْتَلى نقَمــاً إذا قُمْنــا نَضــجُّ ونَنْقــمُ
وَحْشيَّةٌ كَشَــفَ الزَّمَانُ حجابَها لا بَلْ أشَــدُّ من الوحُــوش وأظْلمُ
الوحشُ يَضْــلُ جَائعاً ويَعفُّ عن فَتَكاتــه إذ مَــا يَعــبُّ ويَطْعَــمْ

* * *

يــا أيُّهــا الرُّفَقَاءُ بالحيــوان لا تَنْسَــوْا أنَاســيًّا تَئــنُّ وتَألَــمُ
في مصَر قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً بينَــا يُحَقَّــرُ شَــعْبُها ويُحطَّــمُ!
في مِصَر لا يَلْقَى المسِــيءُ جَزاءَه لا بــلْ يُكافَــأ دونَــه ويُكــرَّمُ
في مِصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من فُحْــش يَعجّ بهــا وفُحْــشٍ يُكْتَم
في مِصَر! لو في مِصْر بعضُ كرامة غَضِبَتْ وفارَ علــى جوانبِها الدَّمُ!

* * *

مــاذا يَعــزُّ على الهــوان نَصونُه؟ لم يبــقَ مــن حُرماتنا مــا نُكْرمُ!
الموتُ! يَا للموتِ! أشــرفُ شِرْعة مِمّــا نُســامُ بــه ومِمّــا نوسَــمْ

* * *

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- الذلول الأعجم: الحيوان.

٢- نعت مقطوع مرفوع في موضع الذم.

صوت الوطنية*

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء.

ضجَّتْ الدُّنيا فماذا تَرْتَقِبْ   مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذي   تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى   حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ منْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعاني سَكْرةً   وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ؟
مِصر. يا مصرُ. وما يُجْدِي البُكا   غضبةٌ يا مصرُ كالليثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ. أو. لا. فادْرُجي   في قيودِ الذلِّ وارضَيْ بالحَرَبْ

* * *

أفهذي مِصرُ أم ماذا أرى؟   أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلبْ
أم تُرى الأيامُ دارتْ دورةً   فإذا الأسْدُ شِياهٌ تُحْتَلَبْ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِي ظَهْرها   كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاء رَكِبْ!
المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَهَا   تُعطبُ السَّائقَ من دونِ العَطَبْ!

* * *

مِصْرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها   لَمْ يَرُعْها الغربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً   كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ اللَّجُبْ[1]

---

* نشرت عام ١٩٣٢.

١- جياش اللجب: مرتفع الضجيج.

أنصتَ الغـربُ لها واستمعتْ أُذُنُ العَالمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ

وأحسَّ الظُّلْمُ منْها رِعْدَةً تتمشى فيه كالرُّعْبِ يَدُبْ

لم ترُعْنا هَجْمَةً مِنْه على رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَطِبْ

سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَدَبْ

وَوَعاها الدهرُ في آثارِه جَذْوةً حمراءَ في رأسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مصرُ ذِكْرى فاذكُري ما تولّى وابْني خيرَ الدّأبْ

أرجعِي الكَرّةَ لا هَيّابَةً واغلبي بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

* * *

المهرجان*

مَـــا هُتـــافٌ ثَـــمَّ في كلِّ مـــكانْ ما دُعـــاءٌ ثَـــمَّ في كلِّ لســـانْ؟
مـــا نَشـــيدٌ تسْـــكُبُ الدنيـــا به أعذبَ الألحانِ في سَـــمْعِ الزمانْ؟
ما شـــعورٌ فَـــاضَ كالوحْـــيَ هَفَا فهفَا الشـــعرُ علـــى كلِّ جنانْ؟
مـــا ابتهـــاجٌ وسُـــرورٌ ورِضَـــا وانطـــلاقٌ في التمنِّـــي والأمانْ؟
مِهْرَجـــانُ العـــرشِ والشـــعبِ مَعاً عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَـــال لي الدهـــرُ – وقَـــدْ راودتُه عَـــن خَفَايـــاهُ فأفْشَـــى وأبانْ:
ليـــس كاليـــومِ جَمـــالاً وسَـــنَىً منـــذُ مـــا كان زمـــانٌ ومـــكانْ
ليـــس كاليـــومِ ابتهاجـــاً ومُـــنى منـــذُ مـــا كانَ ابتـــداعٌ وافتنانْ
غـــيرُ يومـــين وإنّـــي حَافِـــظٌ في سِـــجِلّي كلَّ مـــا كان وبـــانْ
يـــومُ مـيـــلادٍ وفي يـــومِ ارتقـــى عرشَـــه السّـــامي فأعـــلاه وزَانْ
ثم هـــذا اليـــومُ يـــومُ المِهْرَجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ!
أنـــتَ يـــا فـــاروقُ خـــيرٌ خَالِصٌ بيتما الخـــيرُ مشـــوُبٌ في الزمانْ
مـــن ضميرِ الشـــعبِ مِـــنْ يقظته مِنْ منـــاهُ مِـــنْ أغانيه الحِسَـــانْ
صاغـــكَ اللهُ ســـناءً وســـنَى صَانَـــك اللهُ وأعطـــاكَ الأمانْ!!
صَانَـــكَ اللهُ. فَإنّـــا أُمَّـــةٌ تَقْـــدرُ المُحْســـنَ في غـــيرِ امتنانْ
كلّ يـــوم أنـــت فيـــه مِهرجـــان عاشَ فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ!!

* * *

* نشرت عام ١٩٣٨م

أنـــت في مِصـــر قُـــوىً كامنـــةٌ   منذ كانت مصرُ شـــعباً ذا كيانْ
يُســـلِمُ الجيـــلُ إلى تَابعـــهِ   هـــذه القـــوةَ تَذْكُـــو وتُصـــانْ
والليـــالي مُرهِصَـــاتٌ والدُّنـــا   تَرْقُـــبُ الميـــلادَ آنا بعـــدَ آنْ[1]
ثمُ شَـــبَّ الشَّـــعْبُ في نهضتـــه   ناضـــجَ الفِكْرَةِ مشـــبوبَ الجَنَانْ
فـــإذا فـــاروقُ في طَلْعَتِـــه   تهتفُ البشـــرى على كلِّ لِســـانْ
ثم كان اليـــومُ يـــومَ المِهرجـــان   عـــاش فـــاروقٌ، ودام المِهْرَجانْ!

* * *

أنـــت صِنْـــوُ الشـــعبِ في تاريخه   كنـــتَ منه في الأمانِـــي يومَ كانْ
قـــد تَوَافَى مَولِدُ النهضـــةِ والمَولدُ   الضَّاحِـــى، فوافت بُشْـــرَيانْ[2]
حِكْمـــةٌ هَـــذا التَّوافِـــي عَجَـــبٌ   شَـــاءها اللهُ فجـــاءتْ في الأوانْ
ثم وَافي اليـــومُ، يـــومُ المهرجـــان   عـــاشَ فـــاروقٌ، ودام المهرجانْ

* * *

يـــا صديقَ الشـــعْب قُـــدْ نهْضتَه   في ســـباقِ الكونِ يَظْفَـــرْ بالرهانْ
ولـــه مِنـــك شـــبابٌ طَامِـــحٌ   يبعـــثُ الجَـــرأةَ في قَلـــبِ الجَبانْ
كلُّ قلـــبٍ حـــينَ تدعُـــو هاتفٌ:   إيـــه لبيـــكَ، إلى شَـــطِّ الأمـــانْ
إيـــه لبيـــكَ، وفيـــه نَشْـــوةٌ   وله مِنْ وَجْهِكَ السَّـــمْحِ ضَمانْ

١- مرهصات: من أرهَصَ الشيء: أثبته وأسسه.
٢- توافى جاءا بعضهما مع بعض.

إيـــه لبيـــكَ، وقـــد طَهّـــره حُبُّـــك السَّـــامِي وروّاه الحَنَـــانْ
كلُّ قلـــبٍ خافـــقٌ بِالمهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَـــعْ النَّغْمـــة في قِيثَارتِـــي وحيُـــك العَذْبُ فجـــوَّدتُ البيانْ
وجَـــرى الشِّـــعْر وفي نَكْهَتِـــهِ من معانيك شـــذَى عَرْفَ الجِنَانْ
فأنـــا الشَّـــادِي وفي رُوحي هوىً عَبْقَـــرِيٌّ الوَحِي ذَاكِـــي الافتنانْ
وأنـــا الشـــاعرُ آفاقِـــي سَـــمَتْ فَسَـــمَا مِنِّـــى بيـــانٌ ومَعَـــانْ
وأنـــا الغريـــدُ يـــومَ المِهرجـــان عـــاشَ فـــاروقٌ، ودامَ المِهْرَجَانْ

* * *

وختاما..
مع الخالدين

أخي إنْ نمُتْ نَلْقَ أحْبَابنَا

فروْضاتُ ربي أُعدّتْ لَنَا

وأطيارُها رفرفتْ حوْلَنا فطوبى

لنا في ديار الخُلودِ

سيد قطب

هبل.. هبل*

هُبَلٌ... هُبَلْ رَمْزُ السّخافَةِ والدّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرَتْ على أيدي الأباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تتنشّق البحور تحرقُهُ أساطير النّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخَنا والارْتِزاق(١)
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ... يا لَلْخَجِل

* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ السَّخافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لا تَسْأَلَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ والخُضوع(٣)
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غبَاوَةً... يا لَلْبَطَل

* * *

---

* من مجموعة شعرية قيلت بعد ثورة تموز (يوليو) عام ١٩٥٢ صدرت في عمان تحت عنوان (لحن الكفاح)، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسني أدهم جرار في كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) ٤/ ٤١ هُبَلّ: صنم كان بالكعبة ، وهو رمز لكل طاغية.

١- الخنا: الفحش في الكلام.

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والجهالَة والسَّخافَة والدَّجَل
هُتَّافَةُ التَّهريج ما ملُّوا الثَّناء
زعموا لَهُ ما ليس... عنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضيَّاء وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتحٌ... هُوَ عَبْقَوِيٌّ مُلْهَمُ
هو مُرْسَلٌ... هو عالِمٌ ومَعُلِّمُ
ومن الجهالَة ما قَتَلْ
* * *

هُبَلٌ... هُبَلْ
رمزُ الخيانَة والعَمالَة والدَّجَل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدَّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمان هُمُ القليل
فليَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى روايَةْ... فَلكُلِّ طاغية نهايَةْ
وَلكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ... هُبَلٌ... هُبَلْ هُبَلٌ... هُبَلْ
* * *

أخي*

أخي أنــتَ حُرٌ وراء السُّــدود أخي أنــتَ حُــرٌّ بتلــكَ القُيودْ
إذا كُنْــتَ بــالله مُســتعصماً فمــاذا يَضــيرُكَ كيــدُ العبيــد

* * *

أخــي سَــتبيدُ[٢٦] جُيــوشُ الظّلام وَيُشــرِقُ في الكَــوْنِ فجرٌ جديد
فَأطلــقْ لِرُوحِــكَ إشــراقَهَا تَــرى الفَجْــرَ يرمُقُنا مــن بعيد

* * *

أخي قــد أصابَــكَ ســهمٌ ذليل وغَــدْراً رَمــاك ذِراعُ كَليــل
سَــتُبْتَرُ يَوْمــاً فَصَبْــرٌ جميــل ولم يَــدْمَ بعــدُ عريــنُ الأســود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء أَبَــتْ أن تُشَــلَّ بِقَيْــدِ الإمــاء
سَــتَرْفَعُ قُرباهــا... للسَّــماء مُخَضَّبــة بوســامِ الخُلــود

* * *

أخي هل تُــراكَ سَــئِمْتَ الكِفاحِ وألْقَيْــتَ عن كاهلَيْكَ السَّــلاح
فَمَنْ للضّحايا يواســي... الجِراح ويرفــعُ رايتهــا مِــن جديــد

* * *

---

* الكفاح الإسلامي الأردني-العدد ٢٩- الصادر في ٢٨/١٢/١٣٧٦هـ الموافق ٢٦/٧/١٩٥٧

أخـــي هل سمعـــتَ أنـــينَ التُّراب تَـــدُكُّ حَصـــاهُ جيـــوشُ الخَراب

تُمَـــزِّقُ أحشـــاءه بالحِـــرابِ وتَصْفَعُـــهُ وهـــوَ صلـــبٌ عنيد

* * *

أخـــي إنني اليـــومَ صَلـــبُ المِراس أدُكُّ صُخـــورَ الجبـــال الـــرَواس

غَـــداً سأشـــيحُ بفـــأس الخَلاصِ رؤوس الأفاعـــي إلى أنْ تبيـــد

* * *

أخـــي إنْ ذَرَفْـــتَ علـــيَّ الدُّموع وَبَلَّلْـــتَ قَبري بها في خُشـــوع

فَأوْقِـــدْ لَهُمْ من رُفاتِي الشُّـــموع وســـيروا بها نحـــو مَجْـــدٍ تليد

* * *

أخـــي إن نَمُـــتْ نَلْـــقَ أحبابَنـــا فَرَوْضـــاتُ ربِّي أُعِـــدَّت لَنـــا

وأطْيارُهـــا رَفَرَفَـــتْ حَوْلَنـــا فطـــوبى لنـــا في ديـــارِ الخُلـــود

* * *

أخـــي إنّني مـــا سَـــئِمْتُ الكِفاح ولا أنـــا ألقَيْـــتُ عني السِّـــلاح

وإن طَوَّقَتْـــني جُيـــوشُ الظَّـــلام فَإنِّـــى علـــى ثِقَـــةٍ... بالصبّاح

* * *

وإنِّـــي علـــى ثِقَـــةٍ مِـــنْ طريقي إلى الله رَبِّ السَّـــنا والشـــروق

فـــإنْ عافَـــني السَّـــوْقُ أوْ عَقَّـــني فـــإني أمـــينٌ لعهـــدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ علـــى إثْرِنـــا   وَفَـــوْجٌ علـــى إثْرِ فـــوجٍ جَديد
فـــإنْ أنـــا مُـــتُّ فإنّـــي شـــهيد   وأنَتْ سَـــتَمْضِي بنصـــرٍ جديد

* * *

قَـــدِ اختارَنـــا اللهُ في دعوتِـــه   وإنّـــا ســـنمضي علـــى سُـــنَّتِه
فَمِنَّـــا الذيـــن قَضَـــوْا نَحْبَهُـــم   ومنّـــا الحفيـــظُ علـــى ذِمَّتِـــه

* * *

أخـــي فَامْـــضِ لا تَلْتَفِـــتْ للوراء   طريقُـــكَ قـــد خَضبَّتْـــهُ الدِّماء
ولا تَلْتَفِـــتْ هَهنـــا أو هُنـــاك   ولا تَتَطَلَّـــعْ لغيـــرِ السَّـــماء

* * *

فلســـنا بطـــيرٍ مَهيـــض الجَنَـــاح   ولـــن نُسْـــتَذَكَّ ولن نُسْـــتَباح
وإنّـــي لأسْـــمَعُ صـــوتَ الدِّماء   قَوِيًّـــا يُنـــادي الكِفَـــاحَ الكِفَاح

* * *

سَـــأثْأرُ لكـــنْ لِـــرَبٍّ وديـــن   وأمْضـــي علـــى سُـــنَّتي في يَقين
فإمّـــا إلى النَّصـــرِ فَـــوْقَ الأنَـــام   وإمَـــا إلى اللهِ في الخالدِيـــنْ

* * *

ترجمة سيد قطب

ولد سيد قطب لأسرة شريفة في مجتمع قروي (صعيدي) في يوم ٩/١٠/١٩٠٦م بقرية موشا بمحافظة أسيوط، وهو الابن الأول لأمه بعد أخت تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. وكانت أمه تعامله معاملة خاصة وتزوده بالنضوج والوعي حتى يحقق لها أملها في أن يكون متعلمًا مثل أخواله

كما كان أبوه راشدًا عاقلاً وعضوًا في لجنة الحزب الوطني وعميدًا لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية، واتصف بالوقار وحياة القلب، يضاف إلى ذلك أنه كان دَيِّنًا في سلوكه.

ولما كتب سيد قطب إهداء عن أبيه في كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) قال: «لقد طبعتَ فيَّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي، واليوم الآخر ذكراه في ضميرك وعلى لسانك.. وإن صورتك المطبوعة في مُخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة، ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات».

وعندما خرج إلى المدرسة ظهرت صفة جديدة إلى جانب الثقة بالذات من أمه والمشاعر النبيلة من أبيه وكانت الإرادة القوية، ومن شواهدها حفظه القرآن الكريم كاملاً بدافع من نفسه في سن العاشرة؛

لأنه تعود ألا يفاخره أبناء الكتاتيب بعد إشاعة بأن المدرسة لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن.

وفي فورة الإحساس والثقة بالنفس كان لظروف النضال السياسي والاجتماعي الممهدة لثورة ١٩١٩ أثر في تشبعه بحب الوطن، كما تأثر من الثورة بالإحساس بالاستقلال وحرية الإرادة، وكانت دارهم ندوة للرأي، شارك سيد قطب فيها بقراءة جريدة الحزب الوطني، ثم انتهى به الأمر إلى كتابة الخطب والأشعار وإلقائها على الناس في المجامع والمساجد.

الاستقرار في القاهرة

ذهب سيد قطب إلى القاهرة في سن الرابعة عشرة وضمن له القدر الإقامة عند أسرة واعية وجهته إلى التعليم وهي أسرة خاله الذي يعمل بالتدريس والصحافة، وكان لدى الفتى حرص شديد على التعلم

إلا أنه في القاهرة واجه عقبات محصته تمحيصًا شديدًا جعلته يخرج من الحياة برؤية محددة قضى نحبه –فيما بعد– من أجلها.

والتحق سيد قطب أولاً بإحدى مدارس المعلمين الأولية –مدرسة عبد العزيز– ولم يكد ينتهي من الدراسة بها حتى بلغت أحوال الأسرة درجة من السوء جعلته يتحمل المسئولية قبل أوانه، وتحولت مهمته إلى إنقاذ الأسرة من الضياع بدلاً من استعادة الثروة وإعادة المجد.

واضطر إلى العمل مدرسًا ابتدائيًا حتى يستعين بمرتبه في استكمال دراسته العليا من غير رعاية من أحد اللهم إلا نفسه وموروثاته القديمة. وكان هذا التغير سببًا في الاحتكاك المباشر بالمجتمع الذي كان لا بد له من أسلوب تعامل يختلف عن أسلوب القرويين وتجربتهم.

فالمجتمع الجديد الذي عاش فيه انقلبت فيه موازين الحياة في المدينة السليمة، وبدت في القاهرة سوءات الاحتلال الأجنبي ومفاسد السياسة؛ حيث سادت عوامل التمزق الطبقي والصراع الحزبي وغدت المنفعة وما يتبعها من الرياء والنفاق والمحسوبية هي الروح التي تسري، ويصف عبد الرحمن الرافعي هذا المجتمع بأنه :«مجتمع انهارت فيه الثقافة العربية أمام الثقافة الغربية التي تؤمن بالغرب حتى بلغت في بعض الأحيان حد التطرف في الإيمان بالغرب وبمبادئه إيمانًا مطلقًا». فكيف يواجهها هذا الشاب الناشئ المحافظ الطموح؟

كانت صلته بهذا المجتمع صلة تعليم، ثم أصبح الآن مشاركًا فيه، وعليه أن يختار ما بين السكون والعزلة، وبالتالي عدم إكمال تعليمه أو الحركة والنشاط، واختار سيد قطب المواجهة مع ما ينبت معها من عناصر الإصرار والتحدي وعدم الرضا بهذا الواقع المؤلم.

ارتحال فكري

واختار سيد قطب حزب الوفد ليستأنس بقيادته في المواجهة، وكان يضم وقتذاك عباس محمود العقاد وزملاءه من كتاب الوفد، وارتفعت الصلة بينه وبين العقاد إلى درجة عالية من الإعجاب لما في أسلوب العقاد من قوة التفكير ودقة التغيير والروح الجديدة الناتجة عن الاتصال بالأدب الغربي.

ثم بلغ سيد قطب نهاية الشوط وتخرج في دار العلوم ١٩٣٣ وعين موظفًا –كما أمل وأملت أمه معه– غير أن مرتبه كان ستة جنيهات ولم يرجع بذلك للأسرة ما فقدته من مركز ومال؛ فهو مدرس مغمور لا يكاد يكفي مرتبه إلى جانب ما تدره عليه مقالاته الصحفية القيام بأعباء الأسرة بالكامل.

وهذه الظروف التي حرمته من نعيم أسلافه منحته موهبة أدبية إلا أن الأساتذة من الأدباء —كما يصفهم- كانوا: «لم يروا إلا أنفسهم وأشخاصهم فلم يعد لديهم وقت للمريدين والتلاميذ، ولم تكن في أرواحهم نسمة تسع المريدين والتلاميذ» كل هذا أدى إلى اضطرابه وإحساسه بالضياع إلى درجة —وصفها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «مذكرات سائح من الشرق» انقطعت عندها كل صلة بينه وبين نشأته الأولى وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية» ولكن دون أن يندفع إلى الإلحاد، وكان دور العقاد حاسمًا في ذلك.

وانتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف في مطلع الأربعينيات، ثم عمل مفتشًا بالتعليم الابتدائي في عام ١٩٤٤ وبعدها عاد إلى الوزارة مرة أخرى، وفي تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت وظهر له كتابان هما: «كتب وشخصيات»، «والنقد الأدبي — أصوله ومناهجه».

وبعد ميدان النقد سلك سيد قطب مسلكًا آخر بعيدًا: بكتابه «التصوير الفني في القرآن» الذي لاقى مقابلة طيبة من الأوساط الأدبية والعلمية فكتب: «مشاهد القيامة في القرآن» ووعد بإخراج: «القصة بين التوراة والقرآن» و»النماذج الإنسانية في القرآن»، و»المنطق الوجداني في القرآن»، و»أساليب العرض الفني في القرآن»، ولكن لم يظهر منها شيء.

وأوقعته دراسة النص القرآني على غذاء روحي لنفسه التي لم تزل متطلعة إلى الروح. وهذا المجال الروحي شده إلى كتابة الدراسات القرآنية فكتب مقالاً بعنوان «العدالة الاجتماعية بمنظور إسلامي» في عام ١٩٤٤.

الرحلة إلى أمريكا

وجد سيد قطب ضالته في الدراسات الاجتماعية والقرآنية التي اتجه إليها بعد فترة الضياع الفكري والصراع النفسي بين التيارات الثقافية الغربية، ويصف قطب هذه الحالة بأنها اعترت معظم أبناء الوطن نتيجة للغزو الأوروبي المطلق.

ولكن المرور بها مكنه من رفض النظريات الاجتماعية الغربية، بل إنه رفض أن يستمد التصور الإسلامي المتكامل عن الألوهية والكون والحياة والإنسان من ابن سينا وابن رشد والفارابي وغيرهم لأن فلسفتهم – في رأيه – ظلال للفلسفة الإغريقية.

فكان من المنتظر حين يوم ٣/١١/١٩٤٨ في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج ألا تبهره الحضارة الأمريكية المادية ووجدها خلوا من أي مذهب أو قيم جديدة، وفي مجلة الرسالة كتب سيد قطب مقالا في عام ١٩٥١ بعنوان: «أمريكا التي رأيت» يصف فيها هذا البلد بأنه: «شعب يبلغ في عالم العلم والعمل قمة النمو والارتقاء، بينما هو في عالم الشعور والسلوك بدائي لم يفارق مدارج البشرية الأولى، بل أقل من بدائي في بعض نواحي الشعور والسلوك».

المصلح والأديب

امتلك سيد قطب موهبة أدبية قامت على أساس نظري وإصرار قوي على تنميتها بالبحث الدائم والتحصيل المستمر حتى مكنته من التعبير عن ذاته وعن عقيدته يقول: «إن السر العجيب – في قوة التعبير

وحيويته — ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلول، وإن في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية، المعنى المفهوم إلى واقع ملموس».

وكان سيد قطب موسوعيًا يكتب في مجالات عديدة إلا أن الجانب الاجتماعي استأثر بنصيب وافر من جملة كتاباته، وشغلته المسألة الاجتماعية حتى أصبحت في نظره واجبًا إسلاميًا تفرضه المسئولية الإسلامية والإنسانية، وهذا يفسر قلة إنتاجه في القصة التي لم يكثر فيها بسبب انشغاله بالدراسات النقدية ومن بعدها بالدراسات والبحوث الإسلامية.

وطوال مسيرته ضرب سيد قطب مثل الأديب الذي غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس، وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب؛ كي يحقق ذاته وأمله، اتصل بالعقاد ليستفيد منه في وعي واتزان، ولم تفتنه الحضارة الغربية من إدراك ما فيها من خير وشر، بل منحته فرصة ليقارن بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي، وجمع بينه وبين حزب الوفد حب مصر ومشاعر الوطنية، وجمع بينه وبين العمل الإسلامي حب الشريعة وتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع إسلامي متكامل. واستطاع بكلمته الصادقة أن يؤثر في كثير من الرجال والشباب التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التي أحاطت بهم، وأصبح من الأدباء القلائل الذين قدموا حياتهم في سبيل الدعوة التي آمنوا بها.

العودة والرحيل

عاد سيد قطب من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ليعمل بمكتب وزير المعارف إلا أنه تم نقله أكثر من مرة حتى قدم استقالته في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢، ومنذ عودته بدأ يؤكد توجهه الإسلامي.

خاض تجربة العمل الإسلامي السياسي إلى أن استشهد فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

كتب سيد قطب

١ - مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر. (نقد).

٢ - الشاطئ المجهول (شعر)

٣ - نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (نقد).

٤ - التصوير الفني في القرآن (نقد).

الفهرس

مقدمة د. حسن حنفي.................5

مقدمة المؤلف...................... 13

التمرد 23

عُزْلَةٌ في ثَوْرَة!!! 25

زَفَراتٌ جَامحةٌ مَكْبوحَة 31

عَاشقُ المُحَال 33

حُلْمٌ قَديم...................... 35

بعدَ الأَوان 37

الشكوى 39

سَعَادَةُ الشُّعَرَاء 41

سخريةُ الأقْدَار...................... 44

الصديقُ المَفْقُود! 45

خراب!...................... 48

خريف الحياة 49

النفسُ الضائعة...................... 51

الغدُ المجهول 53

غريبٌ..! 55

مرّ يَوم 56

إلي الثلاثين 57

خُطا الزَّمنِ الوَثَّاب 59

نهايةُ المَطَاف 61

الحنين 63

عَهدُ الصّغر 65

جولة فيَ أعماق الماضي...................... 67

المَاضي 70

رِثَاءُ عَهْد 72

عَهْدٌ ذَاهب؟! 74
السعادةُ حديثُ الأشْقياء 76
وَحْي الريف 77
ليلات في الريف 79
العودةُ إلى الريف 81
الليلاتُ المَبْعُوثة 83
رَيْحَانَتِي الأولى أو الحِرْمَان 85
عِبَادةٌ جَديدة؟! 87
تسبيح...! 88
في السماء 89
بينَ عَهْدَيْن 90
نَدَاءُ الخَريف 92
هُتافُ رُوح 95
دُعاءُ الغريب 97
ابتسامة 99
التأمل 101
بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوس أو حَياةٌ بعدَ مَوْت* 103
هَدَأتَ يَا قَلْب؟! 105
الدنيا 106
عودة الحياة 106
البعث 108
الشُّعَاعُ الخَابِي 110
في الصحراء 112
بين الطلال 115
الإنْسانُ الأخير 117
إلَى الشاطئ المجهول 120
السر أو الشاعر في وادي الموتى 122

التجارب 127
خبيئة نفسي........................ 130
الخطيئة........................ 132
القطيع 133
على القمة........................ 136
مصرع قصيدة........................ 138
وُجُوهٌ طَرِيفَة........................ 139
إلى الظَّلاَم........................ 140
في مفرق الطريق 143
أقدامٌ فَي الرِّمَال 145
خُدْعَةُ الخُلُود........................ 147
الغزل........................ 149
لَيْلَة؟! 150
نَظْرَةٌ مُوحِشَة 151
طَيْف!! 153
صوت؟!........................ 155
هي أنتِ 156
أحبك 158
عَيْنَان 161
حَدِّثِيني 162
بيانو وقلب 165
الظَّامِئة 166
رَسُولُ الحياة 169
سرٌّ انتصار الحياة 170
المُعْجزَة أَو السَّهمُ الأخير 171
اللحنُ الحزين........................ 173
الغَيْرَة........................ 147

مَصْرَعُ حُبّ! 177
ليلةُ الشَّك 178
اليقين 179
الجنةُ الضَّائعة 180
الحنينُ والدُّمُوع 181
اللّغْز 182
قُبْلَة 183
دَاعِي الحياة 184
تَحيةُ الحياة 185
الخَطَر 186
يَقَظَة 188
رُقْيَةُ الحُبّ 189
الحياةُ الغَالية 191
الكَوْنُ الجديد 192
حُبُّ الشَّكور 193
الانتظارُ الخالد 195
الحبُّ المَكْرُوه! 196
نَكْسَة! 198
على أطلال الحُب 200
صَدَى قُبْلَة 202
غنيّ ... ؟! 204
وحي جديد 206
أكذوبة أسوان 208
حُلُمُ الحَيَاة 209
الكأسُ المَسْمُومَة 211
وَحْيُ لقَاء 212
حُلْمُ الفَجْرِ 213

انْتَهَيْنَا 214
الوصف 217
وردةٌ ذَابلة 218
العُود.. 218
بريشة الشعرأو صورة صادقة........................ 220
هَدْأَةُ الليلِ.. 222
الصُّبْحُ يَتَنَفَّس.. 224
عبث الجمال 226
يوم خريف 228
الجبار العاجز.. 230
نَاحتُ الصَّخْرأو«الفاعل» 232
حُلْمُ النَّيل.. 234
وداع الشاطئ 235
من الفردوس إلى الجحيم 235
الوادي المقدس 236
في لَيلةٍ من لَيالي الربيع 241
جَمَالٌ حَزِين.. 242
الرثاء.. 243
وَحْيُ الخُلُود 244
الذكرى الخالدةُ لسعد العظيم........................ 246
البطل 249
ذكرى سعد.. 253
طليعة الضحايا 255
موت سوسو.. 257
الزَّادُ الأخير.. 259
نُوسَةُ أوشَطْرٌ مِنَ العُمْر........................ 260
صَدَى الفَاجِعة 264

الوطنيات 267
إلى البلادِ الشقيقة 269
مأساة البَدارى 270
صوت الوطنية 271
المِهْرَجَان 273
وختاماً مع الخالدين 277
هُبَلٌ.. هُبَلْ 279
أخي 281
ترجمة سيد قطب 285

الدراية لا الرواية 2008

إنما قسوة التاريخ وظلم الشاعر والناقد والمفكر هو رده إلى مرحلة واحدة بعد 1954 ونسيان ربع قرن من الإبداع الشعرى والنقدى والفكرى ورده إلى كتاب واحد (معالم على الطريق) الذى هو حرقة سجين مظلوم ومعذب بريء. وقد نسيت جماعته أيضاً المراحل الثلاث الأولى، ولم تتذكر إلا المرحلة الرابعة، باستثناء المخلصين له الذين تعلموا على يديه، وعرفوه مفكرا وثائرا ووطنيا باسم الإسلام. ولولا دخوله السجن فى 1954 وتعذيبه لما كفّر المجتمع فى (معالم على الطريق)، ولولا سفرى إلى فرنسة وعودتى بعد عشر سنوات وعيشى فى جو طبيعى لما كتبت (من العقيدة إلى الثورة)، ولا (من النقل إلى الإبداع)، ولا (من النص إلى الواقع)، ولا (من الفناء إلى البقاء)، ولا (من النقل إلى العقل).

ولولا الصدمة الحضارية التى تلقاها من بعثته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 لما كتب (خصائص التصور الإسلامى ومقوماته) ردا على (الإنسان ذلك المجهول) لألكس كاريل. وهو ما تطور بعد ذلك فى (مقدمة فى علم الاستغراب). ويتم استئناف (فى ظلال القرآن)آخر ما وصل إليه علم التفسير من تطور فى (الموقف من الواقع) أو نظرية التفسير، الجبهة الثالثة من مشروع (التراث والتجديد) بجبهته الأولى موقفنا من التراث القديم، وجبهته الثانية (موقفنا من التراث الغربى).

واليوم يرد - مركز الناقد الثقافى- الاعتبار لسيد قطب شاعرا عسى أن يُرد إليه نفس الاعتبار ناقدا ثم مفكرا ثم سياسيا وتنتهى أسطورة (معالم على الطريق). فنفسية السجين استثناء فى حياة الشاعر الرومانسى، والناقد الأدبى، والمفكر الحر.

د. حسن حنفي